الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

# صورة الطفل في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة [1980-2010م]

## دراسة نماذج

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي

تخصص دراسات أدبية ولغوية

إعداد الطالبة:
زهرة خرناوط

إشراف الأستاذ:
د/ علي لطرش

أعضاء اللجنة:

| | | |
|---|---|---|
| 1- أ.د/ أحمد حيدوش | جامعة البويرة | رئيسا |
| 2- د/علي لطرش | المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة | مشرفا ومقررا |
| 3- د/عبد الرحمان عيساوي | جامعة البويرة | ممتحنا |
| 4- د/علي حمدوش | جامعة تيزي وزو | ممتحنا |
| 5- د(ة)/ نعيمة بن علية | جامعة البويرة | ممتحنا |

السنة الجامعية:2012-2013م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire


وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي


# صورة الطفل في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة

## [1980-2010م]

## دراسة نماذج

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي

تخصص دراسات أدبية ولغوية


إعداد الطالبة:

- زهرة خرناوط

إشراف الأستاذ:

د/ علي لطرش


السنة الجامعية:2012-2013م

# إهداء

إلى الّذي رحل .. بحكمة القدر..

وإلى والدي العزيزين.

أهدي هذا العمل.

# مقدمة

## مقدمة:

إنّ موضوع الطفولة في النتاج الأدبي الجزائري لم يلق الاهتمام الكافي من طرف النقاد والدارسين الجزائريين، ولم نعثر – فيما تمكّنا من الاطّلاع عليه- على دراسة جادة تتعلّق بصورة الطفل في الأدب الجزائري أو في القصة القصيرة الجزائرية إلا في القليل النادر، وإن وجدت بعض هذه الدراسات فإن مجالها ضيق على تلك الدراسات العربية التي تناولت صورة الطفل، مثل: "صورة الطفل في الرواية المصرية"لمنير فوزي، و"صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر"لسليمة عكروش، والكثير من الدراسات العربية التي تناولت أدب الطفل، وما ظهر من دراسات في الأدب الجزائري، لأنّها ركّزت على جنس الرواية والشعر دون القصة، من هنا كان اختيارنا لدراسة صورة الطفل في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ومحاولة الكشف عن كيفية تجسيد القصاصين للطفولة في نتاجهم القصصي، زد على ذلك أنّ حبي لهذه المرحلة وشدّة تعلّقي بها كان دافعا قويا وراء اختياري لهذا البحث، والذي يحاول الإجابة على جملة من التساؤلات منها:

- هل اهتمّ الأدب العربي بموضوع الطفل؟
- هل اهتمّ القصاصون الجزائريون بموضوع الطفل؟ ومتى برز هذا الاهتمام بشكل واضح؟
- ما هي هذه الصور التي برز الطفل من خلالها في القصص الجزائرية المعاصرة؟ وهل اختلفت هذه الصور باختلاف هذه الأعمال؟

واختيارنا للمدونة القصصية وحصرها في واحد وأربعين قصة، في الفترة الممتدة ما بين [1980-2010 م] لم يكن عشوائيا، بل إنّ البحث هو الذي فرض علينا ذلك، لأنّ هذه القصص هي التي تجسّدت فيها صور الطفل بشكل كبير ومتنوّع، أماّ القصص التي برزت قبل سنة 1980م فلم تُعن عناية واضحة بموضوع الطفل كموضوع رئيس، وقد اقتصرنا في تناولنا لهذا الموضوع على القصص الجزائرية المكتوبة باللغة العربية فقط لأنّ القصص المكتوبة باللغة الأخرى هي خارج موضوعنا.

هذا وقد ركزنا في بحثنا على موضوع الطفل والطفولة في المجتمع الجزائري، مشيرين إلى مسارات التربية الإيمانية والخلقية والعقلية والاجتماعية وبعدها التربوي، وأبرزنا ألوان صور الطفل في بعض القصص الجزائرية المعاصرة التي اهتمت بشخصية الطفل، مبيّنين صور التربية السوية، وغير السوية.

وطبيعة بحثنا اقتضت الاستناد إلى أكثر من منهج، لأنّ الاعتماد على منهج واحد لا يكفي للإحاطة بكل القضايا التي تناولناها، فقد اتّبعنا المنهج التاريخي في التمهيد وفي تتبعنا لظهور أدب

الطفل، ثم اعتمدنا المنهج الموضوعاتي في الفصل الثاني حيث عمدنا إلى المقاربة الموضوعاتية للمدونة القصصية، وكشفنا صور الطفل المهيمنة. وقد احتجنا إلى الاستعانة بعلم النفس وعلم التربية عند تحليل بعض الظواهر النفسية المتعلقة بنفسية الطفل كالغيرة والعدوان، وبعض الأفعال والسلوكيات التي تطبع نشاط الطفولة في هذه المرحلة.

وقد جاء البحث في تمهيد وفصلين وخاتمة؛ تعرضنا في التمهيد إلى مفهوم الطّفولة، وحضورها في القرآن والحديث مع التمثيل، ومدى اهتمام التراث الشّعري العربي بموضوع الطفل، مع سرد بعض النماذج الروائية والقصصية؛ العربية منها والعالمية، التي صورّت الطفل ومختلف قضاياه.

ثمّ خصصنا الفصل الأول لدراسة صورة الطفل في أدب الطفل، وتحديدا في القصص الموجهة للأطفال بصفة عامة، وذلك لأنّنا وجدنا مجموعة كبيرة من هذه القصص تحمل صورا مختلفة للطفل، إضافة إلى أنّ موضوعنا يخص الطفل بالدرجة الأولى، فآثرنا دراسة صور الطفل التي وردت في القصص الموجهة له خصيصا، وقد كان لابدّ علينا من الوقوف عند تعريف أدب الطفل ومدى الحاجة إليه، وذكر أنواعه، ثمّ عرجنا على حضور التراث في أدب الأطفال وأهميته في بناء وتكوين شخصياتهم، وختاما قمنا باستجلاء مختلف هذه الصور في القصص؛ سواء في القصص العالمية أو القصص العربية أو القصص الجزائرية الموجهة للأطفال، مع تبيان بعض نقاط الاختلاف في أساليب التربية من مجتمع لآخر.

وفي الفصل الثاني تقصينا بعض صور الطفل كما تجسّدت في المدونة القصصية الجزائرية، معرجين بداية على حضور الطفل في قصص مرحلة ما قبل الثمانينات، حيث لم يكن الاهتمام بموضوع الطفل فيها كموضوع رئيس، ثم انتقلنا إلى استجلاء ألوان صور الطّفل في قصص الثمانينات وما بعدها[1980-2010م]، حيث تجلّت هذه الصور بوضوح في القصة الجزائرية، وقد تنوعت هذه الصور بين صور الطفل: اليتيم، والفقير، والجائع، والمريض، والمظلوم، والمجاهد، والشهيد وغيرها من الصور المذكورة في متن هذه القصص.

معتمدين في ذلك على مجموعة من المصادر تمثلت في القصص المعتمدة وكذا المراجع، من أهمها: "لسان العرب" لابن منظور، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه، و"محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء" للأصبهاني، و"ديوان الحماسة" لأبي تمام، وغيرها من الدواوين والقصص الأخرى. أمّا بالنسبة لأهم المراجع فنذكر: "صورة الطفل في الرواية المصرية" لمنير فوزي، و"أدب الأطفال" لهادي نعمان الهيتي، و"صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر" لسليمة عكروش"، ورسالة الماجستير" الطفولة في روايات رشيد بوجدرة" لبوعلي كحال التي استفدنا منها كثيرا، وغيرها من المراجع.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في إعداد البحث قلة المراجع المتخصصة في الأدب الجزائري، وكذلك تكرار الآراء كثيرا في الكتب الخاصة بأدب الأطفال؛ كما نجد أحيانا اقتباسات للفقرات، دون إشارة المؤلِف إلى ذلك، مما صعّب علينا تمييز المصدر من المرجع.

أخيرا، أشعر أنّه من الواجب عليّ تقديم الشكر لمن هو أهله؛ إلى كل من أعانني في إنجاز هذا البحث، سواء بإعارتي المراجع أو بمناقشتي في إحدى نقاط الموضوع، وأخصّ بالشكر أستاذي المشرف علي لطرش، على ما أولانيه من توجيه ونصح طوال فترة البحث.

وبعد؛ فهذا البحث يعد مساهمة في هذا المجال قد يحفز إلى التوسيع وإلى متابعة العمل في هذا المجال، فإن يكن له حظ من التوفيق؛ فبفضل الله عز وجل، وإن تكن الأخرى، فتلك سمة أوليات أعمال البشر، والله أسأل التوفيق والسداد.

البويرة في:2013/04/15م.

# تمهيد:

## الطّفولة في النّص الأدبي عامة.

1- مفهوم الطّفولة.

2- الطّفولة في القرآن والحديث.

3- الطفولة في التراث الشّعري العربي.

4- في الفن القصصي العربي الحديث:

أ- في الرواية.

ب- في القصة.

5- في الرواية والقصة العالميتين.

## 1- مفهوم الطّفولة:

### أ- لغة:

ورد في المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أنّ الطّفولة تعني « المرحلة من الميلاد إلى البلوغ.» [(1)]. وتطلق كلمة " الطَفل" في المعاجم اللّغوية على الصغير من كلّ شيء، إذ جاء في المنجد في اللّغة والأعلام، الطّفل: «ج أطفال، مفرد طفلة: الصّغير من كلّ شيء، يقال: " جارية طفل وطفلة." وقد يكون الطّفل واحدا وجمعا لأنه اسم جنس.»[(2)] وورد في معجم علم النفس والتربية أنّ الطَفل: « الفرد من نهاية الرضاعة حتى البلوغ.» [(3)]

وجاء في لسان العرب مادة ( طفل) « الطّفل والطّفلة: الصغيران، والطّفل: الصّغير من كل شيء بيَن، قال أبو الهيثم: الصّبي يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم. »[(4)] فلفظ "الطفل" و"الصبي":« لفظان مترادفان تقريبا في اللغة.»[(5)] لذلك يقال:« رأيته في صباه أي في صغره، وقال غيره: رأيته في صبائه أي في صغره.»[(6)]

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم نجد مفهوم الطّفل يبدأ منذ ولادة الصّبي إلى أن يحتلم، قال تعالى: ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ ﴾[(7)] وقال عزّ وجل:﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[(8)] ونلاحظ أنّ معنى الطفل في المعاجم يلتقي مع المعنى القرآني، فهو منذ أن يولد الصبي حتى يبلغ الحلم.

---

[1] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004م، ص560.

[2] - المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، دط، بيروت، لبنان، 1997م، ص467.

[3] - فؤاد أبو حطب، محمد سيف الدّين فهمي، معجم علم النّفس والتّربية، ج1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط، مصر، 1984م، ص26.

[4] - ابن منظور، لسان العرب، مج9، دار صادر، ط4، بيروت، لبنان، 2005م، ص126.

[5] - إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، رؤية نقدية تحليّلية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 2000م، ص19.

[6] - ابن منظور، لسان العرب، مج8، ص198.

[7] - سورة الحج، الآية 5.

[8] - سورة النور، الآية 59.

### ب - اصطلاحا:

لا يختلف المفهوم الاصطلاحي للطفولة عن مفهومها اللّغوي، إذ تعني«الفترة العمرية التي تبدأ من لحظة الولادة، وتمتد حتى يصبح هذا المخلوق بالغا ناضجا (...) تمتد من لحظة الولادة حتى سن الثامنة عشر. وأحيانا إلى مرحلة العشرين.» [(1)] فالأطفال هم الفئة التي تمتد أعمارهم منذ الميلاد حتى سن الاعتماد الكامل على الذات، ويحدّد القانون المصري سن انتهاء مرحلة الطفولة بسن الثامنة عشر، أمّا البداية فمنذ الولادة. [(2)]

## 2- الطّفولة في القرآن والحديث:

اعتنى الإسلام - وهو المنهج الكامل المتكامل للحياة - بالطّفل عناية كبيرة، امتدّت هذه العناية من المرحلة المبكرة مرحلة الاستعداد، بل وقبل ولادة الطفل إلى أن يصبح رجلا. [(3)] فقد أوصى رسول الله"صلى الله عليه وسلم" باختيار المنبت الحسن للطفل قبل ولادته، قال عليه الصلاة والسلام: « **تخيّروا لنطفكم فإنّ النّساء يلدن أشباه إخوانهنّ وأشباه أخواتهنّ.**»[(4)]

كما اهتمّ الدّين الإسلامي برضاعة الطّفل وحضانته، وكفل حقوقه - على الوالدين والإخوة والأقارب - وضمن له التّربية الصالحة، ففي حضانته قال الله تعالى:﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾[(5)]

وقد كفل الله سبحانه وتعالى لليتيم*حقه وأوصى به خيرا، قال تعالى:﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾[(6)]

---

[1] - سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، الأردن، 2006م، ص23.

[2] - ينظر: إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص18.

[3] - ينظر: إبراهيم ياسين الخطيب، أحمد محمد الزبادي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمّان الأردن، 2000م، ص25.

[4] - ابن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ج2، تح : خليل الميس، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403هـ، ص124.

[5] - سورة البقرة، الآية 233.

* الذي عمره أقل من 18سنة.

[6] - سورة النساء، الآية 2.

وقضى الإسلام على تلك النّظرة الجاهلية السيّئة التي كان ينظر بها الآباء إلى بناتهم -وأد البنات- في الجاهليّة، والتي كانت « مرتبطة ارتباطا وثيقا بحرص العرب من وقوع النّساء سبايا في أيدي الأعداء، وهو أمر يسبب للقبائل المسبية نساؤها عارا لا يفارقها.» [1] قال تعالى:﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[2] والسبب في تحرّج الرجل من البنت، واحتقار المجتمع الجاهلي لها هو أنّ الآباء يفضّلون الذكر الذي يحمل السيف دفاعا عن القبيلة، أمّا البنت فليست كذلك، وكذا ضعف الإيمان، والجهل بأنّ الله هو المدبّر، وأمره الغالب في شأن الإناث وشأن الذّكور، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[3]

ومما يروى في هذا الشأن أنّه « ولدت لأعرابي جارية اسمها حمزة، فهجر أمّها وبنته، فسمع أمها ترقصها وتقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا غضبان أن لا نلد البنينا

وإنّما يكره ما أعطينا

فرجع إلى منزله وصالحها، وطابت نفسه بها.»[4] ورجوعه كان بعد أن أعطته زوجه درسا في الإيمان والرضا، وثبات اليقين، فرضي بما قسمه الله له.

وعن وجوب رعاية الابن والعطف عليه يقول رسولنا الكريم - صلّى الله عليه وسلّم -:« **من لم يرحم صغيرنا ويعرف حقّ كبيرنا فليس منّا.**»[5] ويقول صلى اللّه عليه وسلّم أيضا: «**أكرموا أولادكم**

---

[1] - التبيين، مجلة ثقافية محكمة تصدر عن الجاحظية، أدب الأطفال في تراثنا القديم، مصطفى رجب، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، العدد22، الجزائر، 2004م، ص82.

[2] - سورة النحل، الآية 58، 59.

[3] - سورة الشورى، الآية 49، 50.

[4] - الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مج1، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، بيروت، لبنان، دت، ص325.

[5] - البخاري، الأدب المفرد، ج1، تح : محمد عبد الباقي، دار البشائر الإسلاميّة، ط3، بيروت، 1989م، ص129.

**وأحسنوا آدابهم.»**[1] لأنّ الولد قد يكون سببا في دخول الآباء والأمهات الجنة قال عليه الصلاة والسلام:« **ريح الولد من ريح الجنة.»**[2]

ولم تنحصر عناية الإسلام بالطّفولة في التّشريعات والنّصوص والقوانين الوضعية فقط، كما تفعل المدنية المعاصرة، بل وجدت تطبيقات وممارسات بدأها رسول الله صلى اللّه عليه وسلّم، وهو القدوة والأسوة للبشرية جمعاء، فقد كان عليه الصلاة والسلام يلاطف الصّغار ويلعب معهم رغم كثرة همومه ومشاغله،[3] كان يقول للطّفل الصّغير وهو يداعبه ويسأله عن عصفوره:«**أبا عمير ما فعل النّغير***»[4] فهل يلاعب الكبار الصغار حاليا كما فعل رسولنا الكريم؟ وإن كان فهو قليل.

إنّ الأبناء يمثلون نعمة كبيرة أنعمها اللّه – جلّ وعلا- على الوالدين، فهم بهجة حياتهم ونشوتهم في الدنيا، لما ينشرونه من بهجة ومتعة في نفوس آبائهم وأمهاتهم، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[5]، تشير الآية الكريمة إلى« المنزلة الكبيرة التي جعلها الله للأبناء في نفوس الآباء والأمهات، وقد قرن ذلك بالمال ذي المنزلة العالية في النّفس، وفي الأموال والأولاد كان يتنافس النّاس منذ القديم.»[6] قال تعالى:﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [7]

وقد ورد لفظ "الطّفل" في كثير من آيات الذّكر الحكيم،[8] سواء ورد باللّفظ نفسه أو بألفاظ أخرى تدل عليه مثل: الولد، اليتيم، الصّبي، البنين، الذريّة، تحثّ هذه الآيات كلّها على أهمية الطفل في حياة

---

[1] - أبو عبد الله القضاعي، مسند الشهاب، ج1، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1986م، ص389.

[2] - الطبراني، المعجم الأوسط، ج6، تح:طارق الحسيني، دار الحرمين، دط، القاهرة، 1415ه، ص82.

[3] - ينظر: محمد حسن بريغش، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1996م، ص19.

*النّغير: تصغير النّغر، طائر صغير.

[4] - المنذري، مختصر صحيح مسلم، تح: محمد ناصر الدين الألباني، قصر الكتاب، ط1، البليدة، 1411ه،ص368.

[5] - سورة الكهف، الآية 46.

[6] - حسن ملاّ عثمان، الطفولة في الإسلام، مكانتها وأسس تربية الطفل، دار المريخ للنشر، ط2، الرياض، 1982م، ص25، 26.

[7] - سورة سبأ، الآية 35.

[8] - ينظر آيات السور التالية : غافر67، الشعراء133، الإسراء6،31، آل عمران14، المدثر13، نوح12، التوبة 69، المؤمنون55،56، الفرقان74، مريم12.

الوالدين وكذا في بناء المجتمع، ووجوب رعايته والاهتمام به، وحفظ حقوقه، لا كما يرى الغربيون والعلمانيون« أنّ الطّفولة - كما يدّعون- لم تلق الرّعاية إلاّ بعد الإعلان عن ميثاق الطفولة في الأمم المتّحدة (...) وهو ادّعاء ينقصه الدليل، بل افتراء على الحقيقة والواقع، وتجاهل للإسلام والمسلمين.»[(1)] فإذا كان إعلان الأمم المتحدة لحقوق الطّفل في 1959/11/20م، فإنّ الإسلام أعلن هذه الحقوق وأقرّها بنظرة شاملة، وقبل أربعة عشر قرنا من الآن، ونظر إلى الطفل نظرة شاملة قبل أي حضارة أو أمم أخرى.[(2)] ولذلك« لم يسعد الأطفال في العالم، كما سعدوا في ظلّ الحضارة الإسلاميّة، لأنّ عناية الإسلام الإسلام بالنّشأة الأولى تفوق كلّ عناية، باعتبارها حجر الزاوية في بناء المجتمع الإسلامي.»[(3)]

## 3- الطّفولة في التّراث الشعري العربي:

لا يخلو الشّعر العربي القديم من قضايا الطفل وعالم الطفولة، ويمكن حصر تواجد الطّفل في الشّعر العربي من خلال رثاء الأبناء في الشعر العربي القديم، وأغاني ترقيص الأطفال.

### أ- رثاء الأبناء في الشّعر العربي القديم:

الرّثاء أشرف الشّعر وأصدقه، لأنّ الإنسان إذا فقد عزيزا تنهمر الدموع من عينيه، ويحترق قلبه، ويصعب عليه تمالك نفسه، فإذا به يصيح ويصرخ، ثمّ يقول الشعر الذي يجد فيه سلوى لآلامه ومعاناته «ومن أشدّ الرّثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلا أو امرأة لضيق الكلام عليه فيهما، وقلّة الصّفات.»[(4)]

لقد حظي الابن بالنصيب الأوفر في الرثاء عند العرب، ولنا في رسولنا" الكريم صلّى الله عليه وسلّم" أسوة حسنة حينما توفي ابنه إبراهيم، حيث راح يقول وهو يتجلّد: « **إنّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلاّ ما يرضى ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.**» [(5)]

---

[1] - محمد حسن بريغش، أدب الأطفال، ص24.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص18.

[3] - محمد بن محمود الأسروشي، جامع أحكام الصّغار، تح : عبد الحميد عبد الخالق البيزلي، ط1، بغداد، 1982م، ص9.

[4] - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج2، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001م، ص103.

[5] - البخاري، صحيح البخاري، ج1، باب الجنائز، موفم للنشر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1992م، ص439.

ولعل من أبرز الشّعراء العرب الذين رثوا أبناءهم في العصر القديم - الجاهلي - نجد أبا ذؤيب الهذلي، الذي فقد خمسة أبناء في عام واحد، فرثاهم بقصيدته العينية المتكونة من تسع وستين بيتا، أصبحت فيما بعد مثلا أعلى لرثاء الأبناء، وبات أبو ذؤيب بين الشعراء في الرثاء كالخنساء بين النّساء، وإن حاول الشّاعر أن يلوّن قصيدته بموضوعات أخرى إلاّ أنّها عكست في مجملها آلامه ومعاناته بفقدانه أولاده.[1]

يقول أبو ذؤيب مجيبا أميمة التي أقلقتها حالته، فما يكاد ينام على جنب حتّى ينقلب على آخر، وكأنّه ينام على الحصى الذي لا راحة ولا استقرار عليه:

فأجبتها أن ما لجسمي أنّه    أودى بني من البلاد فودّعوا

أودى بني وأعقبوني غصّة    بعد الرّقاد وعبرة لا تقلع[2]

إنّها الغصّة التي تلت هلاك أبنائه، فأصبح من جرّائها لا يذوق النّوم، ودموعه لا تكاد تجفّ، لأنّهم سبقوه وتتابعوا واحدا واحدا، تركوه وحيدا يعاني ألم الحسرة والفراق، وفي تكرار الشاعر عبارة (أودى بني) دليل على المعاناة الشديدة التي ألمّت به، تدفعه إلى الصراخ والعويل علّ الآخرين يسمعونه ويشعرون به، وكأنّه يريد من المستمع أن يشاركه حزنه.[3]

ويطالعنا أبو حكيم المرّي - في عصر الإسلام - بنمط جديد في رثاء الأبناء، إذ يشفق على ابنه في أن يصيبه الذّل إن هو توفي وتركه وحيدا، فالعرب قديما إنّما كانوا يشفقون على بناتهم، خشية أن يعانين الفقر والذل بعدهم، حيث يرون في البنت ضعفا وعرضا يخشى أن يهتك إذا ما غاب الأب عن البنت.[4] لذلك قال بعض الشّعراء:

لقد زاد الحياة إليّ حبا    بناتي إنّهن من الضعاف!

مخافة أن يذقن اليتم بعدي    وأن يشربن رنقا بعد صاف[5]

---

1 - ينظر: محمد إبراهيم حور، الطّفل والتراث، مدخل لدراسة أدب الأطفال في الأدب العربي القديم، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، ط1، دب، 1993م، ص207.

2 - المرجع نفسه، ص209.

3 - ينظر: المرجع نفسه، والصفحة.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص238.

5 - الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مج1، ج1، ص321.

وقال سيدي عبد العزيز الديريني - رحمه الله - متمنيا دفن ابنته قبله خوف أن يراها تعاني ألم الجوع أو الذّل والاحتقار:

أحب بنيّتي ووددت أني دفنت بنيّتي في قاع لحد

ومابي أن تهون علي لكن مخافة أن تذوق الذل بعدي

فإن زوّجتها رجلا فقيرا أراها عنده والهمّ عندي

وإن زوّجتها رجلا غنيا فيلطم خدّها ويسبّ جدّي

سألت الله يأخذها قريبا ولو كنت أحبّ النّاس عندي(1)

أمّا ما فعله أبو الحكيم المرّي مع ابنه حكيم فهو أمر جديد، أي أن يشفق على ابنه لا على ابنته – وقد خرج عمّا هو متداول لدى العرب - من أن يصيبه الذل والهوان إن هو توفي وتركه وحيدا يقول :

يقرّ بعيني وهو يقصر مدّتي مرور اللّيالي أن يشبّ حكيم

مخافة أن يغتالني الموت دونه ويغشى بيوت الحيّ وهو يتيم(2)

حتّى إذا ما مات حكيم، تألم الأب لفقده، وعبّر عمّا كان يمني نفسه في أن يشبّ ويحمل نعش أبيه عند وفاته:

وكنت أرجّي من حكيم قيامه عليّ إذا ما النّعش زال أرتدانيا

فقدّم قبلي نعشه فارتديه فيا ويح نفسي من رداء علانيا (3)

تقول إحدى الإعرابيات في رثاء ابن لها:

لا يبعدنك الله يا عمري إمّا مضيت فنحن بالأثر

هذي سبيل النّاس كلّهم لابد سالكها على سفر (4)

---

[1] - الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1-2، شرحه: مفيد علي بيضوت، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 2003م، ص321.

[2] - أبو تمام، ديوان الحماسة، شرحه: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضوت، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998م، ص189.

[3] - المصدر نفسه، والصفحة.

[4] - أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ج1-2، شرح:زكي مبارك، دار الجيل، ط4، بيروت، لبنان، 1972م، ص409.

تتحدث الأم في هذين البيتين بألم وحرقة على لحظة الفراق، وكيف لم يكن بيدها حيلة لإنقاذ ابنها الذي كانت حشرجات الموت تتتابه أمام ناظريها، وتزهق روحه، فما كان منها سوى التحلّي بالصبر والرضا بالقضاء والقدر، لأن الموت سبيل الناس كلهم، ولابدّ من اللحاق به.

وهذا جرير يرثي ابنا له يقال له سوادة هلك بالشّام يصف حسرته وألم فراقه:

قالوا: نصيبك من أجر، فقلت لهم: من للعرين، إذا فارقت أشبالي

لكن سوادة يجلو مقلتي لحم باز يصرصر فوق المرقب العالي[1]

وقال ابن الرومي في رثاء ابنه "محمد":

أبنيّ إنّك والعزاء معا بالأمسُ لفّ عليكما كفن

أبنيّ إن أحزن عليك فلي في أن فقدتك ساعة حزن

أولادنا أنتم لنا فتــن وتفارقون فأنتم محـــــن [2]

وتوجد قصائد كثيرة من هذا القبيل، قيلت في رثاء الأبناء، سواء من طرف الآباء أو الأمهات لا مجال لإحصائها في هذا المبحث.

**ب - أغاني ترقيص الأطفال:**

الغناء للأطفال هو«الترنّم بالكلمات الموزونة التي تصحب عادة مداعبة الطفل، وملاعبته، وتحريكه في المهد لينام، وهو جزء من الغناء الفولكلوري العام المجهول النشأة، الذي جرى على ألسنة العامة من الناس في الأزمنة القديمة، ثم تورث جيلا بعد جيل، طوال فترة من الزمن امتدت حتى تجاوزت عدة قرون.»[3] فالغناء للأطفال وجد منذ القدم، وكان جزء لا ينفصل عن حياة الشعوب، يمارس كشأن متكامل من شؤون عيشها اليومي، فالمرء أصبح أينما تجوّل وحلّ يسمع أنغام موسيقى تغنى، مثلا الأم

---

[1] - جرير، ديوان جرير، دار صادر، دط، بيروت، لبنان، 1991م، ص345.

[2] - ابن الرومي،ديوان ابن الرومي،ج3، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط3،بيروت،لبنان،2002م،ص434.

[3] - أحمد أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتّى نهاية العصر الأموي، دار العلم للملايين، ط2، دب، 1982م، ص19.

تغني حين تجلب الماء، أو حين تهدهد طفلها، والبائع الجائل هو الآخر يغني ليجذب انتباه زبائنه بالأغاني.[1]

واستعمال هذا النّوع من الأغاني إنما كوسيلة« لتنويم الطفل، أو لحمله على أن يكف عن البكاء، أو ملاعبته وتدليله أثناء دلك جسمه، وترقيصه على الركبة أو القدم، والتربيت على وجهه، وحثّه على أكل طعامه، وعند قرص أنفه وفرقعة أصابع رجليه، ورفعه في الهواء والتصفيق له، ومشاركته اللعب، وتعليمه الحركات البدائية البسيطة من سير وتحريك اليدين، أو عند تعليمه الكلام بمنظومات بسيطة ذات جرس قوي، ومساعدته على استعمال أصابعه وتعلّمه العدّ والأرقام، وتشجيعه على محاكاة الكبار.»[2]

فموضوع هذه الأغاني هو الطّفل ذاته. وهذا اللون«لا يدخل ضمن أدب الأطفال، وإنّما في باب الحديث عنهم.»[3]

من بين أغاني ترقيص الأطفال نجد تلك الأعرابية التي أخذت ترقص ولدها قائلة:

يا حبّذا ريح الولد　　　ريح الخزامى في البلد

أهكذا كلّ ولد　　　أم لم يلد مثلي أحـــد [4]

وهناك أعرابي راح يرقّص ولده مبينا حبّه الشديد له قائلا:

أحبّه حبّ الشّحيح ماله　　　قد كان ذاق الفقر ثمّ ناله

إذا يريد بذله بدا له [5]

وهذه فاطمة بنت رسول الله"صلّى الله عليه وسلّم" ترقّص الحسين بن علي رضي الله عنهما وتقول:

إنّ بنيّ شبه النّبي　　　ليس شبيها بعلي[6]

[1] - ينظر: أحمد أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، ص19.

[2] - المرجع نفسه، ص20.

[3] - محمد إبراهيم حور، الطفل والتراث، ص25.

[4] - الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1-2، ص268.

[5] - الدينوري، عيون الأخبار، مج2، ج3، منشورات علي بيضوت،دار الكتب العلمية، ط3، بيروت،لبنان،2003م، ص108، 113.

[6] - ابن عبد ربّه، العقد الفريد، مج2، تح:محمد التوبخي، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 2001م، ص371.

إنّ المرأة العربية ترى في أشعار المناغاة جسرا جميلا يصل قلبها بقلب طفلها، ولا يتفتق من قلبها إلاّ الحب والحنان وهي تناغي طفلها. غنّت أم البنين الوحيديّة عن طفلها " العباس بن علي بن أبي طالب" غناء عذبا:

أعيذه بالواحد

من كلّ حاسد

مسلمهم والجاحد

قائمهم والقاعد

مولودهم والوالد (1)

إنّ هذه الأبيات تسمعنا نغمة موسيقية تجذبنا، وتشعرنا بنوع من السعادة، وقد قيلت في فلذات أكباد الآباء والأمهات، وخصّصت لهم، قصد مناغاتهم وملاعبتهم أو تنويمهم، أو لأغراض أخرى يريد الوالدان تلقينها ابنهما.

ولم تقتصر عناية الأدباء بالطّفل على أغاني ترقيص الأطفال فقط، بل إنّ العرب القدماء نظموا أبياتا كثيرة في حبّ الولد، من أمثال حطّان بن المعلّى الذي قال :

لولا بنيّات كزغب القطا    حططن من بعض إلى بعض

لكان لي مضطرب واسع    في الأرض ذات الطّول والعرض

وإنّما أولادنا بيننا    أكبادنا تمشي على الأرض

إن هبّت الرّيح على بعضهم    لم تشبع العين من الغمض(2)

هنا تظهر بجلاء منزلة الأبناء عند الآباء، فكما لا يصلح الجسد دون كبد لا تستقيم حياة الآباء دون أبناء، ويؤرقهم السّهاد إذا مسّتهم ضرّاء، فالأطفال في صغرهم كالفراخ لا حول ولا قوة لهم، يقول الحطيئة لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مستشفعا بأطفاله لمّا سجنه، حين هجا الزبرقان بن بدر:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ    حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

1- ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، طبعة حيدر آباد، دط، الهند، 1964م، ص434.

2 - ابن عبد ربهّ، العقد الفريد، مج2، ص371.

غيّبت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر [1]

فشفع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للحطيئة، لا لشيء إلاّ لأجل فراخه - أولاده الصغار - فقط، عطفا عليهم مما قد يصيبهم من جوع أو هلاك.

وحتّى الرّضيع كان له حظه الوفير من الهيبة والجبروت في الجاهلية، يقول عمرو بن كلثوم في معلقته المشهورة بيتا لا يزال يتردّد على الألسنة:

إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخرّ له الجبابر ساجدينا[2]

وهو هنا يقصد:« إذا بلغ صبياننا وقت الفطام سجدت لهم الجبابرة من غيرنا.» [3] لشجاعتهم وقوّتهم في النزال.

وقال أميّة بن أبي الصّلت* ما يظهر مدى الرقة والحنان نحو ابنه:

غدوتك مولودا وعلتك يافعا تعلّ بما أدني إليك وتنهل

إذا ليلة نابتك بالشّكو لم أبت لشكواك إلاّ ساهرا أتململ

كأنّي أنا المطروق دونك بالذّي طرقت به دوني فعيناي تهمل [4]

يعبّر الشّاعر هنا عن حالته النّفسية المثقلة بالهموم طوال اللّيالي التي يكابد فيها ابنه الألم والمرض، وعيناه تنهمر بالدّموع، كأنّه هو المشتكي لا ولده، فكيف نفسّر دموع الرّجل التي لا نراها إلاّ نادرا؟

إنّها الصورة التي تبيّن مكانة الطّفل أو الولد لدى والده، فالطّفل يحتلّ مركزا رفيعا، لا ينافسه فيه منافس.

---

[1] - الحطيئة، ديوان الحطيئة، شرح: ابن السكيت، دار الكتاب العربي، دط، بيروت، لبنان، 2004م، ص153.

[2] - الحارث بن حلّزة وعمرو بن كلثوم، ديوان الحارث بن حلّزة وعمرو بن كلثوم، شرح:مجيد طراد، دار الجيل، ط1، بيروت، 1998م، ص154.

[3] - الزوزني، شرح المعلّقات السّبع، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 2002م، ص115.

* من شعراء ثقيف وحكمائها، أدرك الإسلام ولم يسلم، مات سنة 9هـ.

[4] - محمد إبراهيم حور، الطفل والتراث، ص33 ، نقلا عن أميّة بن أبي الصّلت، ديوان أميّة بن أبي الصّلت، تعليق:سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، مكتبة الحياة، دط، بيروت، دت، ص57.

## ج- نماذج من حضور الطّفل في الشّعر العربي الحديث:

التفت شعراء العرب في العصر الحديث إلى الطّفل أو الطّفولة بشكل ملحوظ في أشعارهم، في شكل موقف أوخطاب«اتّجه فيه الشّاعر بقصيدته إلى الطّفل مباشرة، فكان أن ظهر ما يعرف بأدب الطفل، خاصة بعد النّكبة، وقد مثّل هذا الموقف شعراء يحملون مشروعا تربويا يعلم الأطفال، ويمنحهم قدرا من المعرفة قد يساعدهم على رؤية عصرهم وأبعاد صراعاته المتداخلة.»(1) كما كانت الطفولة صورة استغلّها بعض الشعراء في رسم واقعهم النفسي، فتراوحت قصائد هؤلاء الشعراء بين قصائد أحلام ومرارة، وقصائد حزن وحسرة.(2)

على أنّ موضوع الطّفولة في الشّعر العربي الحديث لم يكن في الحقيقة موضوعا رئيسا للقصيدة، إنّما كموضوع جزئي داخل قصيدة ذات موضوع رئيس، كان للفرح والحزن مساحة كبيرة فيه.

من الشّعراء الذين صوّروا الطفولة في أشعارهم الشاعر" أبو القاسم الشّابي" الذي قال:

لله ما أحلى الطّفولة إنّها حلـم الحياة

عهد كمعسول الرؤى ما بين أجنحة السبات(3)

أعاد الشّاعر بعث ذكريات طفولته من جديد، ووصفها دون أن يتقمص شخصية الطفل، فالحلم هنا هو الذي يحتوي الشاعر لا الطّفولة.(4) ويبدو في هذه الأبيات الجانب الجميل للطّفولة"ما أحلى الطفولة"، "حلم الحياة"، أو نقول الطّفولة الجميلة، وهي تقابل الطّفولة التعيسة:

ذهب الصّبا وبقيت في حسراته ليت الأسى مثل الصّبا لنفّاذ(5)

يطلعنا هذا البيت على حسرة الشاعر على اضمحلال ماضي الطفولة الجميل الذي لم يدم طويلا، وهي حسرة مصحوبة بتساؤلات مليئة بالمرارة والأسى:

طفولتي، صباي، أين..أين كلّ ذاك؟

---

[1] - سليمة عكروش، صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2002م، ص15 .

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص14.

[3] - أبو القاسم الشابي، ديوان أبو القاسم الشابي، دار العودة، دط، بيروت، 1972م، ص162.

[4] - ينظر: سليمة عكروش، صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر، ص27.

[5] - إيليا أبو ماضي، ديوان إيليا أبو ماضي، دار العودة، ط1، بيروت، 1961م، ص127.

أين حياة لا يحدّ من طريقها سور [1]

هي تساؤلات تحمل في طيّاتها يأس الشّاعر من عودة زمن الطفولة الماضية التي ولّت، واستحالت حلما ضائعا.

وقد يفقد الشّاعر الطّفولة واقعا وحلما، ويعيش واقعا نفسيا مليئا بالألم والندم على ما فقد:

"أهكذا السنون تذهب؟

أهكذا الحياة تنضب؟" [2]

وتتحسّر فدوى طوقان كذلك على عهد الطّفولة الذي ذهب ولم يعد:

"أهكذا في فوران الصّبا يطويك إعصار الفنا المريع" [3]

ويشعر عبد الوهاب البياتي الشّعور نفسه:

"أكذا نموت بهذه الأرض الخراب

ويجفّ قنديل الطفولة في التراب" [4]

هذه بعض النّماذج الشّعرية التي أوردناها، والتي انعكست فيها صورة الطّفل أو الطّفولة، في القرآن والحديث، وفي الشّعر العربي القديم والحديث.

---

[1] - بدر شاكر السيّاب، ديوان بدر شاكر السّياب، مج1، دار العودة، دط، بيروت، 1971م، ص146.

[2] - المصدر نفسه، مج1 ، ص148.

[3] - فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، دار العودة، ط1، بيروت، 1978م، ص21.

[4] - عبد الوهاب البياتي، ديوان عبد الوهاب البياتي، ج2، دار العودة، دط، بيروت، 1972م، ص158.

## 4- في الفن القصصي العربي الحديث:

تحظى قصص الكبار بصور للأطفال، حيث يحتل الطّفل موقعا متميّزا وأحيانا رئيسا في الرواية والقصّة القصيرة، بما يصوّر موقف الطّفل في أسرته، وتجربته في المجتمع.

### أ- في الرّواية:

كثيرا ما نجد حضور الطّفل في النّص الروائي، خاصة روايات السيرة الذاتية، التي تتّخذ من ذكريات الطفولة المنطلق الأساسي، نذكر على سبيل المثال: رواية "الأيّام" لطه حسين، وبالتّحديد في الجزء الأول الذي يحكي عن ذكريات الصبا للأديب الطفل "طه حسين"الأعمى، وما عاناه ولاحظه من فروق بينه وبين إخوته في تصوّر الأشياء وممارستها، هذا الطّفل القروي الذي أسهمت في تشكيل فكره ووجدانه عناصر عدّة، هي خليط من الخرافة والجهل والأسطورة والخيال الشعبي، ليضفي كل ذلك على صورة الطفل ظلالا رقيقة من الخيال والخوف من الظلام: ظلام العقل، وظلام العين.[(1)]

والجزء الأول يصوّر الطفل "طه حسين" في علاقته بمن حوله وما حوله - الأسرة والمجتمع- تصويرا تحليليا « كان سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه، وخامس أحد عشر من أشقته. وكان يشعر بأن له بين هذا العدد الضخم من الشباب والأطفال مكانا خاصا يمتاز من مكان إخوته وأخواته... كان يحسّ من أمه رحمة ورأفة، وكان يجد من أبيه لينا ورفقا، وكان يشعر من إخوته بشيء من الاحتياط في تحدثهم إليه ومعاملتهم له، ولكنّه كان يجد إلى جانب هذه الرحمة والرأفة من جانب أمّه شيئا من الإهمال أحيانا، ومن الغلظة أحيانا أخرى، وكان يجد إلى جانب هذا اللين والرفق من أبيه شيئا من الإهمال أيضا.»[(2)]هنا تبدو مكانة الطفل"طه حسين" بين أسرته، وكيفية معاملته كونه طفلا أعمى «أحسّ أن أمه تأذن لإخوته وأخواته في أشياء تحظرها عليه، وكان ذلك يحفظه ولكن لم تلبث هذه الحفيظة أن استحالت إلى حزن عميق، ذلك أنّه سمع إخوته يصفون ما لا علم له به فعلم أنّهم يرون ما لا يرى.»[(3)]

ثمّ ينتقل إلى الحديث عن اللّعب المفضّلة أو بالأحرى المتاحة لمثله:« كان أحبّ اللعب إليه أن يجمع طائفة من الحديد وينتحي بها زاوية من البيت، فيجمعها ويفرّقها ويقرع بعضها ببعض (...) عرف أكثر ألوان اللعب دون أن يأخذ منها بحظ، وانصرافه هذا عن العبث حبّب إليه لونا من ألوان اللّهو، هو

---

[1] - ينظر: طه حسين، الأيّام، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، عين مليلة، الجزائر، دت.

[2] - المصدر نفسه، ج1، ص16.

[3] - المصدر نفسه، والصفحة.

الاستماع إلى القصص والأحاديث، فكان أحبّ شيء إليه أن يستمع إنشاد الشاعر، أو حديث الرجال إلى أبيه والنساء إلى أمّه، ومن هنا تعلّم حسن الاستماع.»[1] ويستمر استحضار الجوّ الطّفولي في الجزء الأول من الأيّام في مواقف أخرى كثيرة ومثيرة.

ومن روايات السيرة الذاتية أيضا رواية "حكايات حارتنا" لنجيب محفوظ، هي مجموعة من الحكايات تدور حول طفولة الكاتب، حيث يرتدّ الراوي أو نجيب محفوظ المتخفي وراء قناع الراوي ذهنيا إلى مرحلة الطّفولة، ويطرح قضايا دينية واجتماعية وإنسانية عامة هي: المرأة والجنس والدين والسياسة والموت والحياة، وحتى يبقى محايدا في طرحه، فإنّه يقدّمها من خلال عيني طفل.[2]

وتتراءى الطّفولة الشقيّة البائسة لدى الروائي السوري "حنا مينة" في كثير من رواياته منها رواية "بقايا صور" التي تحمل مناظر أصلية مطابقة لحياة حنا مينة في طفولته وعلاقته بأسرته وبأفراد مجتمعه، باعتبار طفولة الكاتب هي الشعاع الذي يلّح على ذهنه، فأعاد استحضار هذا الماضي وتجارب طفولته ومغامراتها الشقيّة والسعيدة. [3] وقد رافق هذه الطفولة البائسة حضور البحر«يزداد حب الطفل وشوقه للبحر، خاصة عندما يحسّ بأهميته إذ أصبح حبه له يماثل حبه لأمّه، إنه هنا يشعرنا باكتشاف جديد شبيه باكتشاف الطفل للعبة جديدة، ويبقى حضور البحر يحمل معنى التنفيس عن الهموم اليومية للطفل.»[4]

وفي رواية "المستنقع" الجزء الثاني من السيرة الذاتية، يواصل حنا مينة سرد واقعه الطفلي والواقع التاريخي«مقدّما نظرة وموقفا من العالم من خلال رواية الوقائع في حياة ذلك الطفل، لا بوعي طفولي ساذج، وإنما بوعي ناضج يعيد بناء الزمن (...) فالطفولة هنا مجرّد وسيلة إبلاغية، ولهذا أتت صورة الطفل نقدية تحليلية، لأنها كانت بعيني رجل وليس بعيني طفل.» [5]

كما تتجسّد صورة الطّفل الشّقي في رواية "مغامرات الطّفل المتمرّد" لأحمد سفطى، التي يعكس مضمونها بحق عنوان الرواية، وتدور الأحداث كلّها حول هذا الطّفل الشّقي المتمرّد على تقاليد المجتمع،

---

[1] - طه حسين، الأيام، ج1، ص19.

[2] - ينظر: نجيب محفوظ، المؤلفات الكاملة، مج4، حكايات حارتنا، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.

[3] - ينظر: حنا مينة، بقايا صور، دار الآداب، ط4، بيروت، 1984م.

[4] - باية خوجة، صورة البحر في روايات حنا مينة، دراسة أدبية ومقارنة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 1995-1996م، ص60.

[5] - المرجع نفسه، ص61.

الذي يهوى المغامرة كثيرا«دعاني يوما أحد أصدقائي من المدرسة القرآنية أن نفر من الجامع والتغيب عن الدرس، فشقّ عليّ الأمر، ولكن رغبة المغامرة تغلّبت عليّ ورافقته مع أخيه إلى الغابة التي توجد فوق نفق السّكة الحديدية بعد قطع الوادي، فسلكنا الطريق وتسلقنا إلى الكدية، ثمّ إلى الأماكن الوعرة، ولعبنا مثل القردة على الأغصان والألياف، ثم قطفنا الأزهار البرهوشة مثل الأقحوان والبنفسج.»[1] إنّها صور المغامرة والتمرد التي تطبع حياة الأطفال.

وبالنسبة للرواية الجزائرية الحديثة، فإنّ موضوع الطّفل أو الطّفولة له مكانة خاصة، وتناوُل الروائيين الجزائريين للطفولة تجلّى في مظهرين: إمّا بتخصيص روايات كاملة تحمل عناوين ترتبط بالطفولة مباشرة مثل: أطفال العالم الجديد "لآسيا جبّار" و"أطفال الأيام الكئيبة" لبنور موهوب، وإمّا أن يكون البطل الرئيسي في الرواية طفلا، كما يظهر في ثلاثية محمد ديب" الدار الكبيرة، الحريق، النّول" التي تدور أحداثها حول حياة صبي اسمه "عمر"، الذي عايش مأساة الثورة ومعاناتها[2]، وهنا تبدو«اليقظة النفسية والعقلية والعاطفية البطيئة للبطل عمر ترمز إلى ميلاد ضمير جزائري متلهف على الاعتراف به، مصرّا على الحصول على الاعتراف مهما كانت الوسائل.»[3] ونذكر أيضا رواية مرزاق بقطاش "طيور في الظهيرة"، التي ترصد يوميات الطّفل "مراد" مع أقرانه من الأطفال، في المدرسة وفي الحيّ الذي يقطنه أيام الثورة الجزائرية.[4]

وتتكثّف العودة إلى الطّفولة بقوّة في روايات رشيد بوجدرة « فالطفولة في رواياته حاضرة أكثر من حضورها عند أي كاتب جزائري آخر.»[5] ومن رواياته:" الحلزون العنيد"، "الرعن"، و"معركة الزقاق" وغيرها.[6]

---

1 - أحمد سفطى، مغامرات الطفل المتمرد، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1985م، ص60.

2 - ينظر: محمد ديب، الدار الكبيرة، تر:فارس غضوب، منشورات anep، دط، الجزائر، 2007م، وينظر:الحريق، تر:فارس غضوب، منشورات anep ، دط، الجزائر، 2007م، وينظر: النّول، ثلاثية محمد ديب، تر: سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، ط3، بيروت، لبنان، 1981م.

3 - أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط5، الجزائر، 2007م، ص98.

4 - ينظر: مرزاق بقطاش، طيور في الظهيرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1981م.

5 - بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، جامعة تيزي وزو، 1991-1992م، ص51.

6 - ينظر: رشيد بوجدرة، الحلزون العنيد، تر: هشام القروي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1981م، وينظر: الرعن، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م، وينظر:معركة الزقاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986م.

ب – في القصة :

اهتمت القصة كذلك ومنذ القديم بموضوع الطّفل، وإن لم تخصّص عناوين خاصة تتناول الطّفل مباشرة، بل عن طريق إدراج بعض المواضيع التي تخصّ الطّفل أو الطّفولة، فهذا الجاحظ مثلا في"البخلاء" يشير إلى حرص الرجل والمرأة على الطفل "ذكرا وأنثى"، من خلال قصة "مريم الصنّاع"، تقول القصة في حوار بين الزوج والزوجة على لسان شيخ:« (...) زوّجت ابنتها، وهي بنت اثنتي عشرة سنة، فحلّتها الذهب والفضة وكستها المروي والوشي والقزّ والخزّ وعلّقت المعصفر، ودقت الطيب، وعظمت أمرها في عين الختن، ورفعت من قدرها عند الأحماء، فقال لها زوجها: أنّى لك هذا يا مريم؟ قالت:هو من عند الله. قال: دعي عنك الجملة وهاتي التفسير، والله ما كنت ذات مال قديما ولا ورثته حديثا... قالت: اعلم أني منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها كنت أرفع من دقيق كلّ عجنة حفنة، وكنا كما قد علمت، نخبز في كل مرة، فإذا اجتمع من ذلك مكّوك بعته.»[1]

ومن القصص العربية الحديثة التي احتفت بتصوير الطّفولة نجد: المجموعة القصصية "نداء المستقبل" للكاتبة التونسية " فاطمة سليم " في قصة" نادية "، هي طفلة صغيرة مرحة«تحب اللعب مع بنات الجيران في السقيفة أو في الزقاق، تقفز بالحبل، تلعب الغميضة، تمثّل الأدوار، تتخيل نفسها ربة دار، تفصّل وتخيط وتطهو وتزغرد. تحب ساحة المدرسة وأركانها الظليلة والمربعات الكبيرة تقفزها مع زميلة لها (...) وتحب حصة الأناشيد والألحان الجميلة.»[2] ثم تسرد ما تحبّه نادية وما تكرهه؛ فهي تحب حصتي الرياضة والتعبير، وتكره حصتي الحساب والتاريخ.[3] وتنتهي القصة بأن تقرر نادية مغادرة المدرسة للأبد بسبب اتهامها بسرقة نقود إحدى زميلاتها في المدرسة، لأنها كانت آخر من خرج من قاعة الدراسة، ونتيجة قسوة المعلمة والمديرة في تعاملهما معها، وعدم تبرئتها رغم عدم ثبوت إدانتها،«ومن يومها وصمت نادية، وذابت ضحكاتها وقل نشاطها، ونفرت منها الصويحبات، أينما توجهت نادية تراقصت أمام عينيها مناظر السرقة ولاحقها الهمس والغمز.»[4] وبعد حادثة السرقة كرهت نادية المدرسة

---

[1] - الجاحظ، البخلاء، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، بيروت، 1980م، ص49.
[2] - فاطمة سليم، نداء المستقبل، مجموعة قصصية، دار بوسلامة، للطباعة والنشر، دط، تونس، 1978م، ص89.
[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص91.
[4] - المصدر نفسه، ص95.

والمعلمين، والتلامذة واللعب، وكثر غيابها عن المدرسة، وتراجع تحصيلها الدراسي، وتحطمت معنوياتها، لتقرر في الأخير ترك المدرسة وعدم الرجوع إليها.[1]

ثمّ هناك في "الرحلة الأخرى"، مجموعة قصصية لـ "مختار بوخريص" قصة عنوانها "الطفل والكلب"، تدور وقائعها حول الطفل "أنيس" الذي أحبّ جروه كثيرا، وحين دهسته سيارة تألم لفقدانه، وعاش حالة انطواء واكتئاب، نتيجة الحسرة التي ملأت قلبه بسبب فقدانه كلبه. [2] فهي تعالج مسألة الرأفة والشفقة على الحيوان.

كذلك نجد قصة "الصديقان" في المجموعة القصصية "حياة قاسية" للكاتب اليمني "شاكر خصباك"، التي تصوّر صداقة طفلين:"حسين وعدنان"، تربطهما صداقة حميمة قوية، إذ أنّ عدنان كان دائما يتبرع بعشائه لحسين، هذا الأخير الذي كان والده متسلّطا - لا يعمل يأكل صحن الطعام كلّه ويضرب زوجته - فلجأ حسين إلى العمل في السوق طوال اليوم، جرّاء مغادرة أبيه لأبنائه، فترك حسين اللّعب مع عدنان وأقرانه في الزقاق، ليعود الأب في نهاية القصة بعد غياب طويل، بصورة مخالفة للأولى، فقد وجد عملا، وجاء بالمال الوفير، وحمل معه حملا ذبيحا، فأعاد بعودته السرور والفرح إلى المنزل، حينها سرّ حسين «وهتف بفرح: سنلعب غدا طول النهار يا عدنان.»[3] هنا نلاحظ مدى تأثير حالة الأب وسلوكه على أبنائه وأسرته، خاصة الابن، وكيف يكون الابن الضحية الأولى لهذه اللامبالاة، وكيف ضحّى حسين بأبسط حقوقه في مرحلة الطفولة، ألا وهو حق اللّعب، وذلك من أجل توفير قوت أسرته.

وللقاص السوري "اعتدال رافع" مجموعة قصصية بعنوان "رحيل البجع"، تتعلق بالأطفال، ومنها خاصة قصة "وديع والكلب"، تحكي قصة طفل يتيم "وديع"، الخائف من الذهاب إلى المدرسة بسبب كلب كبير يقطع طريقه في كل مرة، وهو«كلب كبير داكن الوبر لاح له عند مفترق الطريق وهو يكشر عن أنيابه ويطلق نباحه الوعيد.»[4] لكن وبفضل تشجيعات أمّه المستمرة استطاع مواجهة الكلب بالحجر «ومنذ تلك اللّحظة عرف وديع أن خير وسيلة للدفاع عن النفس هي الهجوم، تبدلت ملامحه واكتسبت

[1] - ينظر: فاطمة سليم، نداء المستقبل، ص96.

[2] - ينظر: مختار بوخريص، الرحلة الأخرى، مجموعة قصصية، دار سحر للنشر، ط1، تونس، 2007م.

[3] - شاكر خصباك، حياة قاسية، مجموعة قصص، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط4، صنعاء الجمهورية اليمنية، 1996م، ص48.

[4]- اعتدال رافع، رحيل البجع، قصص عربية، منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق، سوريا، 1998م، ص92.

مظهرا جديدا لا يمت إلى القديم بصلة. رمى الحجر من يده وبصق وتابع طريقه إلى المدرسة»[1] هو كلب عادي يخشاه الأطفال، ولكن بالشجاعة يزول الخوف، فلقد تحدّى وديع الكلب وغلبه.

وفي القصة المصرية يتكرر نموذج الطفل كذلك، إذ يتطرق القاص "رجب البنا" في مجموعته "ابتسامة صغيرة" إلى عالم الطّفل ومغامراته، من ذلك قصة "حكاية عم سلامة" التي تصوّر عالم الطّفل وعلاقاته وتطلّعاته، وتلك العلاقة الحميمة بين الجيلين: جيل الأجداد وجيل الأحفاد. كان الأطفال شديدي التعلّق بالعم سلامة، الذي يقص عليهم الحكايات، ويغدق عليهم بحبات الحلوى، أمّا أعمارهم«كنّا صغارا.. أكبرنا لم يتجاوز العاشرة وكان عم سلامة وحكايته يشغلان عالمنا الصغير، ويحركان في خيالنا أشياء مثيرة.»[2]

وذات يوم حين غاب العم سلامة، قرر أحد الصغار أن يتقلد دور الراوي، إلاّ أنّ الأطفال لم يجدوا للقصة المتعة أو اللذة نفسها التي كانوا يجدونها مع العم سلامة، وحين علموا بموت العم أسفوا كثيرا، وهكذا مات نموذج الأبوة.

وضمن المجموعة قصة أخرى هي"ليلة عيد"، وفيها يحضر نموذج الطّفل الفقير المحروم، الذّي يقف بين الناس منكمشا، لا مال له ولا أب، يراقب حركة السوق ليلة العيد، حيث يصطحب الآباء أبناءهم ويشترون لهم الملابس والهدايا أمّا هو فمحروم من ذلك، حينها تصدمه دراجة، فيبكي ويتجمع الناس حوله، ويشفقون عليه بتقديم ورقة مالية له.[3]

## 5- في الرواية والقصة العالميتين:

أحبّ كثير من المفكرين والعباقرة والكتّاب الكبار الطّفولة والأطفال، وأولوهم اهتماما وعناية كبيرة في مختلف كتاباتهم، ومما يروى في هذا المجال« أنّ الروائي"تور جنيف" كان يقضي معظم أوقات فراغه ملاعبا طفلا روسيا يدعى"إليوشا"، وكان الروائي"تولستوي" مولعا بالركض ولعب الكرة مع الصّغار من أبناء الفلاحين، أمّا"جان جاك روسو" فإنّه كان يقف خاشعا أمام من يصادفه من الأطفال، ويشعر

---

1 - اعتدال رافع، رحيل البجع، ص100.

2 - رجب البنا، ابتسامة صغيرة، مكتبة الأسرة، دط، دب،1997م، ص47.

3 - ينظر: المصدر نفسه، ص87.

بالسّعادة ويضحك، ويشاركهم اللّعب خارجا عن وقاره. وحين سئل"هربرت سبنسر" ماذا كنت تود أن تكون لو لم تكن فيلسوفا؟ فأجاب : "كنت أودّ أن يكون لي عقل فيلسوف وروح طفل".»[1]

من النّماذج الروائية العالمية التي عالجت موضوع الطّفل نجد روايات السيرة الذاتية التي تركز كثيرا على ذكريات الطّفولة منها:«روايتا "تشارلز ديكنز:"أوليفر تويست" و"دومبي وولده"، ورواية "مونفليت" لـ "ميد فوكنر"، ورواية "أطفال الغابة الجديدة" لـ"كابتن فردريك ماريات" وروايات أخرى.»[2] تدور أحداث رواية "أوليفر تويست" حول طفل صغير غير شرعي اسمه "أوليفر تويست"، تموت أمّه بعد ولادته مباشرة، ليلتحق بالملجأ؛ المكان الذي عانى فيه أطفال الملجأ معاناة قاسية، وجوعا مدقعا، فاختاره الأطفال للمطالبة بزيادة كمية الطعام المقدم لهم، فكان الرد بحبس الولد المشاغب في غرفة معزولة، لتتواصل حكاية الطفل الصغير المأساوية مع اللّصوص الذين صادفهم في الشارع، وأصبح واحدا منهم. أمّا رواية "دومبي وولده" فتصوّر تفضيل الأب لابنه على ابنته، فيؤدي اعتزازه بابنه "بول" على أخته إلى إهمال مشاعر الابنة " فلورنس"، ليدرك الأب في النّهاية، وبعد موت ابنه أنّ الأنثى كالذكر سواء بسواء، وربما كانت خيرا منه، لأنها ستنجب له أحفادا ينادونه: جدّي.[3]

وللكاتب - تشارلز ديكنز- رواية أخرى بعنوان "دايفيد كوبرفيلد" « تدور ثلاثة أرباع الرواية حول طفولة الكاتب ومراهقته، وإذا ما نحن أتينا إلى طبيعة هذه الذكريات الطفولية ، نجدها لا تكاد تخرج عن موضوع البؤس والحرمان والشقاء. حيث يولد الطفل "كوبرفيلد" بعد موت أبيه، ثمّ تتوفى أمّه أيضا بعد سنوات قليلة وهو ما يزال طفلا.»[4] حيث يشتدّ شقاء الطّفل اليتيم، والطفولة البائسة المرفوقة بالحرمان والفقدان، التي تخلّف لدى المرء الشعور بالتعاطف مع هذا البائس المحروم والمشاهد«المؤلمة هي التي تستعصي بالأحرى على النسيان، وهي التي تعاود المرء مرارا وتكرارا، مهما يفعل ليكتمها ويقمعها، وتقض مضجعه بلا انقطاع، ومنها على سبيل المثال ذكريات الهوان والمذلة، هذه حقيقة لا ريب فيها.»[5]

---

1 - يوسف حسن نوفل، القصة وثقافة الطفل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، دب، 1999م، ص80، 81.

2 - منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 1997م، ص19.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص20.

4 - بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، ص9.

5 - سيغموند فرويد، مدخل إلى التحليل النفسي، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1980م، ص82.

ويعتبر"جيمس جويس" من كتّاب السيرة الذاتية الذين تحدثوا عن طفولتهم ضمن روايته"صورة الفنان في شبابه"، التي تروي تجارب طفولته القاسية، وإن لم يستخدم فيها ضمير المتكلّم إنّما اخترع بطلا اسمه"ستيفن ديدالوس". [1]

وتتجلّى التّجربة الشّخصية في الطّفولة بشكل مباشر في رواية "طفولتي" لـ "مكسيم غوركي"، حيث تصبح الرواية رصدا لطفولة مؤلفها، وتسجيلا لمرحلة مهمّة من مراحل حياته، ويتكرر نموذج الطّفل اليتيم أيضا في هذه الرواية، إذ يموت الأب، لينتقل الطفل "بشكوف" مع أمّه إلى بيت جدّيه، حينها تبدأ المأساة، فيقرر الجدّ بعد وفاة أمّ بشكوف أن يدفع به إلى العالم ليتدبّر شؤون مأكله ومشربه. [2]

ومن النّماذج القصصية العالميّة التي اتسعت مساحاتها للطّفل نذكر:"الحديقة السريّة "لـ "فرانسيس هودغس بيرنت"، وهي مجموعة قصص عالمية، يبلغ عددها 27 قصة، تحكي كلّها مغامرات طفلة صغيرة نحيلة وبشعة تدعى "ماري لينوكس" التي فقدت أبويها، فاحتضنها خالها، وكانت طفلة مشاكسة فحين« بلغت السادسة أصبحت كخنزير صغير أناني ومستبد، أمّا المربية الإنكليزية الشابة التي جاءت لكي تعلّمها القراءة والكتابة لم تحب الصغيرة على الإطلاق، حتى أنّها تخلّت عن وظيفتها خلال ثلاثة أشهر، وعندما جاءت مربيات أخريات في محاولات أخرى، كنّ يغادرن في مدّة أقصر من المدّة التي استمرت بها المربية الأولى.»[3] وتستمر مغامرات الطّفلة المشاكسة اليتيمة في قصة "الآنسة ماري مشاكسة حقا "، والتي ترصد لنا مغامرات شيّقة للطّفلة ماري في منزل خالها.

وفي قصة "الولد الذي عاش مع النعام" ترسم لنا الكاتبة السويدية "مونيكا زاك" صورة الطفل الضائع "هدارة"، وهي قصة حقيقية ممزوجة بالخيال، دارت أحداثها في صحراء الجزائر، تحكي عن طفل يدعى "هدارة"، فقدته أمّه وعمره لا يتجاوز السنتين إثر هبوب عاصفة رملية عنيفة، فضاع الطّفل ووجد نفسه وحيدا وسط سرب من طيور النّعام، عاش سنوات طويلة مع النعام وأصبح مثلهم، تبنّوه واحتمى بهم أكثر من عشر سنوات، إلى أن جاء اليوم الذي عثر عليه من طرف البشر ليعود من جديد ويتكيّف مع حياة الإنسان. [4]

وفي المجموعة القصصية "بلد المرايا المحظورة" قصة "الطفل والقطة" للكاتبة الألمانية "كريستينا لانجه"، التي تروي مغامرات طفل صغير مع قطّته "أنوشكا" التي أحبّها، وحزن كثيرا لموتها بعدما دهستها

---

[1] - ينظر: بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، ص11.

[2] - ينظر: منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، ص31.

[3] - فرانسيس هودغس بيرنت،الحديقة السريّة، تر:نعمت توفيق صناديقي،منشورات وزارة الثقافة،دط،دمشق،1999م، ص3.

[4] - ينظر: مونيكا زاك، الولد الذي عاش مع النعام، تر: راوية مرة، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2007م.

سيارة، وبدأت«تتساقط الدموع من عينيه حزنا على قطته السوداء الحبيبة وينفجر باكيا، وعندما جلست الأسرة الصغيرة إلى مائدة الطعام، رفض الطفل تناول طعام الغذاء، وجلس بالقرب من أمه وهو يتساءل: لماذا؟ لماذا ماتت؟ وأين أنوشكا الآن؟»[1] ولكنّه في الأخير تقبّل فكرة موتها، وكتب اسمها على قبرها، وذلك بمساعدة والديه اللذين قررا عدم إخفاء أمر موت القطة عنه، وإقناعه بأنّ«الموت جزء من الحياة نفسها، وأنّه قدر لا يمكننا رده، ولا يحق لنا أن نخفيه عن الطفل. لماذا لا نمنح الطفل فرصة التعرف على الموت ومواجهة الحياة على حقيقتها، حتى لو كان في ذلك تجربة صعبة له. وبعد ذلك نترك له الحرية في إبداء رغبته باقتناء قطة أخرى بدلا من قطته أنوشكا؟»[2] هنا نلمس الرأفة بالحيوان في صورة الطّفل العطوف أو الحنون على الحيوانات.

كما نلحظ حضور الطّفل في قصة "في منزل الأرملة"، هي مجموعة قصص لـ"أنطوان تشيكوف"، من خلال قصة "الطّفل المشاكس"، التي تدور أحداثها حول طفل مشاكس حقا يدعى "كوليا"، تلميذ في المدرسة الثانوية، طلب نقودا من خطيب أخته مقابل عدم إخباره أمّه برؤيتهما يتبادلان القبلات، فأصبحا منذ ذلك يقدمان له كثيرا من اللّعب والهدايا ثمن سكوته، مما أعجبه وجعله يواصل التجسّس عليهما أينما كانا، لينال منهما الكثير.[3]

كان هذا عرضا لحضور الطّفل في القرآن والحديث، وفي التراث الأدبي العربي، وبعض النماذج في الشعر العربي الحديث، وفي الرواية والقصة العربية الحديثة، وفي الرواية والقصة العالميتين، لإبراز مدى حضور الطفولة في الأدب العربي القديم والأدب العالمي، وأنّ الأدباء العرب قديما وحديثا لم يغفلوا عالم الأطفال وقضاياهم ومشاكلهم، وأنّ موضوع الطفل كان حاضرا باستمرار في أعمال الكتّاب والشّعراء، ما يؤكّد الأهمية التي أعطيت لهذه الفئة التي تمثل لذة الحياة للآباء والأمهات. وسوف نعرض الآن صورة الطفل في أدب الطفل، بالتركيز على استجلاء هذه الصور في القصص الجزائرية الموجهة للأطفال.

---

[1] - عدد من المؤلفين، بلد المرايا المحظورة، قصص قصيرة من الأدب العالمي، تر: أحمد كمال حمدي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2005م، ص17.

[2] - المصدر نفسه، والصفحة.

[3] - ينظر: أنطوان تشيكوف، في منزل الأرملة، قصص، تر: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2003م، ص81.

# الفصل الأول:

## صورة الطّفل في أدب الطّفل.

1- التّعريف بأدب الطّفل.

2- الحاجة إلى أدب الطّفل.

3- أنواع أدب الطّفل:

4- حضور التراث في أدب الأطفال.

5- التّعريف بالصّورة.

6- نماذج من صورة الطّفل في قصص الأطفال:

أ- قصص الأطفال العالمية.

ب- قصص الأطفال العربية.

ج- قصص الأطفال في الجزائر.

## 1-التّعريف بأدب الطّفل:

هناك أدب موجه للكبار وأدب موجه للصغار أو ما يسمى بأدب الطفل.

يتمثل أدب الطّفل في تلك « الآثار الفنية التي تصور أفكار وإحساسات وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكال: القصة، والشعر والمسرحية، والمقالة، والأغنية.» [1] نستخلص من هذا أنّ أدب الأطفال هو كل ما يُقدّم للطّفل من مادة أدبية تراعي خصائصه وحاجاته ومستويات نموّه، وتسهم في بناء الأطر المعرفية الثقافية، والعاطفية والقيمية، والسلوكية المهارية، وصولا إلى بناء شخصية سوية متّزنة، تتأثر بالمجتمع الذي تعيش فيه، وتؤثر فيه تأثيرا إيجابيا. ومن هنا تبرز ضرورة أن يكون للأطفال نوع من الأدب خاص بهم، وموجّه إليهم، يجدون فيه حاجتهم النفسية والتربوية.

ومن أهم ما يميز أدب الصغار ( أدب الأطفال ) عن أدب الكبار نذكر ما يلي:

- أدب الكبار تبدعه القرائح، وفي ظل مطالب الحياة تتم عملية الإبداع، دون شروط سابقة وتوجهّات خاصة، أمّا أدب الأطفال فإنه يصاغ في ظل شروط، وينطوي على التوجيه، وغرس القيم المختلفة التربوية والأخلاقية والاجتماعية... في المتلقين، وهو يصوّر حياة لا تضبطها قواعد وتقاليد بقدر ما يحيط بها من آمال وطموحات وأحلام، كما أنّ المبدع لا يعيش تجربة بشرية كاملة، وإنّما يعيش موقفا تربويا، ويتسلّح برؤية إنسانية أخلاقية ينقلها للمتلقي قصد التربية والتوجيه.[2]

- يتمثل أدب الأطفال في أكثر صوره كونه محاولة لتبسيط أدب الكبار، ومعناه أن الكبار هم الذين يحاولون صياغة أطفالهم على وفق ما يرغبون.

- أدب الصغار أدب خيالي، ينمو بداخله حنين الوجهات الإيجابية، أما الأدب الذي يقدم للكبار فإنه يعبر عن ذاتنا اتجاه الوجود والمصير.

- يحتاج أدب الأطفال إلى مهارة عميقة في فهم نفسيات الأطفال وأحوالهم، على عكس أدب الكبار الذي يعكس في غالبه أحوال كاتبه النفسية وأحواله المزاجية. [3]

[1] - هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، دت، ص72.

[2] - ينظر: سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال، ص44.

[3] - ينظر:المرجع نفسه، والصفحة.

وقد ظهر أدب الطّفل كمصطلح في العصر الحديث في فرنسا، وذلك في القرن السابع عشر، ولم يكن الكاتب يكتب اسمه خشية الحط من قدرته أمام الناس كونه يكتب للصغار، إلى أن جاء الشاعر الفرنسي "تشارلز بيرو" الذي كتب قصصا للأطفال بعنوان " حكايات أمي الإوزة " ووضع له اسما مستعارا، وقد لاحظ الإقبال الشديد والواسع على هذه القصص، فألّف مجموعة أخرى بعنوان " أقاصيص وحكايات الماضي" وقد كتب اسمه واضحا عليها. وبعد تشارلز بيرو جاءت محاولات كتابة قصص أخرى للأطفال من قبل الكاتبة الفرنسية " لبرتس"، ومن قصصها قصة بعنوان " مخزن الأطفال". وهذه عبارة عن محاولات أوليّة كانت لم تأخذ مكانها في الوسط الأدبي، ولذلك يمكن القول إنّه إلى ذلك الحين لم تظهر الكتابة الأدبية الجادة للأطفال إلاّ في القرن الثامن عشر على يد " جان جاك روسو" في كتابه " اميل" الذي اهتم بدراسة الطفل كإنسان قائم بذاته وشخصيته المستقلة، وبعد ذلك تمت ترجمة قصص ألف ليلة وليلة إلى اللغة الفرنسية، كما صدرت أيضا أول صحيفة للأطفال في العالم باسم " صديق الأطفال". [1]

ومن البلدان التي اشتهرت بأدب الطّفل زيادة على فرنسا " انجلترا "، التي ترجمت عن فرنسا قصصا كثيرة من قبل المترجم الانجليزي" روبرت سامبر" الذي ترجم حكايات وقصصا لتشارلز بيرو، جاء بعده "جون نيوبري" وأعاد صياغة قصة "رحلات جاليفر" التي ألّفها الكاتب الانجليزي الساخر"جاناثان سويفت"، لكنّه أعاد صياغتها بما يلائم لغة الأطفال لأنّ جاناثان لم يوجّه قصته هذه خصيصا للأطفال، إنّما هي قصة خيالية تجسّد شخصية جاليفر الحالم المغامر فيما وراء البحار، وبلاد العمالقة والأقزام، باحثا عن السعادة. ثم تليها قصة " أليس في بلاد العجائب" لـ " لويس كارول" التي أصدرها عام 1865م، والتي تعتبر من أشهر القصص الانجليزية التي كتبت للأطفال.

واستمر بروز الكتابة للأطفال حيث برزت كتابات الأطفال في ألمانيا من خلال "حكايات الأطفال والبيوت "، وهي قصص تعتمد على الخرافة والأسطورة، ثم تلتها قصص أخرى في البلدان الأوروبية الأخرى في هذا المجال كالدانمارك وإيطاليا وأمريكا. [2]

[1]- ينظر: عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، الأردن، 2005م، ص94.

[2]- ينظر: محمود حسن إسماعيل، المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 2008م،ص24،25.

لكن يمكن القول إنّ أدب الطّفل أو أدب الأطفال « لم يظهر بصورة متكاملة إلاّ منذ القرن العشرين، وإن سبقت محاولات ذلّلت الطريق ووضعت لبنات لبنيان صار شامخا صلبا في أقطار العالم كلها، بما فيها الوطن العربي الذي ساير تطور الأدب فيه مختلف الجوانب الأخرى، واحتل أدب الأطفال مكانة متوسّطة ضمن اهتماماته المختلفة.» (1)

***أدب الطّفل في الوطن العربي:**

قبل الحديث عن نشأة أدب الطّفل عربيا، لابد من الإشارة إلى وجود بعض القصص والحكايات في العصر الجاهلي، والتي يمكن اعتبارها النواة التكوينية الأولى لهذا الأدب، وقد كانت مضامينها الرئيسة نابعة من الأساطير والخرافات المنقولة شفويا عن الأمم والشعوب الأخرى مثل الفرسان والرومان، التي اتصلت بها العرب في الجاهلية من خلال التجارة أو من خلال الحروب والغزوات، كما شكّلت الغزوات التي دارت بين القبائل العربية مثل: داحس والغبراء، والغزوات التي كانت بسبب توفير الماء والعشب لمواشيهم مصدرا من مصادر هذا الأدب.

لذلك اقتصرت البداية في هذا الأدب غير المكتوب على رواية القصص والحكايات الخرافية* التي تركّز على الفروسية والمغامرة، والقصص والحكايات التي تظهر العادات العربية الأصيلة في حب الضيف وإكرامه، رغم صعوبة الحياة وقسوتها في الصحراء العربية القاحلة. (2)

وازداد ظهور أدب الأطفال في العصر الإسلامي، إذ أخذ العرب المسلمون يركّزون في تربية أطفالهم وتعليمهم على ما في قصص القرآن الكريم من وعظ وإرشاد، ويقصّون عليهم أيضا قصص الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- وأخبار الإسلام، خاصة سير الصحابة وقصص الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس والروم. إضافة إلى تلك القصص والحكايات التي احتفى بها كتاب" كليلة ودمنة "، وكتاب" ألف ليلة وليلة " التي تتضمن كثيرا مما يتعلق بعالم الأطفال من قصة وخيال وحيوانات.(3)

---

[1] - محمد مرتاض، من قضايا أدب الأطفال(دراسة تاريخية فنية)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، بن عكنون، الجزائر، دت، ص24.

* الحكاية الخرافية : هي تلك التي لا تمت بصلة للواقع ولا تخضع حوادثها لما يتوقع عقلا من الأحداث.(مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984م، ص152.)

[2] - ينظر: عبد الفتاح شحدة أبو معال، أدب الأطفال وثقافة الطفل، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، دط، القاهرة، مصر، 2008م، ص12.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص13.

فكتاب كليلة ودمنة موّجه للكبار وللصغار معا لما فيه من خيال وتشويق حيث « وُضع على ألسنة البهائم والطير، وتضمن سيلا من المواعظ والحكم والأمثال، وفصولا ممتعة من القصص المستقاة من مصادر فارسية وهندية.» (1)

على أنّه وإن حملت قصص ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة الكثير مما يخصّ عالم الأطفال، وعبّرت عمّا يوافق أحاسيسهم وأذواقهم، فإنّه لا يمكن اعتبار هذه القصص أدبا للأطفال كما يؤكّد الباحث هادي نعمان الهيتي، حيث يشرح ذلك قائلا: « ليس في تراثنا الأدبي - رغم ثرائه - ما يمكن أن نسميه أدب أطفال، ويبدو أنّ الصغار كانوا يتداولون القصص والحكايات الشعبية التي يتناقلها الكبار، وما (ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة) إلاّ حكايات وضعتها مخيّلة القصاصين لأبناء الشعب في عهود كان فيها الشعب قليل المعرفة، يؤمن بوجود الجن والعفاريت ويجد متعة في أخبار الكنوز المطمورة والقصور المسحورة التي تنقله إلى عالم خيالي رحيب ينسيه مرارة الواقع ومتاعب العيش.» (2)

لذلك فإنّ الاهتمام الحقيقي بأدب الأطفال وبخاصة المدون منه « لم يظهر بشكل جاد وواضح إلاّ في العصر الحديث، في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، لأنّ الأدباء والمؤلفين والمترجمين كانوا يهتمون بأدب الكبار شعرا ونثرا، ومن خلاله كان يطل أدب الأطفال بين الحين والآخر، ولكنه ليس المقصود طفوليا، لا بأهدافه التربوية والتعليمية، أو توجيهاته القيمية لأنّه بالدرجة الأساسية أدب موجّه للكبار.» (3)

وكانت مصر أولى الدول العربية التي اهتمت بأدب الطّفل، فقد تأثر هذا اللون الأدبي بأدب الأطفال الأوروبي الذي ظهر في القرن السابع عشر في فرنسا وانجلترا وسواها من الدول الغربية، بواسطة النقل والترجمة، ومن أوائل المترجمين "رفاعة الطهطاوي" الذي قدّم قصصا لأطفال مصر باللغة العربية مترجمة عن الفرنسية، ثم جاء بعده الشاعر "أحمد شوقي" وألّف أول كتاب في أدب الأطفال، وكتب قصصا كثيرة على ألسنة الطيور والحيوانات منها"الصياد والعصفورة"، و"الثعلب والديك"، كما ألّف عديدا من الأناشيد والأغاني التي تخص عالم الطفل.

---

1- ابن المقفع، كليلة ودمنة، شرح : حبيب يوسف مغنية، منشورات دار ومكتبة الهلال، دط، بيروت، 2001م، ص12.

2 - هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، ص103.

3 - عبد الفتاح شحدة أبو معال، أدب الأطفال وثقافة الطفل، ص13،14.

ومع هذه المحاولات الكتابية النثرية والشعرية، فإنّ الاهتمام الفعلي بأدب الطفل كأدب منفصل ومتميز من أدب الكبار في شكله ومضمونه، له سماته وخصائصه لم يظهر إلاّ في عام 1922م، حيث أسس"محمد الهراوي" بمصر مكتبة "سمير للأطفال"، وألّف الأغاني والأشعار والقصص للأطفال. بعد ذلك برز الأديب "كامل الكيلاني" الذي قدّم للأطفال الكثير من القصص في مختلف الأغراض الدينية والاجتماعية وغيرها.

وأسهم الأدب السوري الموجّه للأطفال مساهمة كبرى في هذا الميدان، وقد بدأ بالترجمة وبخاصة عن الفرنسية، ومن أشهر الأدباء المهتمين بهذا اللون: زكريا تامر، والشاعر سليمان العيسى، كما نجد القاصة " لينا الكيلاني" التي قدّمت كثيرا من القصص للأطفال.[1]

أمّا في الأدب الجزائري، فقد تأخر ظهور أدب الأطفال مقارنة بالبلدان العربية الأخرى، فقد بدأت بوادره تتشكل مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"1931م" « والحقيقة أنّه من الصعوبة البالغة محاولة تحديد تاريخ معيّن لبداية هذا اللّون من الكتابة في الأدب الجزائري الحديث، غير أنّ النّص الشعري الموجّه للأطفال كان أسبق في الظهور من النّص النثري نظرا إلى أنّ فن الشعر هو الفن المتوارث من أجيال عديدة، ولأنّ الظروف التي كانت تعيشها الجزائر في تلك الفترة خصوصا النصف الأول من القرن العشرين كانت أنسب لظهور فن الشعر بصفة عامة، سواء الموجّه للكبار أو الشعر الموجّه للأطفال. »[2] فمعظم الرّواد الأوائل الذين أثروا الحركة الأدبية بإنتاجاتهم كانوا من شعراء ودعاة إصلاح ديني واجتماعي، وأقدم النصوص الشعرية الموجهة للأطفال تعود إلى عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، منها مجموعة من القصائد الموجهة لأطفال المدارس نظمها الشاعر محمد العيد آل خليفة، كما أدرج في ديوانه قصائد كثيرة تدور موضوعاتها حول الشباب والأطفال، ونظم الشاعر محمد الصالح رمضان ديوان( ألحان الفتوة )، وللشاعر أحمد سحنون قصائد كثيرة تخصّ الأطفال، ثمّ جاء بعد هؤلاء شعراء آخرون – مرحلة ما بعد الاستقلال- نظموا دواوين كثيرة خصيصا للطفل مثل: محمد الأخضر السائحي صاحب ديوان

1 - ينظر: عبد الفتاح شحدة أبو معال، أدب الأطفال وثقافة الطفل، ص 14ومابعدها، وينظر: أحمد زلط، أدب الطفل العربي، دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 1999م، ص85 وما بعدها.

2 - العيد جلولي، النص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، موفم للنشر، دط، الجزائر، 2008م، ص56.

(همسات وصرخات)، ومصطفى محمد الغماري من خلال ديوانه ("الفرحة الخضراء")، ومحمد ناصر (ديوان"البراعم الندية") وآخرون.[1] ومن نماذج هذه الأشعار قول مصطفى الغماري:

واقطفوا يا رفاق ‏ ‏ ‏ ‏ وردة من يديه

واصنعوا نجمة ‏ ‏ ‏ ‏ من سنا وجنتيه[2]

ويقول محمد ناصر:

يا للحن الغديـــر ‏ ‏ ‏ ‏ عرفتـــه حصـاه

في الصحاري أمير ‏ ‏ ‏ ‏ عانقتــه الحيـــاة

ناثـــرا للزهـــور ‏ ‏ ‏ ‏ حيث حلّت خطاه[3]

أمّا عن كتّاب القصة والرواية الموجّهتين للأطفال في الجزائر، فنذكر:

- عبد الوهاب حقي: في مجموعته القصصية " نفثات قلب"، و" بندقية العم حمدان". ورواية تحت عنوان: " سعادة فتاة من بلادي"، وله بعض المسرحيات.

- محمد الصالح حرز الله: ومن قصصه " الأمير التائه "، و" العصافير الطليقة "...

- رابح خدوسي: وله الكثير من القصص الخاصة بالأطفال منها:

- الطّفل الذكي.

- اليتيمة.

- فاطمة نسومر. [4]

وغيرهم من الكتّاب الجزائريين الذين ألّفوا عديدا من القصص والروايات الخاصة بفئة الأطفال.

---

[1] - ينظر: العيد جلولي، النص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، ص57وما بعدها، وينظر:عميش عبد القادر، قصة الطفل في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، دت، ص30وما بعدها.

[2] - محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري(عند: الغماري- ناصر – حرز الله – مسعودي)، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر، 1993م، ص58.

[3] - المرجع نفسه، ص63.

[4] - ينظر: محمد الأخضر عبد القادر السائحي، تاريخ أدب الطفل في الجزائر، أفكار- تراجم - نصوص، دار هومه، ط1، الجزائر، 2002م، ص87،92،99.

## 2- الحاجة إلى أدب الطّفل:

يلعب أدب الطّفل دورا هاما في تكوين شخصية الطّفل وأفكاره وقيمه، واتجاهاته في المستقبل بدرجة يصعب تغييرها أو تعديلها فيما بعد، فهو يصوّر للطفل الحياة الإنسانية، ويعبّر له عنها بما يتلاءم وقدراته، بحيث يساعده على النّمو السويّ. وتبرز الحاجة إلى هذا الأدب في نواح عديدة هي :

### 1- في النّواحي الثّقافية:

يهدف أدب الطفل إلى تكوين أطفال مثقفين، لأنّ الثقافة ليست حكرا على الكبار، كما أنّها ليست حكرا لعمر من الأعمار دون غيره، والثقافة ليست ضرورة وطنية وقومية، بل هي إحدى مكونات شخصية الطفل، وهي التي ترقى بالأمة لأن تحتل مقاما مرموقا بين الأمم، لذلك يحرص أدب الطفل على أن « يقدّم المعلومات العامة والحقائق المختلفة عن الناس والحياة، والمجتمع والبيئات المختلفة.. ويقدّم الأفكار المختلفة التي تربط الأطفال بالعصر والتطوّرات العلمية الحديثة.. ويحقّق النّمو اللغوي عند الأطفال وما إلى ذلك..»[1]

### 2- في النّواحي الخُلقية:

يبصر الطّفل بالقيم الخلقية الفاضلة، وينمي إعجابه وتقديره وحبه للخصائص الطيّبة، ونفوره من الصفات المذمومة، وجوانب الانحراف الخلقي، لذا يتّخذ أدب الطفل سمة أخلاقية.

### 3- في النّواحي الروحية:

يحقّق التوازن بين الاتجاهات المادية السائدة في العصر الحديث، وبين القيم الدينية والروحية التي لا يستطيع الإنسان أن يحقق السعادة الحقيقية بدونها.[2]

### 4- في النّواحي الاجتماعية:

يعرّف الطّفل بمجتمعه، ومقوّمات هذا المجتمع وأهدافه ومؤسساته وعلاقات أفراده، وما يجب أن يسود فيه من قيم وصفات اجتماعية، وهذا يكشف للطفل جوانب الحياة الاجتماعية، فيساعده على الاندماج في المجتمع والتجاوب مع أفراده، دون أن يضحّي بصفاته، وأن يتّخذ مكانه، ويقدّر دوره، ويتحمّل مسؤوليته في المجتمع الذي يتطلّب منه العمل والارتياح لصالح المجموع، في المجتمع الذي يقدّر

[1] - أحمد نجيب، المضمون في كتب الأطفال، دار الفكر العربي، دط، دب، دت، ص45.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص45،46.

الفرد بقيمة ما يعطي لا ما يأخذ، والذي يتواجد فيه الصديق والعدوّ، الطيّب والخبيث، الخير والشر... فلا بدّ أن يتهيّأ الطفل للتمييز بين هذا وذاك.

**5- في النّواحي القيمية:**

يتعلّم الطّفل حب وطنه الصّغير، وأنّ وطنه جزء من الوطن العربي الكبير الذي تربط القومية العربية بين أجزائه، وتدعم أواصر وحدته لغة واحدة، ودين واحد، وقيم روحية واحدة، وتاريخ واحد، وتراث مشترك، وموقع جغرافي متّصل، يمتد من المحيط إلى الخليج في مكان حيوي من العالم، وأنّ هذا الوطن الكبير يملك من إمكانيات الحياة ومقوّماتها وثرواتها الشيء الكثير، وأنّه كان منبع حضارة الجنس البشري منذ أقدم العصور، وكيف أنّ حضارة العرب الزاهرة هي التي كانت نواة الحضارة الأوروبية بعد ذلك، وكيف أنّ العرب يتطلعون- بما لهم من آمال وإمكانيات- إلى احتلال مكانهم المرموق في عالم الغد.

**6- في النّواحي العقليّة:**

يتيح للطفل فرصا طيّبة لنشاط عقلي مثمر في مجالات التّخيل (تنمية خيال الطفل)، والتّذكر، وتركيز الانتباه، والربط بين الحوادث، وفهم الأفكار، والحكم على الأمور، وحسن التعليل والاستنتاج، وما إلى ذلك مما يساعد على نمو هذه العمليات العقلية وتطوّرها.[1]

**7- في النّواحي الجمالية:**

يهدف أدب الطفل إلى بعث الحس الجمالي لدى الأطفال، وتشويقهم إلى الروائع الفنيّة، فهو«يقدّم المعاني والأخيلة البديعة التي تستهوي الأطفال.. والألوان الواقعية الجميلة التي تصوّر جوانب الحياة والوجود، والأساليب الأدبية الجميلة التي يتمثل فيها جمال اللّغة.. والرسوم الفنّية التي تصاحب الإنتاج الأدبي المطبوع في كتب، بالإضافة إلى تقديم المعلومات الفنية التي تثري حصيلة الأطفال عن الفن والفنانين وأعمالهم.. وتقديم القيم والاتجاهات التي تدعو إلى تقدير الجمال والذوق السليم وما إلى ذلك.»[2]

[1] - ينظر: هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، ص90،91 ، وينظر: أحمد نجيب، المضمون في كتب الأطفال، ص46.

[2] - أحمد نجيب، المضمون في كتب الأطفال، ص47.

**8- في النّواحي التّرويحيّة:**

يكون وسيلة شائقة ومفيدة لشغل أوقات الفراغ، وتسلية محببة تجلب المسرّة والمتعة إلى نفوس الأطفال، وإبعاد كل ما يثير فيهم القلق والاكتئاب. ولأنّ الأطفال أحيانا يكتئبون لأسباب غامضة، كان لا بدّ من توفير أسباب الترويح لهم، وهو ما يحاول أدب الأطفال بمختلف أجناسه (القصة، المسرح...) تحقيقه.[1]

**9- في مجال بناء شخصيات الأطفال:**

يعمل على تكوين المعايير والقيم والعادات والاتجاهات الصحيحة لدى الأطفال من خلال الانطباعات السليمة التي يخرجون بها من مضامين النصوص الأدبية الجيّدة، وبهذا يساعد على تقوية جانب الإرادة في شخصيات الأطفال بطريقة متزنة تساعدهم على التوفيق بين الرغبات الفطرية والغريزية من ناحية، وبين الظروف الواقعية التي يحيون فيها، وما في المجتمع من تقاليد وقيم من ناحية أخرى، وغرس الصفات الحسنة كالشجاعة والثّقة بالنفس في شخصياتهم.[2]

وضمن هذه الغاية التي يقدمها هذا الأدب للأطفال انعقدت ندوة في معرض القاهرة الدولي الثاني حول كتاب الطفل عام 1985م، بعنوان: " القيم التربوية في ثقافة الطفل" اهتمت بالقيم والأهداف بشكل عام التربوية منها، والاجتماعية، والخلقية، وغيرها من القيم في أدب الأطفال، واشترك فيها عدد من الباحثين والمختصين بأدب الأطفال، وانتهت بمجموعة من التوصيات منها:

- يطلب من أقسام دراسة علم النفس في الجامعات الاهتمام بمراجعة ما يؤلف للطفل، بهدف تعديل بعض المسارات والاتجاهات في الكتابة للطفل بما يتناسب مع متطلباته وحاجاته في تنمية شخصيته نموا سويا.

- دعت الندوة مؤلفي كتب الأطفال بالاهتمام بتنمية ملكة الخيال الخلّاق المبدع الذي يسمو فوق مشكلات الحاضر، ويرتاد بالأطفال الطريق الأمثل حو حياة أفضل.

- أن تخضع المواد المترجمة للأطفال للدقة في الاختيار، والأمانة في النقل، مع مراعاة ألاّ يكون فيها ما يشوّش قيمنا أو تاريخنا أو تراثنا.

1 - ينظر: أحمد نجيب، المضمون في كتب الأطفال، ص48.

2 - ينظر: المرجع نفسه، والصفحة، وينظر: هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، ص94.

- الإلحاح على هدف الانتماء العربي في تأليف قصص الأطفال.

- إحياء التراث في أدب الأطفال، بإعادة صياغة القصص العربي، وتعاد الصياغة على نحو يماشي روح العصر.[1]

## 3- أنواع أدب الطّفل:

يتضمن أدب الطّفل فنونا متعدّدة تقع في محورين، الأول هو الشّعر ويضم الأناشيد والأغاني الموزونة وأغاني اللّعب والقصة الشّعرية، والثاني يضم النثر والحكايات القصصية المختلفة والأمثال والوصايا، ولأنّ أكثر الفنون استخداما هي القصة والمسرحية والأنشودة، وسوف يقتصر حديثنا عن هذه الفنون الثلاثة فقط.

### 1- القصة:

القصة في الّلغة هي: « الخبر، وهو القصص، وقصّ عليه خبره يقصّه قصا وقصصا، والقصص الخبر المقصوص وهو الحديث والبيان وتتبع الأثر، منه قوله تعالى: " وقالت لأخته قصيه." أي اتبعي أثره، والقاص هو الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتبع معانيها وألفاظها، والقصّاص هو الذي يتبع الخبر بعد الخبر ويسوق الكلام سوقا.» [2]

أمّا اصطلاحا، فقد اتّفق العلماء والنقاد والأدباء على تعريف القصة بأنها: « حكاية مروية عن حادثة أو مجموعة أحداث تشابكت فيما بينها مستمدة من الواقع، وقد تكون من نسج الخيال، يقوم بمهامها أشخاص، يوفر لهم القاص الحركة.»[3]

فالقصة انطلاقا من هذا التعريف هي إما نقل حادثة واقعية بأسلوب قصصي، وإما نسج حادثة أو مجموعة من الأحداث الخيالية، يبتكرها القاص ويجعل لها شخصيات تسيّرها.

والقصة الموجهّة للأطفال نوع من أنواع الفنون الجميلة الممتعة، وهي « من الأنواع المحببة لدى الأطفال، وتمتاز القصة بأنّ لها قواعد وأصول ومقوّمات فنيّة، واستخدام القصة في تربية الأطفال في طفولتهم المبكّرة عادة قديمة جدا، واستخدمت منذ القدم لتحقيق أغراض دينية وأخلاقية ومعرفية، إضافة إلى إسعاد الطفل، وفي العصور الإسلامية استخدم الشّعر في تربية الأطفال إضافة إلى القصص، وقد

[1] - ينظر: محمد حسن بريغش، أدب الأطفال، ص108.

[2] - ابن منظور، لسان العرب، مج12، ص120.

[3] - شفيق البقاعي، أدب عصر النهضة، دار العلم للملايين، دط، بيروت، لبنان، 1990م، ص250.

استخدمت القصص الدينية وقصص الأبطال والفرسان لتعليم الأطفال، وكانت القصص إضافة إلى التّوعية الدينية تركّز على جانب القيم كالمروءة والكرم والإحسان ومناصرة الحق وما إلى ذلك، أمّا العصور الحديثة وفي الوقت المعاصر فإنّ القصة تستخدم كوسيلة تعليميّة تربوية تثقيفية وترفيهية، وهي تهدف بالدرجة الأولى إلى إسعاد الطفل وتزويده بالعلم والمعرفة وتوسيع ثقافته، وتهذيب سلوكه وتنمية اتجاهاته الأدبية والفنيّة.»[1] بما تتضمّنه من أفكار داخلية وأحداث مثيرة، وقد تشتمل قصة الطفل على مواقف تعليمية أو تهذيبية، أو تنجز في سبيل تحقيق غايات ومصالح قريبة. غير أنّ مثل هذه المواقف والغايات لا تدخل ضمن الاعتبار الحقيقي لهذا النمط التعبيري إلا إذا كانت نابعة من صميم البنية العامة للنصوص. ومادة هذه القصة قد تكون مبتكرة من شتى مظاهر الواقع والخيال، أو مستوحاة من أجناس أدبية أخرى، أو مقتبسة من التراث الشعبي الإنساني، فالقصة تلعب دورا هاما وفعالا في تكوين عاطفة الطفل، وتؤثّر تأثيرا مباشرا في بناء شخصيته الثقافية، لذلك فهي تحتل المقام الأول في كتب الأطفال. [2]

تنقسم قصص الأطفال إلى أشكال متعدّدة أهمّها:

### 1 - 1 - قصص الجن والسحرة أي القصص الخيالية:

تشمل هذه القصص على أحداث غريبة، كأن يكون فيها جنيات أو عفاريت أو أقزام أو سحرة وما شابه ذلك، ومن أمثال هذه القصص: الأميرة والأقزام السبعة، وسندريلا... [3]

### 1 - 2 - قصص الأساطير:

هي الحكايات التي يفسّر بها الإنسان الأول ظاهرة طبيعية، وكانت أهمية الأسطورة في أدب الأطفال « مثارا للجدل من قبل بعض الباحثين، فمنهم من كان يرفض تقديم قصص الأساطير للأطفال باعتبارها معقّدة وتسبب الإرباك لهم، وتشتمل على رموز كثيرة تجعلها صعبة الاستيعاب في عقول الأطفال، ومنهم من يراها ضرورية للأطفال لاحتوائها على المتعة والتسلية والإثارة، ولأنّها تخلق الحافز لخيال الأطفال وتطلقه للإبداع لاسيما في عصرنا المتطوّر الذي نعيش فيه.» [4]

---

[1] - رافدة الحريري، التربية وحكايات الأطفال، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، عمّان، الأردن، 2009م، ص205،206.

[2] - ينظر: إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص45.

[3] - رافدة الحريري، التربية وحكايات الأطفال، ص209.

[4] - المرجع نفسه، والصفحة.

**1- 3 - قصص الحيوانات:**

حيث يكون الحيوان هو الشخصية الرئيسة في القصة، وقصص الحيوانات من أقدم أنواع الحكايات التي عرفها الإنسان، وهي من أقدم أشكال الحكاية التي عرفها الإنسان، ومن أشكال هذه القصص كليلة ودمنة التي تعرض الحيوانات وكأنّ لها طباع الإنسان فتتحدث وتتصرف مثله، وإن احتفظت في الغالب على خصائصها الحيوانية.

ويتّخذ الحيوان في قصص الأطفال في كثير من الأحيان رمزا لطبع ما هو في الأصل طبعه فمثلا: الكلب يرمز إلى الوفاء، وهو طبع حقيقي فيه، وقد يتخذ الحيوان صفة غير حقيقية فيه. (1)

أمّا عن المواضيع التي تدور حولها قصص الحيوان فهي مواضيع متنوعة « إذ نجد من قصص الحيوان ما هي مغامرات أو قصص بطولة، أو قصص خيال علمي أو حكايات شعبية أو خرافات.» (2)

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّ الطفل يميل إلى هذا النوع من القصص لأنّها تتيح له أن يمارس التخيل والتفكير دون عناء، لاعتمادها على الصور في التعبير خصوصا أنّ شخصياتها في العادة قليلة، وأفكارها خالية من التعقيد، وقصص الحيوانات في أدب الأطفال تهدف إلى تهذيب الأخلاق وتعليم الفضائل.

**1- 4 - قصص المغامرات:**

يستمتع الأطفال عامة بقصص المغامرات التي تكون ضمن حدود قدراتهم ومستوياتهم وإثارة حماسهم وتشويقهم، كونها تنطوي على القوة المجردة، أو الشجاعة أو الحنقة أو الذكاء، أو المجازفة. فتشبع الفضول عند الأطفال الذين يندفعون لاستكشاف كل ما هو غريب وغامض، ومن أمثلة هذا النوع من القصص رحلات السندباد البحري مثلا.

ويهدف هذا النوع من القصص إلى تنمية ذكاء الطفل وإشباع بعض الحاجات النفسية لديه، لكن على الرغم من تلك الأهداف التي يرمي إليها هذا النوع الأدبي، إلاّ أنّه هناك الكثير من الأخطار التي قد تؤدي بشخصية الطفل إلى الهلاك، جراء هذه القصص خاصة البوليسية منها، والتي تدور حول الجريمة

---

[1] - ينظر: رافدة الحريري، التربية وحكايات الأطفال، ص210.

[2] - طلعت فهمي خفاجي، أدب الأطفال في مواجهة الغزو الثقافي، دار ومكتبة الإسراء، ط1، مصر، 2006م، ص117،118.

واللصوص والقتل... وما إلى ذلك من أشكال العنف. وهو ما لا يصلح للطفل، خصوصا إذا علمنا أنّ هذا الأخير يحاكي أبطال القصة الخيّرين منهم والأشرار دون تفريق. (1)

ومن جهة أخرى يرى بعض الدارسين أنّ ذكر الجريمة واللصوص والقتل وغير ذلك من المواضيع التي تتناولها القصص البوليسية غير مضّر بالطفل، لأنّ « الحياة مزيج بين الخير والشر، وأنّ الذي لا يعرف الشر أحرى أن يقع فيه.» (2) مادام الوسط الذي يعيش فيه الطفل فيه الخير وفيه الشر، فلا بدّ من تصوير هذا الواقع للطفل في القصة لاستخلاص العبر في الخير والشر.

**1 - 5- القصص الاجتماعية:**

هي موضوعات مستمدة من الحياة الواقعية اليومية، وقد يزيد عليها الكاتب بعض الحوادث البسيطة ليجعلها أكثر تشويقا وتأثيرا على الطفل، وهذه القصص « تعالج تطورات المجتمع وعلاقاته العاطفية والإنسانية، والسمو بها إلى المثل أو نبذها، والقضاء عليها نظرا لما لها من دور سلبي في ذلك الوسط الاجتماعي.» (3)

وبما أنّ الأسرة هي جزء من المجتمع، فإنّ هذا النوع من القصص « يتناول الأسرة والروابط الأسرية، والعلاقة بين الأب والأم والأبناء والإخوان والجيران والمناسبات الأسرية المختلفة، مثل: أعياد الميلاد والزواج واحتفالاته وصوره ومواقف النجاح والإنجاز، ومواجهة الحياة بشرف وجد وأمانة.»(4)

والهدف من القصص الاجتماعية يتمثل في توجيه السلوك الاجتماعي، والمحافظة على القيم والعادات والتقاليد التي أقرها المجتمع وتعارفت عليها الشعوب، بما يضفي على الحياة شيئا من الاتساق والانسجام.

**1 - 6 - القصص الدينية:**

هي نوع من القصص التي تتناول موضوعات دينية تتمثل في العبادات، والعقائد، والمعاملات، وسير الأنبياء والرسل، وقصص القرآن الكريم والكتب السماوية والبطولات، والأخلاق الدينية، وما

---

[1] - ينظر: رافدة الحريري، التربية وحكايات الأطفال، ص210.

[2] - حسن شحاتة، قراءات الأطفال، الدار المصرية اللبنانية، ط3، القاهرة، 1996م، ص165.

[3] - حسين عبروس، أدب الأطفال وفن الكتابة، دار مدني، دط، الجزائر، دت، ص43.

[4] - حسن شحاتة، قراءات الأطفال، ص124.

أعدّه الله سبحانه وتعالى لعباده من ثواب وعقاب يوم الآخرة، وأخبار الأمم الخالية، وعلاقتها بقضية الإيمان بالله تعالى وموقفها من الخير والشر. ويهدف هذا النوع من القصص إلى تعريف الطفل بعقيدته وبربه وبواجباته نحو الله والعقيدة، وتقديم صورة للعقيدة الصحيحة عن الله عز وجلّ، وتقديم الصورة اللآئقة للإنسان بوصفه خليفة الله في الأرض.(1)

**1- 7- القصص التاريخية:**

يعرّف الباحث حسين عبروس القصة التاريخية الموجهة للأطفال بأنّها: « القصة التي تكون مادتها التاريخ بكل أحداثه وأبطاله ومواقعه وانتصاراته.»(2) حيث تعتمد على الواقع التاريخي بدرجة كبيرة، فتسرد حقائق تاريخية تكون في غالب الأحيان وطنية، بهدف تنمية الانتماء الوطني للطفل. وصياغة التاريخ على شكل قصة مبسطة للأطفال أمر تمليه ضرورة التربية القومية التي تنمي في الطفل جانب الانتماء والولاء للوطن الأم، لأنّ القصة تعد من أقدر ألوان الأدب على توليد الاتجاهات المرغوب فيها للأطفال.(3)

وغالبا ما تروي القصص التاريخية انتصارات وطنية، بغية تنمية روح الاعتزاز بالوطن الأم والتمسك بالهوية لدى الطفل، كما قد تروي انهزامات ووقائع تاريخية، يكون الهدف منها نقل عبرة معينة للطفل للاتعاظ.

وتسعى القصص التاريخية عموما إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- تنمية الحاسة الاجتماعية وروح العمل الجماعي والفردي من خلال عرض الأحداث التاريخية.

- توعية الأطفال، وربطهم بتاريخهم الماضي والحاضر والمستقبل، من حيث أنّ الماضي هو الذي صنع الحاضر، والحاضر يصنع المستقبل.

- تنمية خيال الأطفال وتفكيرهم، وإشباع فضولهم.

- تأكيد قيمة الجهد الإنساني في تغيير الحياة وتطويرها من خلال عرض الماضي والحاضر والمستقبل.

---

1 - ينظر: كمال الدين حسين، مدخل في قصص وحكايات الأطفال، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، القاهرة، 2007م، ص87،92.

2 - حسين عبروس، أدب الأطفال وفن الكتابة، ص44.

3 - ينظر: طلعت فهمي خفاجي، أدب الأطفال في مواجهة الغزو الثقافي، ص119.

- تقوية قدرة الأطفال على تمييز المفاهيم والقيم التي تبدو متعارضة في الظاهر، كوجوب القتال ضد العدو، وتحريم القتال بين الإخوان وأبناء الوطن الواحد.

- تغذية الشّعور الديني والوطني، والاقتداء بالصالحين، والزعماء الأبطال، والمصلحين والدعاة.

- تغرس في نفوسهم الإحساس بالجمال والتمييز بين الخير والشر، والميل إلى التعاون مع الغير على المستوى الاجتماعي والإنساني بصفة عامة. [(1)]

**1 - 8 - القصص العلمية:**

لقد اتّفق الأدباء على أنّ القصة العلمية هي: « نوع من القصص يدور حول حدث علمي أو اكتشاف أو اختراع وقع في عصر من العصور.» [(2)]

وتتضمن هذه القصص بعض الحقائق والمعلومات عن الحيوان أو النبات وبعض المظاهر من الطبيعة والنواحي الجغرافية وغيرها، بصورة مبسّطة، وذلك بهدف إثارة الاهتمام العلمي للأطفال، بالإضافة إلى تزويدهم بالثقافة العلمية والدينية بطريقة شيّقة.

وقد ظهرت الحاجة إلى هذا اللون من القصص في زمن تصارعت فيه العقول، لتصل إلى ما في الكون من حقائق، واتّجه المؤلفون إلى القصص العلمي ليحققوا التلاؤم بين ما يقدمون واتجاهات العصر، وليمهدوا سبيل العلم أمام الناشئين حتى يتابعوا في المستقبل عملية الاكتشاف والاختراع، ويحققوا للإنسان سعادته. [(3)]

**2 - المسرحية:**

تعدّ المسرحية فنا من الفنون الأدبية التي عرفها الأدب العربي في العصر الحديث، والتي تأخذ شكلها النهائي حين تؤدى على خشبة المسرح، وهي مصدر سعادة وانبهار ومتعة للصغار، سواء أكانت شعرا أم نثرا أم مزيجا منهما، كونها تسمح لهم بتمثيل بعض الأدوار وبكلّها أحيانا، فتنقل الطفل من واقعه المقيد إلى عالم أكثر رحابة وحرية.

[1] - ينظر: محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل ( مضمون اجتماعي نفسي )، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، دط، الإسكندرية، دت، ص79.

[2] - حسن شحاتة، قراءات الأطفال، ص123.

[3] - ينظر: محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل، ص83.

وتشبه المسرحية القصة في احتوائها على فكرة درامية تتعقد فيها الأحداث إلى أن تصل إلى حل، لكنّها تختلف عنها في إمكانية تجاوز القاص حدود الزمان والمكان بينما تتحكم اعتبارات الزمان والمكان في كتابة المسرحية. [1] وكان « لتبني الجزائر الفكر الاشتراكي أكبر الأثر ليس فقط في ظهور مسرح الأطفال، بل وأيضا في استخدامه بوصفه أحد الوسائل الفعّالة في تكوين المواطن"الاشتراكي". ولتحقيق ذلك ظهر الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية، والمهرجان الوطني لأشبال هواري بومدين عام 1977. وظهر لأول مرة المهرجان الوطني لمسرح الأطفال بمدينة قسنطينة عام 1983.» [2]

### 3- الشّعر والأناشيد:

إنّ الشّعر بما فيه من موسيقى وإيقاع أقرب ألوان الأدب إلى طبيعة عملية التذوق التي تشجّع الطّفل على الاستمتاع بلغته وبحياته، ويقوده إلى عالم المعرفة والإبداع، والمقصود بالأناشيد« تلك الأشعار خفيفة الأوزان سريعة الإيقاع، سهلة الألفاظ والتراكيب، حلوة العبارة قصيرة البناء الذي يستهدف إثارة المشاعر نحو الفضيلة والخير والجمال والقيم الأخلاقية السامية، والشّعر فن جميل فيه إحساس وفطنة وفيه عواطف وانفعالات مما يثير الإحساسات الجمالية لدى الإنسان، والشّعر ينمي لدى الأطفال ملكة التذوق الأدبي والإحساس بالجمال في وقت مبكر، مما يؤثر إيجابيا في تكوين الطابع اللّغوي الجميل.» [3]

ومن أشكال الشّعر المقدّم للأطفال ما يلي:

- **القصة الغنائية :** وهي شعر ملحن يتغنى به ويحكي قصة قصيرة من خلال أبياته.
- **المسرحية الشّعرية:** وهي عمل تمثيلي كتب على شكل شعر موزون.
- **الأناشيد:** وهي مقاطع شعرية قصيرة يردّدها الأطفال بنغمة مختارة إمّا فرديا أو جماعيا.
- **الأغاني الترقيصية :** وهي أشعار قصيرة تغنى للأطفال الرّضع لهدهدتهم. [4]

---

[1] - ينظر: رافدة الحريري، التربية وحكايات الأطفال، ص214، وينظر: فوزي عيسى، أدب الأطفال: الشعر - مسرح الطفل- القصة- الأناشيد، دار المعرفة الجامعية، دط، دب، 2008م، ص77،78.

[2] - محمود حسن إسماعيل، المرجع في أدب الأطفال، ص240.

[3] - رافدة الحريري، التربية وحكايات الأطفال، ص211.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، والصفحة.

## 4- حضور التراث في أدب الأطفال:

يدور حول مفهوم التراث جدل كبير واختلاف حاد، والسبب في ذلك هو كونه مصدر الهوية والانتماء الحضاري للأمة، وقد اتّخذ النقاش حوله اتجاهات مختلفة وآراء متضاربة، فانقسم المفكرون والأدباء حوله إلى طوائف وشيع، فمنهم من يشكك في جدواه وفعاليته في راهن الأمة ومستقبلها، ومنهم من يعتبره الركيزة الأساسية لكل نهضة، ولعل هذا الاختلاف البين ناتج عن عدم وجود تعريف علمي دقيق للتراث يزيل النزاع بينهم.[1]

جاءت كلمة " التراث" في المعاجم العربية تحت مادة ( ورث ) ، ففي لسان العرب « الورثُ، الوَرثُ، والإرث والوارث والإراث والتراث واحد، وفي حديث الدعاء: " إليك مآبي ولك تراثي." والتراث ما يخلفه الرجل لورثته، والتاء فيه بدل الواو.» [2]

وقد أجمعت القواميس العربية القديمة على أنّ كلمة " التراث" تعني ما خلفه الرجل لورثته، أمّا القواميس الحديثة ومنها معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب فيذهب إلى أنّ كلمة التراث تعني ما خلفه السلف من آثار علمية وأدبية مما يعتبر نفيسا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه، مثال ذلك الكتب المحققة وما تحتويه المتاحف والمكتبات من آثار وكتب تعتبر جزء من حضارة الإنسان.

أمّا في الكتابات العربية المعاصرة فقد أخذت كلمة التراث دلالات وأبعادا لم تكن معروفة لدى القدامى، فلم تعد تنحصر فيما يخلّفه السلف للخلف أو ما تحتويه المتاحف والمكتبات من آثار، بل أصبح هذا المصطلح وثيق الارتباط بأنماط السلوك البشري وبالحياة الحضارية للأفراد والأقوام والجماعات، وبكل ما له صلة بوجود الإنسان الحي على سطح هذه المعمورة من أنظمة وقيم ومعتقدات ووسائل العيش وإمكانيات التصور وغير ذلك، لذلك فإنّ بعض الباحثين حاولوا تقديم تعريف للتراث أكثر واقعية ودقة يبعد هذا التناقض، وهو أنّ التراث يتمثل في كل ما وصل الأمم المعاصرة من الماضي البعيد أو القريب، سواء تعلق الأمر بماضيها هي أو بماضي غيرها من الشعوب أو بماضي الإنسانية جمعاء. [3]

---

[1] - ينظر: الأثر، مجلة الآداب واللغات، حضور الطفل في أدب الطفل الجزائري " القصة نموذجا"، العيد جلولي، العدد التاسع، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة- الجزائر، 2010م، ص119.

[2] - ابن منظور، لسان العرب، مج15، ص189.

[3] - ينظر: الأثر، مجلة الآداب واللغات، ص119.

ويمكن أن نميز بين ثلاثة مستويات يدرسها التراث هي:

1- مستوى مادي: يتمثل في المخطوطات والوثائق والمطبوعات والقصور والآثار والمعابد والأضرحة والمساجد ...

2- مستوى نظري: يتحدّد في مجموعة من التصورات والرؤى والتفاسير والآراء التي يكوّنها كل جيل لنفسه عن التراث، انطلاقا من معطيات اجتماعية وسياسية وعلمية وثقافية تفرزها مقتضيات المرحلة التاريخية التي يجتازها أبناء ذلك الجيل. (1)

3- مستوى سيكولوجي: والمقصود به « تلك الطاقة الروحية الشبيهة بالسحر التي يولدها التراث في المنتمين إليه، حيث يجري احتكاره من قبل نخبة أو جماعة أو فئة من المنتفعين والمتسلطين قصد استغلاله في ميدان التوجيه السياسي والتعبئة الأيديولوجية نظرا لما يزخر به التراث من مفاهيم وتصورات وأفكار وعقائد وأساطير وعادات وتقاليد وفلكلور ومثل ومبادئ وقيم تملك سلطة قوية على مخابيل الأفراد والجماعات التي تعجز عن مقاومة تأثيره عليها.» (2)

ولقد كان التراث حاضرا بشكل ملحوظ في أدب الأطفال عند جميع الشعب والأمم، ففي البداية كان التراث هو المصدر الأساسي في الكتابة للأطفال، فمنه استلهم الكتّاب في أوروبا العديد من القصص، منهم "تشارلز بيرو" الذي اقتبس من التراث قصة " حكايات ماما الإوزة" ، و" فرنسيس أوزبورن" الذي كتب عام 1656 قصة " وصية لابن" مستفيدا هو الآخر من التراث، وغيرهم من الكتّاب ممن نهل من التراث مجموعات قصصية عديدة. ويعود هذا لعلاقة أدب الأطفال بالتراث، فالتراث تعبير عن طفولة البشرية، وترجمة لتفكير المجتمعات الأولى، لهذا يعدّ التراث أهم الينابيع التي رفدت هذا الأدب بمادة غنية لا تنضب، ومنه استلهم الأدباء الكثير من الأشكال والموضوعات. (3)

والتراث العربي حافل بكثير من الظواهر القصصية والنصوص السردية، ففيه أيام العرب في الجاهلية والإسلام، وفيه الكثير من القصص والحكايات الخرافية، وقد أعاد الكتّاب صياغة هذه الظواهر وتوظيفها بكثير من التبسيط ليكون في متناول المتلقي الصغير، والهدف من كل ذلك هو:

- تعريف الأطفال بتراثهم وببعض جوانب تاريخهم خصوصا في عهود الازدهار ليشبّوا على التمسك بماضيهم، والدفاع عنه إن اقتضى الأمر.

---

1 - ينظر: الأثر، مجلة الآداب واللغات، ص120، وينظر: يوسف حسن نوفل، القصة وثقافة الطفل، ص6.

2 - الأثر، مجلة الآداب واللغات، ص120.

3 - ينظر: عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، ص94.

- تقديم البطولات العربية من أجل غرس قيم الشجاعة والصبر والحب والتفاؤل في نفوس الأطفال.

- تنمية الخيال لدى الأطفال، وربطهم بالماضي وتعريفهم بمشاهير العلماء والأدباء.

- تعميق الانتماء القومي العربي والإسلامي لدى الطفل عن طريق الحكايات المستلهمة من هذا التراث مما يدعّم التمسك بالهوية القومية. (1)

وقد كثر توظيف التراث في أدب الطفل في الجزائر، خاصة في القصة المكتوبة للأطفال، حتى ظنّ البعض أنّ قصص الأطفال ليس لها من المصادر التي تنهل منها سوى التراث، وهذا لغلبته وطغيانه على هذا الجنس الأدبي، وتتمثل هذه المصادر فيما يلي:

**1- المصادر التراثية الأدبية:**

وهي كل ما وصلنا عن العرب من كتب أدبية قديمة حوت قصصا وحكايات، وكتبت باللغة العربية، منها ما هو عربي الأصل مثل: كتاب البخلاء للجاحظ، وكتاب الأغاني للأصفهاني، ومنها ما هو غير عربي الأصل دخل الأدب فأصبح جزء من التراث الأدبي العربي مثل: كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، وكتاب ألف ليلة وليلة، وهذان الكتابان يعتبران أكثر الكتب حضورا في قصص الأطفال في الجزائر. (2)

**2- المصادر التراثية التاريخية:**

ونعني بها كل الحوادث والوقائع التاريخية التي يمكن أن تكون مصدر إلهام للأدباء، وتدخل ضمن التراث لكونها تتعلق بحوادث التاريخ البعيد أو القريب، القديم منه والحديث، وقد حاول كتّاب القصة الموجهّة للأطفال في الجزائر استثمار ما في التاريخ الجزائري والتاريخ العربي والإسلامي من أحداث ووقائع تصلح أن تكون مادة فعالة تُقدم للأطفال.

ومن القصص التي استلهمت حوادث التاريخ نذكر على سبيل المثال: قصة " صغار لكنهم مجاهدون" لعبد الوهاب حقي، وقصة " البطل الصغير" لعبد العزيز بوشفيرات، وسلسلة " مغامرات هشام" لمولود مسخر، وغيرها من القصص التي تصور بطولات ووقائع الثورة الجزائرية. (3)

---

[1] - ينظر: إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الأدب الإسلامي للأطفال، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1997م، ص58.

[2] - ينظر: الأثر، مجلة الآداب واللغات، ص121.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص123.

### 3- المصادر التراثية الدينية:

تتمثل هذه المصادر في القرآن الكريم، والسيرة النبوية، والحديث الشريف، وتتميز هذه المصادر بالثراء الموضوعي، ففيها قصص كثيرة ومبادئ أخلاقية عديدة كالصبر والثبات والتضحية والدفاع عن الحق ونصرة المظلومين، وكلها قيم ومبادئ يمكن بوسائل العرض الفنية أن تشبع حاجات الأطفال، لاسيما إن استثمرت هذه الجوانب في أعمال فنية ناضجة وواعية تناسب الأطفال، فتغذي اهتماماتهم في هذه المرحلة المبكرة من العمر، فيقبلون بحب وشغف على القصص التي توحي بهذه المبادئ. (1)

### 4- المصادر التراثية الشعبية:

يلعب التراث الشعبي دورا هاما في تربية الأطفال، ونقصد به « كل ما وصلنا عن أسلافنا القدامى من حكايات شعبية وخرافية، وأساطير تقليدية وأمثال وأشعار، ولهذا المصدر أهمية كبيرة في عملية التنشئة المتكاملة للطفل، فإذا أردنا تثقيف الطفل وتنميته وتنشئته على أسس سليمة، فلا بدّ أن نقدم له جرعة من هذا التراث الشعبي حتى لا ينشأ مقطوع الصلة بماضيه، فنعرفه عادات مجتمعه وتقاليده وفنونه الشعبية، فالطفل في هذه المرحلة من حياته يكون أقدر فئات المجتمع على استيعاب هذا التراث لأنه مازال في مرحلة الاستيعاب لكل ما يبث ويلقى إليه.» (2)

وفي تلك العصور وجد الأطفال متنفسا واسعا في الحكايات التي تروى في سهرات السمر بالليل في نطاق الأسرة، حيث يجتمع الأطفال حول جدتهم أو أمهم لتحكي لهم حكايات متنوعة، حكايات عن حديدوان والشيخ العكوك وطرنجة والغول ولونجا والغولة عويجة الرقبة وولد السلطان... ويستمر هذا الوله بالاستماع للحكايات الخرافية مع الأطفال إلى أن يصبحوا في طور الشباب. (3)

ويرى الكاتب عبد الحميد بورايو وجود تماثل « بين نمو عالم الإنسان الداخلي، وتشكل عالم الحكاية الخرافية وهي صفة تجعل منه مادة مغرية للفرد الشعبي، الذي يجد فيه كشفا للعمليات الداخلية التي تجري في ذاته، وخاصة في مرحلة الطفولة عندما تنشط عملية التغير، وتلحّ الرغبة في تحقيق

---

[1] - ينظر: الأثر، مجلة الآداب واللغات، ص124.

[2] - المرجع نفسه، ص126.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، والصفحة.

الذات، ومعرفة أسرارها، وهو ما يفسّر إقبال الأطفال على هذا النمط من أشكال التعبير الشعبي، واتخاذه من طرف المجتمع الشعبي أداة لتربية الطفل.» [1]

وفي الجزائر، يعج ثراثنا الشعبي بالكثير من القصص من عالم الخيال، التي تسمح للطفل الصغير بقوة خياله الفائقة أن يحلق في السماء، ويجوب الأقطار، ويدخل عالم الجن، وغير ذلك، لذا يمكن أن نساهم عن طريق هذه القصص في تنمية ملكة الخيال عند الطفل بعد تهذيب هذه القصص لغويا، وتقديمها إما في شكلها القصصي، أو تجسيدها في مسرح، أو شعر، وعندما « تروي الجدة أو الأم للطفل قصصا عن السحر والسحرة، وعن الجنيات، يجلس مستمرا يستمع إليها في شغف، ونفس الشيء عندما تبسط له قصصا عن الحيوان مأخوذة من كليلة ودمنة ومبسطة، أو منقولة عن التراث الشعبي، ويتابع الطفل بخياله الثعلب وهو يتحدث ويمكر، والسلحفاة وهي تخطط وتدبر، حتى تنتصر على الأرنب، والغراب وهو يروح ضحية الخديعة، فتسقط منه قطعة الجبن، وغير ذلك من قصص الحيوان والجمادات، يتلقفها الطفل في شغف، ويستمع إليها بكل حواسه، فتفتح أمامه آفاقا واسعة غنية بالكثير من الصور والمخلوقات والأحداث، وتفعل تلك الأشياء فعلها في نفسه ووجدانه وفكره، وتنعكس على ممارساته ومعتقداته ومشاعره.»[2] ومن القصص المقتبسة من الأدب الشعبي نجد: قصة " لونجا" وقصة " بقرة اليتامى" لرابح خدوسي، وقصة " بحباح المرتاح" للطاهر وطار...

[1] - الأثر، مجلة الآداب واللغات، ص 126.

[2] - نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الإسراء، ط2، قسنطينة،1991م ، ص124.

## 5-التّعريف بالصّورة:

كلمة الصّورة «ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشّيء وهيئته وعلى معنى صفته. يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته.» [1]

تعتبر الصّورة عموما اصطلاحا يشمل التّشبيه والمجاز، وكما هي بصرية، تكون سمعية ذهنية، فهي في علم النّفس«إعادة إنتاج عقلية، ذكرى، لتجربة عاطفية أو إدراكية غابرة، ليست بالضرورة بصرية.»[2] مثلما هي أسلوبيا« تمثيل أو تشخيص بعرض لغوي بين شيئين أو أمرين اثنين.»[3]

والصّورة أساس الفن بصفة عامة، والشّعر بصفة خاصة، فهي لذلك ليست أمرا جديدا «فإنّ الشّعر قائم على الصّورة منذ أن وجد حتّى اليوم.»[4] وهي تخصّ« جميع الأشكال المجازية.»[5] في التصوير شعرا ونثرا، فكلمة " الصورة " تستعمل «عادة للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسّي، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات.»[6] نقصد بالصورة هنا المصطلح الشائع للصورة الشعرية التي تهتم بالتشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية.

والسّبيل لبناء صورة هو الوصف الفنّي، الذي هو أداة التعبير« بالأسلوب الذي يجسّم الإحساس، وتجسيم الإحساس لا يمكن أن يكون إلاّ في قالب من الصّور.» [7] وعن طريق الخيال تتشكل هذه الصّور وتتلوّن على يد الكاتب « الذي يتخذ الوصف الفنّي أداة لبناء صورة معيّنة، لمكان أو شيء أو شخصية أو غير ذلك، باللّغة الموحية القديرة على تجسيد الفكرة أو الشّعور في صورة تصير معها الفكرة أو غيرها من المشاعر شيئا محسّا، حيث تأتي الأهمية الخاصة للعناصر الأساسية التي تساعد على تشخيص تلك الصورة في شكل معيّن: إيجابي أو سلبي أو حيادي، وقد يأتي بناء الصورة لغاية معيّنة، كما قد يأتي

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، مج8، ص304.

[2] - رينيه ويليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، تر: محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دط، بيروت، 1987م، ص194.

[3] - عمر بن قينة، الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1995م، ص107.

[4] - إحسان عبّاس، فن الشّعر، دار صادر، بيروت، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط1، 1996م، ص193.

[5] - المرجع نفسه، ص200.

[6] - مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، دط، بيروت، لبنان، دت، ص3.

[7] - محمد ناصر، الشّعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنّية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 2006م، ص427،428.

عرضا على قلم الكاتب.» [1] فتعكس تلك الصورة إحساس الكاتب وانفعاله، وتؤثّر في الآخرين أي المتلقين، ويخضع هذا التأثير لمستوى تكوين الصورة وعلاقتها بالمتلقي، لأنّ فعل الفن يكمن في « استثارة نوع من الشعور أو الإحساس في داخليات المرء نفسه، ذلك الشعور الذي اكتسبه من خلال تجربة سابقة، ثم بعد ذلك نقل هذا الشعور بطريقة تمكّن الآخرين من ممارسته حتى يمكن لهم أن يتأثّروا به.» [2]

وكثيرا ما تختلف طبيعة الصّور ومكوّناتها، فمنها ما يأتي من المشاهدة، ومنها ما يأتي من السماع، كما أنّ من الصّور ما هو مادي وما هو معنوي، وقد يتعاضد العنصران الاثنان للسياق الذي ارتسمت فيه أو لطبيعة ما تشخّصه إنسانا أو شيئا أو سواهما، فتتداخل عناصر مختلفة في هذا التشخيص، حيث يتوقف الوضوح الفنّي فيه على أصالة التجربة، وإمكانات الكاتب الفكريّة وأدواته الفنيّة في استغلال الذكرى أو التجربة الذاتية أو غيرها، إذ أنّ الحديث عن تجربة ما تكون ناقصة يتطلب تفكيرا جديدا أو متطوّرا. [3]« في فكرة متكاملة انتهى الفكر من تشكيلها، لكنّه يتناولها الآن من حيث علاقتها بالذات نفسها.» [4]

وعلى هذا يتأكّد أنّ بناء صورة ما لا ينطلق من فراغ خالص، ولا يعكس الإحساس باللّحظة فقط، بل « كثيرا ما يتكئ على تجربة سابقة ذهنية أو مباشرة، ولكل من الإحساس والتجربة السابقة أهمية، فالانفعال باللّحظة له دوره قوة وحرارة، كما أنّ للتجربة السابقة في هذا المجال دورها في إشباع الصورة التي قد تنتج عن انفعال جديد يطوّر تجربة سابقة اختمرت أو يجد فيها ثراء.»[5] يكون للمخيّلة هنا دور في الحذف أو الإضافة أو التعديل، كما يمكنها أيضا أن تمارس سيطرة واستبدادا «تحوّر وتبدّل في العالم الحيّ، بل تكيّفه كما تشاء.»[6]

---

1 - عمر بن قينة، الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، ص107،108.

2 - فايز اسكندر، النقد النفسي عند ريتشاردز، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، القاهرة، دت، ص63.

3 - ينظر: عمر بن قينة، الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، ص108

4 - مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفنّي في الشّعر خاصة، منشورات جماعة علم النفس التكاملي، دار المعارف، ط2، مصر، 1959م، ص189.

5 - عمر بن قينة، الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، ص108.

6 - مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ص70.

على أنّ الصورة الفنيّة الناجحة هي الصورة التي تنمو طبيعيا ضمن حركية يمليها واقعها النامي أو الجديد أو المتجدّد، والتي تعكس صدق إحساس صاحبها وقوة انفعاله، مع جودة التعبير والتصوير.[1]

ونشير هنا أنّ البحث عن صورة الطّفل بعيد كل البعد عن الصّورة الشعرية، إنّما يأتي في إطار الصّورة الذهنيّة التي تعني« عودة الإحساسات في الذهن مع غياب الأشياء التي تثيرها أو تعبّر عنها.»[2] على أننا سنقتصر في دراستنا هذه على الحضور أو الوجود الفيزيقي للطّفل- في النّص القصصي- دون التطرّق إلى التحقق الفنّي والجمالي، وسنحاول استجلاء مختلف صور الطّفل في أدب الطّفل، بالتركيز على القصص الموجّهة للأطفال فقط دون الأجناس الأدبية الأخرى، كون القصة هي الجنس الأدبي الأكثر احتواء لشخصيات يمثّلها الأطفال، ولأنّ موضوع البحث هو القصة بالدرجة الأولى.

## 6- نماذج من صورة الطّفل في قصص الأطفال:

### أ- قصص الأطفال العالميّة:

ظهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر مجموعة من القصص استلهمت من التراث الشعبي، وأعيدت صياغتها بما يتلاءم مع شخصية الطفل، تحمل مضامين وأبعادا عامة صالحة في معظمها للأطفال. وفي العصر الحديث ازداد ظهور القصص الموجهة خصيصا للطفل، وقد تنوعت مضامينها، فنجد منها ما يدور حول العدوانية أو الإعاقة أو التشرد...

***قصة سندريلا:**

هي قصة شائعة ومشهورة في بقاع كثيرة من العالم « مبنية على فكرة الصراع بين الخير والشّر. الشر يبدأ وكأنه المنتصر، إلاّ أنّ انتصاره سرعان ما يتبدد كالوهم... الخير تمثّله سندريلا والشر تمثله الأختان. وكما أنّ الخير والشر نقيضان كذلك سندريلا وأختاها.»[3]

فسندريلا فتاة يتيمة تتفوّق على أختيها بما تملكه من صفات ومزايا، أما أختاها فتتفوقان عليها بما تملكانه من مال وجاه، والفتاة "سندريلا" مضطهدة ومقهورة أسريا، تقوم بالأعمال المنزلية في البيت وحدها دون أن تلقى المعاملة الحسنة من زوجة أبيها أو من أختيها، وهي ضعيفة وعاجزة تستسلم لواقعها وتكتفي

[1] - ينظر: عمر بن قينة، الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، ص108.
[2] - مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص227.
[3] - ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، عيّنات من قصص الأطفال، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1984م، ص57.

بالتمني والبكاء « تمنت سندريلا من صميم قلبها أن يكون لها ثوب للرقص، ثم راحت دموعها تنصب على وجنتيها، سألتها أختاها القبيحتان على ماذا تبكين؟ جلست سندريلا المسكينة على كرسيها وراحت تبكي بكاء شديدا.» (1)

وقالت: « أودّ أن يكون لي ثوب جميل... أنا توّاقة لرؤية الأمير.»(2)

يمكن أن نميّز هنا بين صورتين متقابلتين متضادتين: صورة سندريلا البائسة المضطهدة، وصورة الأختان القاسيتان، كما هو موضّح في الجدول الآتي:

| | **سندريلا( الخير )** | **الأختان( الشر )** |
|---|---|---|
| **الصفات** | - رقة وطيبة.<br>- حب الآخرين. | - قسوة وشراسة.<br>- كره الآخرين. |
| **الأعمال** | - القيام بكل الأعمال المنزلية: طبخ، غسل، إصلاح ثياب... | - لا تؤديان أي عمل منزلي.<br>- تتزينان وتأمران. |
| **نمط الحياة** | - ثياب ممزقة.<br>- حذاء خشبي.<br>- تنام قرب الموقد.<br>- قذرة، مجللة بالغبار. | - ثياب جميلة وكثيرة.<br>- نظافة وأناقة.<br>- حفلات ورفاهية. |
| **العلاقة** | - الطرف المغلوب.<br>- مأمورة ومجبرة.<br>- خادمة. | - الطرف الغالب.<br>- إصدار الأوامر.<br>- سيّدتان. |

---

1 - سندريلا، الزيتونة للإعلام والنشر، دط، باتنة، الجزائر، دت، ص10.

2 - المصدر نفسه، ص12.

لكنّ استمرارية ضعف سندريلا، وبقائها مظلومة مضطهدة سرعان ما ينجلي وتتحول حياتها التعيسة إلى حياة سعيدة، عكس أختيها« ونمط حياة كل منهن، ستسوّيه وتضبطه قوة غير بشرية، فتُنقذ سندريلا في الوقت المناسب وتؤمّن لها صعودا سهلا "هينا" لا صعاب فيه ولا عراقيل، صعودا ينقلها من أسفل السلم الاجتماعي إلى أعلاه حين تصبح زوجة الأمير.»[1] وهذا الصعود لم يتأتى لسندريلا ببذل الجهد، وإنّما بفعل قوة خفية تتمثل في الجنية السحرية التي تحقق لها كل ما ترغب فيه.

إنّ ما آلت إليه حياة سندريلا وهي الفتاة اليتيمة يقدم عبرة للأطفال، حيث تبدّل شقاؤها نعيما، وحرمانها رغدا وفيرا، وإن كانت الوسيلة التي خلصتها من الذل والحرمان خيالية، بفعل الجنية السحرية التي حققت أمانيها وأحلامها وجعلتها زوجة الأمير. وقد يخفّف عن الأطفال الذين يعيشون هذا الحرمان والذل والقهر، إذ عسى أن يحصل الشقي المحروم على ما حصلت عليه سندريلا، ويعلّمهم معنى تعذيب الذات وقهرها، والصبر على النوائب للوصول إلى تحقيق أمان وأحلام كثيرة تبدو صعبة المنال.

ونمر إلى صورة الطّفلة الفقيرة في قصة "**بائعة الكبريت**"، حيث تصف بؤس ومعاناة فتاة فقيرة، تكد من أجل توفير قوت عائلتها، ففي إحدى اللّيالي الباردة والثلج يتساقط « كانت هناك فتاة صغيرة تجوب الشّوارع عارية الرأس وحافية القدمين. كانت الطفلة تبيع أعواد الكبريت وتنادي: " كبريت.. كبريت " ولسوء حظها لم يشتر منها أحد شيئا.»[2] لذلك فهي لا تستطيع العودة إلى البيت لأنّ والدها سيضربها إن لم تحضر أية قطعة نقدية، وبينما هي ما زالت تجول في الشوارع « انطفأت كلّ الأنوار ولم يبق سوى الفتاة مستلقية على الأرض قد ماتت من البرد. ولمّا جاء الصباح وصار الناس يمرّون أمام جثّة الطفلة وهم يتأسفون ويقولون:"يا لها من فتاة مسكينة، كانت تبحث عن قليل من الدفئ".»[3]

هنا نلاحظ قسوة المجتمع وانعدام مبدأ التعاون والتآزر بين الأفراد في المجتمع، إذ لا أحد من المارة عطف أو أشفق على الفتاة البردانة الجائعة، ونظر إليها بعين العطف ومدّ لها يد العون. فالقصة لها آثار سلبية في نفوس الأطفال، لأنها تشير إلى غياب حب الآخرين ومساعدتهم، والعطف عليهم، فلا أحد من المارة قدّم يد المساعدة للفتاة الجائعة، ولو كان ذلك لكان أحسن، حتّى يتعلم الطفل المتلقي معنى التعاون ومساعدة المحتاجين.

[1] - ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، ص58.

[2] - بائعة الكبريت، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، دت، ص1.

[3] - المصدر نفسه، ص6،7.

هذه القصة تشير إلى العنف والمعاملة القاسية التي يستعملها الأب مع ابنته التي ما زالت في طور الطفولة، حين راح يستغلها كوسيلة لجلب المال، وإن لم تفعل فإنّه يضربها أو يطردها من البيت، لتنتقل إلى حياة التشرد والضياع بالشارع.

### *قصة"علاء الدين والمصباح السحري":

هي إحدى قصص " ألف ليلة وليلة " التي كتبت في ظروف تفشّى فيها القمع والاضطهاد والحرمان على أنواعه المختلفة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، حيث زادت الفروق الطبقية وانتشر الجوع من جهة والرفاهية والتخمة من جهة أخرى، فكان طبيعيا اللّجوء إلى الخرافة والسحر، والغاية تبرر الوسيلة، للتخلّص من الفقر والقهر ولو خياليا ووهميا، بنقل سامعي هذه القصص إلى ما فوق الواقع إلى الحلم.[1]

في هذه القصة الخرافية يصادفنا بطلها "**علاء الدين**" الطفل الكسول، أبوه خيّاط فقير رغب في تعليمه أصول مهنته، وظاهرة تعليم الأهل أو الآباء أبناءهم أصول مهنتهم ظاهرة اجتماعية شائعة في مجتمعاتنا، حيث نلمح نمط الإنتاج الحرفي الذي يبقي دائرة الانتماء إلى الحرفة مغلقة، وفيه تورّث المهنة توريثا، لكنّ علاء الدين رفض ذلك بل « كان يحبّ اللّعب مع أبناء الحيّ.» [2] فهو لم يتعلّم إلاّ اللّعب فقط، ولم يرث مهنة أبيه رغم الإلحاح المستمر عليه، وحتى بعد وفاة أبيه لم يشارك أمّه في تحمّل المسؤوليات، ولم يعر كلامها أدنى اهتمام. إنّه لم يتعلّم من أبيه سلاح الحياة، وهو كسول، لذلك فمن المحتمل جدا أن يعيش شقيا، إلاّ أنّ نهاية القصة تجعله رغم كسله واتكاله على الآخرين، يتمكن بواسطة الساحر من الحصول على خاتم سحري وعلى فانوس سحري، والفانوس يمكنه من الارتقاء الاجتماعي والمادي دون بذل أي جهد.

وشخصية " علاء الدين" شخصية مثيرة ومشوقة لما تنطوي عليه من خيال عجيب، وما تقوم به من أعمال خارقة تنشدّ إليها الأطفال، وترحل بهم في عالم لا يرتاده إلا في الأحلام، فيجد فيها الأطفال متنفسا لما يختلج في نفوسهم من مكبوتات وما يعتمل في صدورهم من مشاعر« فشخصية علاء الدين تمثل الخير وتنتصر له، وتصارع الشر وتهزمه، غير أن هناك قيماً سلبية تختفي وراء هذا الانتصار، فكل ذلك لا يتم بواسطة العمل المثمر الجاد بل يتم دائماً بواسطة حلول خارقة وسحرية.»[3]

---

[1] - ينظر: ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، ص66.

[2] - علاء الدين والمصباح السحري، اقتباس: نوري بشاري، دار المعرفة، دط، الجزائر، دت، ص2.

[3] - ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، ص66.

***قصة " الأصبع الصغير" :**

تحكي عن إحدى العائلات التي تعاني من شدة الفقر والجوع، مما أدى بالزوجين اللذين لديهما سبعة أبناء إلى التفكير في التخلص منهم، لأنهما كانا فقيرين ولا يستطيعان إطعامهم، فقرر الوالدان أخذهم إلى الغابة وتركهم هناك، ولما وجد الصغار أنفسهم تائهين تملكهم الخوف والجوع وراحوا يبكون، إلا أنّ ابنهم الصغير كان شديد الذكاء، وتمكن باستعمال ذكائه من إنقاذ إخوته الصغار وإعادتهم إلى البيت سالمين معافين.

بطل هذه القصة طفل ذكي، صغير الحجم بحجم أصبع اليد، لذلك سمي" **الأصبع الصغير**"، وقد تمكّن بفضل ذكائه وفرط حيلته من العودة بإخوته الستة إلى البيت، بعدما أراد والداه التخلّص منهم جميعا - في الغابة - بسبب الفقر والجوع، لكنّه كان في كل مرّة يصطحب فيها الوالدان أبناءهم إلى الغابة ويتركونهم هناك ويعودون دونهم، يقوم الطفل الصغير بتتبع أثرهم، وينقذ إخوته من الضياع في الغابة وخطرها، ويتفطن إلى حيلة تنقذه من المأزق، من بين حيله أنّه « كان يسقط الأحجار على طول الطريق، إذ قال لهم:"لا تخافوا واتبعوني". وأعاد إخوته إلى البيت. أمّا الأبوان فقد ندما على ما فعلاه لأنّهما كانا قد تحصلا على بعض المال من سيّد القرية. وفجأة دخل الصغار ينادون " نحن هنا " ففرح الأبوان وعانقاهم.» [1]

إنّ تخليص الأصبع الصغير إخوته رغم كل العوائق تأكيد على عمق علاقة الأخوة والمحبة بينهم، والعبرة من ذلك هي الرغبة في غرس علاقة الأخوة بين الإخوة الصغار.

إنّ بعد القصة هنا هو تقديم صورة للطفل كي يكون فعّالا في أسرته، ويساعد في تحقيق الأمن والاستقرار لها، وإدخال السرور إلى الأسرة. حيث برجوع الأبناء إلى منزلهم سالمين، تعود حياة الأسرة إلى ما كان يجب أن تكون عليه ويعيش الوالدان مع أبنائهم حياة سعيدة ومستقرة، وتسود السعادة والأمن في الوسط العائلي.

إنّ الأصبع الصغير تمكّن باستخدام قوة العقل وحسن التفكير من إيجاد حل للمشكلة رغم صغر سنه وحجمه، ما يؤكّد أنّ الحجم أو قوة البدن لا يهمّ بقدر ما يهمّ العقل عند الإنسان، ومن أنّه لا بدّ من تحكيم العقل لإيجاد حلول للمشاكل والأزمات التي تواجهه في الحياة، لذلك فإنّ « أول ما نهتم بغرسه في

[1] - الأصبع الصغير، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2007م، ص2،3.

أطفالنا هو تدريبهم على مواجهة المشكلات وحلها بنجاح، عن طريق استخدام العقل.»[1] لأنّ استخدام العقل قد يحقق ما لا تحققه القوة البدنية مهما عظمت، وهنا لم تتدخل قوى خفية وتنقذ الأطفال كما حدث في القصص السابقة.

## قصة " كيلر تتحدّى الإعاقة" :

موضوعها "هيلين" فتاة تعاني من إعاقة أصابتها في الصّغر، فأصبحت صمّاء عمياء، لكنّ هيلين رغم مرضها، وبفضل مربيتها التحقت بالمدرسة وتعلّمت طريقة " البراي"، وهي طريقة لتعليم القراءة والكتابة، باستعمال رموز تحفر على الورق، حتّى أنّها تعلّمت كيفية النطق بأسماء أشياء كثيرة بمساعدة مربيتها « إنّها عملية متعبة وشاقة ولكنّ إرادة هيلين هوّنت عليها الصعاب وأصبحت في ظرف قصير تنطق أسماء الكثير من الأشياء.»[2] وقد فرح بها والداها كثيرا وأعجبهما ما قامت به من تحدّيات وصعاب، وقد « تدرّجت هيلين في مراحل الدراسة كلّها ونالت أعلى الشّهادات الجامعية، ونجحت فيما فشل فيه الكثير من الأصّحاء، ولم تقف الإعاقة في طريقها، بل تحدّتها وواصلت مشوار حياتها بعزيمة وإرادة، وعاشت بقية حياتها متفرّغة لمساعدة المعاقين وتعليمهم وبثّ الأمل في قلوبهم.»[3]

والقصة هنا تنتمي إلى الأدب الواقعي البعيد عن شطحات الخيال المجنح، وقد استطاع الكاتب التغلغل داخل أعماق الشّخصية الرئيسة كيلر، وصوّر مشاعرها وأفكارها، ونجح في تشخيص حالتها، فقدّم لنا قصة اجتماعية إنسانية تحتوي على مضامين كثيرة يستشفها القُرّاء من وراء السطور، حيث يرى القارئ أن هذه القصة تركّز على هموم وآمال ذوي الاحتياجات الخاصة، وتؤكّد أهمية أن يولي المجتمع المعاقين الاهتمام والرعاية. إضافة إلى مضامين أخرى، كالتركيز على الدور الذي تلعبه الأسرة ( الوالدين ) والمدرسة في تنشئة الأجيال، وضرورة إتاحة الفرصة للأطفال؛ كي يعبروا عن قدراتهم في الحياة التي لا تكبلها قيود الإعاقة والعجز والمرض.

وتهدف هذه القصة إلى تعليم الأطفال معنى الثقة بالنفس، وتحدّي الصعوبات مهما كانت، سواء كانت إعاقة أو مرضا أو فقرا... فالإعاقة الكبرى هي إعاقة العقل لا إعاقة الجسم، لأنّ الطفل المعاق قد يحقق ما عجز عنه الطفل الطبيعي أو السليم من الإعاقة، بل قد يتفوّق عليه بعزيمته وإرادته، فالإرادة

---

1 - إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص162.

2 - كيلر تتحدى الإعاقة، قصص عالمية، سلسلة كان يا مكان، مروة للإعلام والنشر، دط، دب، دت، ص13،14.

3 - المصدر نفسه، ص16.

تصنع المعجزات، وتحقق الأحلام والأهداف التي يرجو كل طفل تحقيقها في الحياة، فيتمكّن بذلك من تحقيق الذات ويحظى بتقدير الآخرين، لأنّ من أخطر ما يتعرض له الإنسان في حياته هو الإحساس بالنقص، أو أنّه لا ينال التقدير، خاصة أنّ معظم المعاقين« يتسمون بالإحباط الشديد، وكراهية النفس، والشعور بالكراهية للمماثلين لهم، مع العصبية الشديدة في مواجهة الموقف، وكذا انخفاض مستوى الطموح، واضطراب صورة الذات وانعدام الثقة، والسلوك المضاد للمجتمع، وعدم التوافق النفسي.»(1)

إنّ مثل هذه القصة وما شابهها تهدف إلى إشباع هذه الحاجة ببث الثقة في نفوس الأطفال خاصة المعوقين منهم، لتجعلهم يحسّون بأنّهم كالآخرين بل يفوقونهم أحيانا، ويستطيعون عمل شيء ما ذا قيمة، يحقق لهم النجاح والوثوق في قدراتهم وإمكانياتهم، وهنا تكمن أهمية أدب الأطفال الذي « يستطيع أن يلعب دورا في إشباع هذه الحاجة، عن طريق تأصيل المهارات، وتطوير القدرات، وصقل الخبرات، وإكساب الفرد ثقة أكبر بالنفس، وغير ذلك من الوسائل. وكذلك تقديم صور البطولة التي تتسع لتشمل مختلف مجالات الحياة، وهي تلعب دورا مهما في تأكيد الذات عند الطفل.»(2)

ومن القصص العالمية الموجّهة للصّغار قصص" **عندما كان أبي صغيرا** "، التي تحوي مجموعة من القصص تدور حول حياة الأب في صغره على لسان ابنه، ومن ضمن هذه القصص قصة " **كيف صار أبي صديقا لبنت صغيرة** "، والتي تروى على لسان ابن يحكي عن أبيه وما حدث له من مغامرات في طفولته، يقول: « عندما كان أبي صغيرا، كانت له صديقة، بنت صغيرة، كانت تدعى ماشا، وكانت هي أيضا صغيرة، كانا يلعبان بسرور معا، وكانا قد بنيا بيتا جميلا على الرمل، كان أبي الصغير يحب كثيرا أن يلعب مع هذه البنت الصغيرة، لم تتشاجر قطّ معه.» (3)

إن دلالة القصة هنا إشارة إلى طبيعة الأطفال وحبهم للعب، ومن بين الألعاب الشعبية المنتشرة بين الأطفال نجد لعبة قصور أو بيوت الرمال التي يتمتعون ببنائها كثيرا، ويمارسونها باستمرار، فمن الملاحظ أنّ الطفل عادة يبتكر بنفسه ألعابه الخاصة، فهو يمتلك موهبة تحويل كل شيء إلى لعبة. وفي هذه اللعبة يشترك الطفلان – الذكر والأنثى- ويلعبان معا ولا يتشاجران، وهما جدّ مسرورين، ما يبيّن أن

---

[1] - محمد مصطفى أحمد، الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية المعوقين، دار المعرفة الجامعية، دط، الاسكندرية، 1997م، ص96.

[2] - إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص43،44.

[3] - الكسندر راسكين، عندما كان أبي صغيرا، قصص للأطفال، تر: خالد علي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، دمشق، 1983م، ص109.

العالم الغربي يختلف عن العالم العربي والجزائري على السواء، حيث تكون علاقة الذكر بالأنثى علاقة إيجابية، بينما نجدها في العالم العربي علاقة سلبية، تطغى عليها السلطة الذكورية، وبالخصوص في الأرياف، فإنّه بمجرد أن ترى الأم ابنتها تلعب مع ابن الجيران حتّى تنهاها عن فعل ذلك وقد تضربها دون سبب، أمّا الطفل الذكر فله الحرية في اللعب، فنقول إنّ المجتمع العربي مجتمع ذكوري ما يزال يحتفظ بالنزعة السائدة القديمة، والمتمثلة في تفضيل الذكر على الأنثى، كما سيظهر جليا في القصة العربية " أنا لست شقيا" فيما سيأتي من بقية البحث.

أما قصة " **كيف ذهب أبي إلى المدرسة**" وهي من المجموعة نفسها فتبرز صورة الطفل المريض الذي عرقل المرض التحاقه بالمدرسة، بعدما أصابته حمى شديدة ألقته طريح الفراش، ففي «الوقت الذي أصبح فيه في سن الذهاب إلى المدرسة كان أبي الصغير في السرير مريضا، وعندما تعافى من مرضه، وذهب إلى المدرسة لأوّل مرة، كان جميع الأولاد في سنّه قد ذهبوا إلى المدرسة منذ مدة طويلة.» (1) لكنّه في المدرسة لم يكن طفلا ساذجا خائفا بل طفلا شجاعا، فذات مرة حين أجلسته معلمته مع بنت في القسم ضحك أصدقاؤه، فاجتاحته نوبة بكاء فلم يبك، بل ضحك فضحك التلاميذ كلّهم، وشجّعته معلمته على ذلك، فقد « اجتاحت أبي رغبة عارمة للبكاء، ولكن فجأة تراءى له أنّ كل هذا كان مضحكا، فانفجر بالضحك، عندئذ ضحكت المعلمة أيضا، وقالت: أحسنت أيّها الولد الصغير! وأنا التي ظننت أنّك ستبكي!.» (2)

غير أن الأب الصغير لم يكن شجاعا في كل المواقف، ففي قصة " **كيف كان أبي يصل دائما متأخرا**" يبدو طفلا كسولا، ينام كثيرا، ويعجز عن النهوض باكرا للالتحاق بمدرسته، كما يعجز ويتماطل في إنجاز وظائفه المدرسية في المنزل، يقول الراوي: « كان جميع الأولاد يصلون إلى المدرسة في أول الدرس الأول، بينما كان أبي الصغير يصل دائما متأخرا، وأحيانا كان يصل متأخرا حتّى عن الدرس الثاني، وكان هذا يثير عجب المعلمة ويدهشها كثيرا.» (3) فكان يلقى جرّاء كل هذه المخالفات عقوبات صارمة من طرف والديه، جعلته فيما بعد يستقيم ويستمع لهما فيما يقدمان له من نصائح وتوجيهات.

1 - الكسندر راسكين، عندما كان أبي صغيرا، ص165.
2 - المصدر نفسه، ص126،127.
3 - المصدر نفسه، ص133.

ومن بين المضامين التي تحويها هذه القصة نجد:

- تحبيب المدرسة للطفل، وجعله يقبل عليها طواعية دون إكراه.

- التحلي بالشجاعة في المواقف الصعبة، وعدم البكاء لأنها صفة سلبية يجب التخلي عنها.

- تجنب الخوف والسذاجة والمشاجرة مع الآخرين خاصة الزملاء في السن نفسه.

- حب العمل والاجتهاد، ونبذ الكسل والخمول.

- الاستماع لنصائح وتوجيهات الوالدين.

كما تُطرح قضية العدوانية عند الأطفال الذكور في قصة " **هل أنت جبان يا برهان؟** " لـ"**جونيلا بيرجسترم**" ، حيث يلجأ الأطفال وهم يلعبون إلى العدوانية وكثرة الشجار، ما عدا الطفل "برهان" الذي يبلغ ست سنوات، فهو يكره المشاجرة، ويبتعد دائما عن الأولاد حين يتشاجرون، حتى أصبح بعض أصدقائه يظنون أنه جبان، بينما هو في الحقيقة لا يحب المشاجرة، وهو متأكد من قوته وشجاعته، حتى أنه أحيانا عندما لا يستطيع أن يتهرّب من المشاجرة، يتظاهر بالاستسلام فتنتهي المشاجرة بسرعة، ويعود الأطفال لممارسة ألعابهم وكأنّ شيئا لم يكن، فالأطفال ليسوا كالكبار، لأنهم يتشاجرون لكنهم سرعان ما يعودون للعب.

وشخصية برهان ليست شخصية نمطية للذكور الأشقياء، وربما تعتبر شخصيته جبانة لو لم يكن قويا، لكنّه لا يستغلّ قوته من أجل إثباتها على الآخرين، ولا يهتم بما يقوله هؤلاء عنه، ويعتبر موقفه موقفا من المشاجرة ذاتها، وليست بسبب طيبته أو جبنه أو ضعفه، كونه يستطيع أن يكسر قضيبا أو يحمل طبقا كبيرا، أو يحمل رزمة ثقيلة. وفي الوقت الذي يحاول الأطفال الأشقياء فرض سيطرتهم على الجميع من خلال التغلّب عليهم بالمنازلة، يعتذر برهان بحجة أنّه لا يحبّ المشاجرة.[(1)]

برهان طفل شجاع، لأنّه ظلّ محافظا على موقفه، وكان قويا لأنّه لم ينجر إلى الشّجار، ولأنّه أعلن ذلك دون خوف، وفي المساء حين يسأل برهان أباه إذا ما كان يتشاجر مع الآخرين، يجيبه الأب بالنفي، حينها يدرك برهان مدى شجاعة أبيه.[(2)]

[1] - ينظر: جونيلا بيرجسترم، هل أنت جبان يا برهان؟، تر: منى زريقات هنينغ، دار المنى، دط، السويد، 1994م.

[2] - ينظر: المصدر نفسه.

إنّ صورة الطفل برهان هنا تبدو منسجمة متطابقة مع صورة الأب من حيث الشجاعة في قول الحقيقة، وهذه صورة تغاير تماما صورة الطفل الشقي وصورة الأب المرتبطة بالقوة والسيطرة التي سنراها في القصص القادمة. كما أنّ المتلقي الصغير يدرك من خلال محتوى هذه القصة معنى الشجاعة والقوة، ولكن ينبغي عدم استغلالها في الأعمال المشينة، والابتعاد عن المشاجرة، وهذا ليس خوفا من الآخرين، بل هو إثبات لشجاعته وحسن تصرفه، وعدم استغلالها في الاعتداء على الآخرين.

وتحمل هذه القصة فكرة هامة مفادها أنّ الصغار يلعبون ويتخاصمون، لكن بعد ذلك يعودون للعب بعد لحظات قليلة، وقد ذاب الخلاف لأنّه كان من ضمن مجريات اللعب وأحد مكوناته الأساسية، بل ومن خلاله تتكسر أنانية الطفل في مدرسة الحياة « فالتعايش يفرض احترام قانون اللعبة، وعدم فرض الذات، والانضباط من أجل التعايش مع الآخر والتواصل معه بشكل أفضل.» (1)

فأبجديات اللعب عند الأطفال يتداخل فيها الممكن وغير المباح، المنطقي واللاّمنطقي، إنّه عالم جميل وحالم يستبيح كل شيء من أجل اللعب من زاوية ومنظور محدد دون خلفيات أو حقد دفين، في حين تختلف نظرة الكبار إلى لعب الأطفال، لأنّها تكون مؤطرة بشكل مسبق بخلفيات أخرى أعمق وأبعد من أن يدرك كنهها طفل صغير.

وما يلفت الانتباه في هذه القصة أنّ مؤلّفتها جعلت الطفل برهان يعيش مع أبيه دون أمّه، ما يجعل مهّمة تعليم برهان وتثقيفه وتوفير حاجاته الأساسية هي مسؤولية الأب، وهي صعبة للغاية، ربما يكون هذا الوضع صدمة للقارئ للوهلة الأولى باعتباره لم يتعوّد على دور مثل هذا للرجل، خاصّة أنّه غالبا ما يرتبط هذا الدور بالمرأة.

من خلال استعراضنا لهذه المجموعة من القصص العالمية، والوقوف فيها على مختلف صور الطفل، نلاحظ أنّ بعض هذه القصص تحمل الكثير من القيم الإيجابية التي تساعد على تنشئة الطفل وصقل مواهبه، لكنها لا تخلو من بعض الأوهام، حيث يتخلّص الطفل من مشاكل الحياة التي تواجهه بفعل قوى غيبية خارقة، تبتعد كل البعد عمّا يراه الطفل في مجتمعه الحقيقي، وتنمّي لديه فكرة السحر والشعوذة والمعتقدات الخرافية التي يؤمن بها بعض الآباء والأمهات، خاصة وأنّ أفكار السحر والخرافات والجان، واللجوء إلى الغيب لتحدي القهر بشتى أنواعه ( سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ) قد تغلغل في البنى

[1] - سوزان ميلر، سيكولوجية اللعب، تر: حسن عيسى، سلسلة عالم المعرفة، دط، الكويت، 1987م، ص185.

الثقافية للطفل العربي، كما أنّها تشغل حيزا كبيرا من المخزون الثقافي الشعبي المتوارث وهي أكثر رسوخا لدى الفئات المقهورة اقتصاديا وحيث يتفشى الجهل والبؤس، ويكون لهذه القصص دور كبير في تشويه إدراك الطفل لعالمه الخارجي، وتضييق آفاقه الفكرية، كما أنّها تجعله يسلّم تسليما مطلقا بالأمور الميتافيزيقية على حساب الحقائق الموضوعية، وتهدّد بالخصوص الجانب الديني للطفل الجزائري والعربي – كمتلق لهذه القصص - وتحدث بلبلة في تفكيره وعقله وهو في هذا السن.[1]

وهذه القصص تخلق لدى الطفل أسئلة ليس بالإمكان – حتّى يومنا هذا - تقديم أجوبة علمية عنها تقنع العقل وتخضع للمنطق، من بين هذه الأسئلة مثلا: من هو الجان ؟ ما شكله ؟ أصله؟ من أين أتى ؟ ولماذا يملك قدرات خارقة ؟ وبالتالي « ليس بالإمكان توظيفها للإسهام في تنمية قدرات الطفل العقلية والإبداعية وفي بناء شخصيته بناء إيجابيا خلاقا.»[2] وتُزيّن للأطفال المقهورين المحرومين العذاب والآلام، وتتركهم حيث هم ينتظرون المخلّص ويحلمون بقدوم المنقذ (الجان)، دون أن يقوموا بمواجهة الصعاب، ومحاولة تخطّي العراقيل بإحكام العقل والتفكير.

زد على ذلك أنّ الجان يبدو في ثقافة الغرب خيّرا، منقذا للتعساء والمساكين، في حين أنّ أكثر الجن الذي تقدّمه الثقافة الشعبيّة العربية هو مؤذ وضار، ويرتبط بالأفعال الشريرة.

### ب- قصص الأطفال العربية:

### *قصة " أنا لست شقيّا" لصفاء عمير:

عالجت هذه القصة موضوع شقاوة الأطفال، حيث حاولت كاتبة القصة أن تنفي تهمة الشقاوة عن الطفل الشقي، واعتبار الشقاوة صفة طبيعية للمرحلة التي يمرّ بها الطفل في طفولته، لأنّ حياة الطفل توازي وتستلزم اللّعب، لأنّ اللعب طريقة للاكتشاف والتفكير الجيد، وأنّ الطفل وهو يلعب قد يتسبب بأضرار أو بأذى للأطفال الآخرين. فبطل القصة يلعب كما يشاء، لكن ابنة خالته ( الأنثى ) لا يدعها تلعب مثله، وهي الأخرى طفلة في مثل سنّه. وحين تلعب معه تصرخ وتبكي هاربة منه، ثم تختبئ وراء أمها، لأنه يضربها ولا يسمح لها بأن تلعب كما تريد، فيتدخل أبوه وينهاه عن فعل ذلك، بأن يدع ابنة خالته تلعب معه، فيخاف الابن من أبيه، ويكف عن إيذائها.

---

[1] - ينظر: ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، ص69.

[2] - المرجع نفسه، والصفحة.

إنّ صورة الطفلة هنا تبدو ضعيفة سلبية، فهي تبكي بسبب الولد الشقي، وتحتاج إلى من يحميها، وتلجأ إلى الاختباء في حجر والدتها خوفا منه، ويتكرر مثل هذا الموقف للطفلة/ الفتاة في أكثر من مكان، حيث نجدها دائما تمسك بأحد أو تختبئ خلفه، فهي الضعيفة التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها.

ويعد أهم ما في هذه القصة هو إصرار الطفل في الدفاع عن نفسه بأنّه ليس شقيّا، وليس غبيّا، كون الغباء صفة مرادفة للشقاوة حسب تفكيره هو، حيث يستمر الطفل الشقي في الدفاع عن نفسه بأنّه ليس غبيا، بل هو قوي وذكي، محبّ للعب والشقلبة.

وتبرز في القصة صورة الأب، صاحب السلطة العليا، وهو يؤنّب ولده الشقي ويهدّده بالضرب، وهي صورة نمطيّة للولد الذي يستقوي على غيره من الأطفال، ويقف ضعيفا في وجه السلطة العليا؛ سلطة الأب الذكر. وتنتهي القصة بتصوير الطفل وهو يلعب بالكرة، كثير الحركة، ويقلّب الأشياء ولا يعيدها إلى مكانها [1] وهنا تظهر النفسية العدوانية لدى الطفل، والتي تتجسد أحيانا في« تخريب الطفل للأشياء، فهو يكسر الأواني الزجاجية، ويبعثر كل الأشياء التي قامت والدته بترتيبها، ولا يبالي بسكب الماء أو الطعام على السجاد.»[2]

تريد كاتبة القصة هنا التأكيد على أنّ شقاوة الأطفال ترتبط بالمرحلة التي يمرّ بها الطفل، وقد ارتبطت هذه الشقاوة بشخصية الطفل الذكر، مقارنة مع شخصية الطفلة الفتاة التي بدت خائفة من عدوانيته، وهي تحتمي خلف أمّها أو أبيها مستنجدة بهما، لكننا نتساءل لماذا لا يلعب الطفل ألعابا هادئة؟ أو لماذا لا نرى الطفلة الفتاة تلعب هي الأخرى وهي في مثل عمر بطل القصة؟ الطفلة الفتاة بدت "كأداة" للعب، وليس طفلة يحّق لها أن تلعب. هذه المفارقة ساعدت في إضفاء صفات النمطيّة الذكورية كالعدوانية على الطفل الشقي، وأعطته القدرة على أن يفعل ما يريد عكس الفتاة. وفي هذا إشارة إلى أنّ السلطة القهرية التي يمارسها الأب مع الأم في الأسرة العربية عموما، حيث يحاول الأب استخدام قوته البدنية « للسيطرة على العالم المؤنث الذي هو الآخر مدرك من طرف هذا الأب إدراكا بدائيا على أنّه ضعيف وسلبي.» [3]

---

[1] - ينظر: صفاء عمير، أنا لست شقيا، مركز المصادر للطفولة المبكّرة، دط، القدس، 1998م.

[2] - عبد الكريم بكّار، مشكلات الأطفال، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، القاهرة، 2010م، ص77.

[3] - بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، ص75.

إنّ هذه القصة تُعرّف هذا الطفل أنّ حدود حقوقه تقف عند بداية حقوق الآخرين، وحبذا لو جعلت القصة الطفل يعيد الأشياء التي يقلبها إلى مكانها لكان أفضل، حتى يتعلّم مبدأ التنظيم والترتيب في أمور حياته، وما يمتلك من أغراض وأدوات.

وما يستخلص من هذا أنّ الطّفل لا يكون بالضرورة كما نحب أن نراه نحن الكبار، هادئ الطباع، راضخا للأوامر في كل الأحيان، بل أحيانا أخرى نجده شقيّا، يعبّر عن طفولته البريئة في صور حادة مختلفة، مثلما يبدو في قصة " **كاسر طفل طائش" لخالد كيال،** فاسم" كاسر" اسم فاعل يدل على الحركة والفاعلية، فهو كثير الحركة حتّى أنّه يكسّر كل ما يجده أمامه، فكاسر « طفل طائش منذ ولادته. إنّه يحبّ الأذى فلا يمسك دمية أو يرى شيئا إلاّ ويكسّره، حتى إنّ زجاجة الحليب التي أعدّتها له والدته لغذائه كسرها وحطّمها بعد فترة قصيرة وكأنّه بذلك يريد أن يثبت صحة تسميته كاسرا... أمّا أدوات المنزل فلم يكن نصيبها من التخريب بأقلّ من سواها حتى أصبح من المستحيل أن يرى المرء في أيّ ركن من أركان هذا المنزل شيئا أو أداة سليمة لم تنلها يد هذا الطفل بأذى، بالرغم من الحيطة التي كانت تلجأ إليها والدته في أكثر الأحيان، للحفاظ على أثاث المنزل من عبثه واستهتاره.»(1) يقوم الطفل بذلك رغم نصح وتأنيب الوالدين له، أملا في أن يكبر طفلهم ويؤوب إلى رشده بأن يبتعد عن مثل هذه الأفعال.

غير أنّ « الشهور كانت تمضي والزمن يمرّ وطيش هذا الطفل يزداد خطورة، وأذاه ينتشر في كلّ مكان.» (2) وذات يوم وبينما هو كعادته يدمّر ويخرّب اللّعب وأدوات المنزل بالمطرقة، حدثت له واقعة غيّرت مجرى حياته وطباعه، فبسبب سرعته في تحطيم اللعب أصيبت أصبعه بضربة قويّة جعلته يئنّ من الألم ويبكي أشدّ البكاء، من تلك اللحظة راح يجمع كل اللعب والدمى والأدوات المنزلية التي خرّبها سابقا، وعزم على تصليحها بنفسه، ومنذ ذلك أطلق على غرفة كاسر اسم "مشفى اللعب"، وعمّت البهجة والسكينة أرجاء المنزل، بسبب التحوّل الذي طرأ على شخصية الطفل، وصارت المطرقة بدلا من أن تستخدم للتخريب والتدمير وسيلة للإصلاح والترميم على يد كاسر، وفرح الوالد بهذا التغيّر قائلا لابنه

[1] - خالد كيال، عبدو محمد، كاسر طفل طائش، قصص تربوية للأطفال، دار ربيع للنشر، دط، دمشق، سوريا، دت، ص2.

[2] - المصدر نفسه ، ص4.

«إنّك لم تعد كاسرا منذ الآن فقد سمّيناك " مصلحا " بعد أن صلح حالك واستقام عملك. وتمتم الأب قائلا: صدق من قال: - لكلّ امرئ من اسمه نصيب.»[1]

نلاحظ هنا أنّ الوالدين لم يتعمدا استعمال القسوة مع ابنهم، ولم يستعملا وسيلة العقاب لتعليم الطفل، لأنّ العقاب حسب ما أشار كثير من علماء التربية والنفس يعتبر وسيلة ضرورية للتصحيح، لكن في مواقف خفيفة وقليلة جدا، فالمربي الذي يتخذ العقاب منهجا عاما لكل أنواع الأخطاء التي يقترفها الطفل هو في الواقع فرد ضعيف الإرادة، قليل الصبر والحيلة، فالعقاب « أقصر الطرق إلى تعديل السلوك، ولكنه أقل الطرق جدوى في الحقيقة، فعندما ينال الصغير عقابا، أيا كانت شدته، فإنه يرصده على أنه عدائية. وهو على حق، لأن في عقاب الصغار دائما قسط من الكراهية، خاصة عندما يكونون دون الخامسة أو السادسة.»[2] لذلك فالطفل بحاجة إلى الإرشاد والتوجيه في السلوك والتربية، وتبيان السلوك الصحيح من الخاطئ. وفي هذا محاولة لتصحيح فكرة خاطئة لطالما ارتسمت في ذهن الوالد الذي يعتقد أن القسوة خير علاج لأخطاء الأطفال، وهي رسالة موجّهة للكبار في كيفية التعامل مع الصغار.

إنّ الطفل في هذه القصة لم يستمع لنصائح والديه المتكرّرة، واستمر في تخريب كل ما يجده أمامه، إلى أن عاقب نفسه بنفسه حين شجّ أصبعه بالمطرقة فأدرك حمقه وندم على لا مبالاته بنصائح والديه، ويوجد من أمثاله أطفال كثيرون لأن «الطفل ميال بطبيعته إلى المعرفة والاستطلاع، فيكتسب معلوماته وينمي معارفه عن طريق خبراته التي يمارسها بنفسه. ونتيجة انعدام الخبرة السابقة بالأشياء نجد بعض المساوئ والحوادث التي تنتج عن حب الطفل للاستطلاع، فإنه يريد أن يعرف شيئا عن الأصوات التي يمكن أن تحدثها زجاجة إذا ما وقعت على الأرض، فإذا بها قد انكسرت، ويحاول وضع يده بداخل المروحة أو بداخل الماء الساخن ليعرف ما سيحدث، فإذا به مع كل ذلك يصاب أو يصيب ويفسد حتى يكتسب خبرات من ذلك، فلا يكرر الخطأ، خاصة إذا ما أحس ببعض الضيق ممن حوله ولم يقابلوه إلا بتوجيه رفيق وإرشاد لين إلى خطئه.»[3] حيث يؤكد علماء التربية على أنّه « لا ينبغي أبدا زجر الطفل وهو يحاول ذلك أو حرمانه من البحث والاستطلاع من غير سبب والتطويل في الحرمان إذا كان للتأديب، ولا ننسى أن إشباع رغبة الطفل في معرفة ما حوله يساعده كثيرا في نموه العقلي، وحبه لمن حوله وما

[1] - خالد كيال، كاسر طفل طائش، ص16.
[2] - ألفت حقي، سيكولوجية الطفل، ص164.
[3] - محمد سعيد مرسي، فن تربية الأولاد في الإسلام، ج1، دار التوزيع والنشر، ط1، القاهرة، 1998م، ص25.

حوله.»[1] وربما بدا الطفل في أحيان كثيرة غير مستجيب للإرشادات والنصائح حين تأخذ طابعا وعظيا، ولذا يمكن علاج بعض تلك السلوكيات باستغلال حبه للأغاني والألعاب والقصص التربوية، لتكون الوعاء الذي يقدّم له فيه التوجيه السلوكي والقيمي.[2]

ومن القصص الخاصة بعالم الأطفال، والتي فيها من الأحداث ما يشحن الطفل بالحقائق العلمية والسلوكيات القويمة، وبطريقة مشوّقة قصة " **الطّفل والمطر**" الصادرة عن سلسلة دار الفتى العربي بمصر.

تقدّم هذه القصة معلومات علمية عن الطبيعية، ودور كل عنصر من عناصرها ضمن سرد قصصي يشرح حاجة الأرض والورد والعصافير والأشجار والفقراء للمطر، يظهر فيه الطفل أحمد الأناني، الذي يصّر على فكرة أن يسقط المطر فوق حقل أبيه فقط، وبعد ذلك وحين يهطل المطر فيعمّ الفرح كل الكائنات إلاّ أحمد الذي يصرّح لأمّه بسخط أنّه لا يحب الغيوم ولا مطرها، لأنّها رفضت أن تلبي رغبته بأن يسقط المطر فوق حقل أبيه دون الحقول الأخرى، وتحاول الأم أن توضّح لطفلها أنّ المطر ليس ملكا لإنسان واحد أو حقل واحد، وأنّ الله يهب خيراته للجميع، إلاّ أنه يبقى مصّرا على موقفه، ويتمنى رحيل المطر. وتتحقق أمنيته، وتعطش الكائنات وتحزن، ويعمّ الجوع بين الفقراء، وترتفع الأسعار، وتقّل الخيرات، ويجوع أحمد، لكنّ أمه تخبره بأنّهم فقراء وسيظلون جياع حتى تأتي الغيوم وينزل المطر. هنا يخجل أحمد ويعاهد أمه بأن يحبّ الغيوم أعظم الحب، لأنّها تمنح مطرها للحقول كافة.[3]

الهدف هنا هو تنبيه الأطفال إلى قيمة المطر لما تعطيه من خيرات، وتقدير نعمة الماء التي أنعمها الله على عباده، وعدم تبذيره، لأنّ الماء كان ولا يزال أحد العوامل التي تسهم في إنبات الأشجار، وتزيين الطبيعة حين يسقي الأرض ويرويها، مما يجبرها على أن تنمو وتربو، ثم تبعث إلى العالم بمختلف المزروعات والنباتات، وعلى هذه النباتات والأكلاء تعيش الحيوانات والطيور. [4] وهو ما يتوافق مع ما تدعو إليه الشريعة الإسلامية أطفالنا من وجوب المحافظة على نعمة الماء، ومدى أهميته في الحياة، لأنّ الماء هو الحياة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ ﴾[5]

---

1 - محمد سعيد مرسي، فن تربية الأولاد في الإسلام، ص26.

2 - ينظر: إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص32.

3 - ينظر: الطفل والمطر، سلسلة دار الفتى العربي، دار المعارف بمصر، ط6، مصر، 1968م.

4 - ينظر: محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، ص54.

5 - سورة الأنبياء، الآية 30.

وتعلّم هذه القصة الابتعاد عن الأنانية وحب الخير للجميع، ومشكلة الأنانية « من المشكلات الشائعة في البيوت، حيث نجد أن كثيرا من الآباء والأمهات يشكون مرّ الشكوى من أن بعض أبنائهم يريدون الاستحواذ على كل شيء، وهم لا يعرفون أي فارق بين أن يكون هذا الشيء لهم أو لغيرهم.»[1] فأنانية الطفل أحمد جعلته لا يحب المطر، لكنّ الجوع غيّر موقفه وجعله يحبه من جديد، غير أنّ الطفل لم يفعل ما يستحق عليه كل هذه القسوة، قسوة الجوع والحرمان من الأكل، فليس من المنطقي كي نستدرج الطفل نحو سلوك معيّن أو إقناعه بفكرة ما أن نجعل مصيره مهدّدا، ونفرض الفكرة عليه فرضا، إنّه نمط التربية السائدة بواسطة العقاب دون الثواب، إذ يعاقب الطفل حين يخطئ، ولا يثاب حين يفلح. [2]

إنّ من واجب الآباء والأمهات اتجاه أبنائهم تقويم السلوك الأناني الذي عادة ما تتصف بها شخصياتهم، وتصويب أخطائهم منذ الصغر، وذلك حتى يتجنبوا « إمكانية استمرار النزعة الأنانية لدى الطفل وترسخها في شخصيته ليصبح في المستقبل شخصا شحيحا سلبيّا، لا يفكر فيمن حوله، ولا يفكر إلا في مصلحته الخاصة، وذلك إذا لم تعامل أسرته نزعته هذه بالحكمة والأسلوب الرشيد.»[3]

وهناك مجموعة قصص لـ "لينا الكيلاني" موجّهة للأطفال تتضمن أبعادا تربوية وسياسية ودينية واجتماعية، تدرج بعضها في هذا الإطار أي تربية الأطفال.

***قصة "الحلم والمستقبل" :**

تروي قصة أخوين صغيرين"**عامر وماهر**"، يحب أحدهما الآخر حبا كبيرا، وهما مثل صديقين حميمين متفاهمين، لا يتشاجران، ومتفوقين في المدرسة، لا يفترقان إلاّ قليلا، هواية عامر أن يتطلع إلى السماء ويتعرّف على النجوم وأسمائها، ومواقعها، وأبراجها، ويحلم أن يكون في المستقبل رائد فضاء، بينما يبحث ماهر في الأرض وينقّب عن حجر فضيّ مشّع سمع عنه، وقيل أنّ فيه معدنا نادرا، وأمله أن يصبح في المستقبل عالما من العلماء، وقد لقيا تشجيعا من أبويهما فزاد تعلّقهما أكثر بهوايتهما، وذات ليلة حلما أنّهما حققا مرادهما، وحين استيقظا في الصباح، سألا أباهما إن كان حلمهما سيتحقق، ولأنّ

---

[1] - عبد الكريم بكّار،مشكلات الأطفال، ص105.

[2] - ينظر: ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، ص118،119.

[3] - عبد الكريم بكّار، مشكلات الأطفال، ص107.

الأب يعي تعلّق ابنيه بهوايتهما أجاب بالإيجاب، وبأنّه إذا سعى أحدنا وراء أحلامه فلا بدّ أن تتحقق، ولكن ببذل مجهود، مع استمرارية في ذلك ولو فشلنا للوهلة الأولى.[1]

تبرز القصة هنا المحبة والصداقة بين الإخوة، كما تلعب دورا أساسيا في « نمو السلوك الإبداعي لدى الطفل باعتبارها أحد الوسائط الاتصالية لأدب الأطفال، فهي أحد العوامل المهيئة والمحفزة على صقل الميول الإبداعية لدى الطفل وذلك بما تحتويه من أساليب وأفكار تثير ملكات الإبداع والخيال والابتكار والتجديد لدى جمهور الأطفال.»[2] و مثل هذه القصص تليق بالصغار لأنها تدفع الطفل إلى التمسك بهوايته المفضلة، واختياره مهنة الحياة التي يريدها هو وليس والده، وما على هذا الأخير سوى تعزيز هذا السلوك لدى ابنه، وتعلّمه أنّ الأحلام قد تتحقق في المستقبل فقط بالعمل وببذل الجهد، وأنّ الفشل للمرة الأولى أمر عادي، والمهم هو النهوض من جديد بعزيمة وقوة إرادة، والإيمان بالقدرة على تحقيق الهدف مهما كثرت العراقيل. مما يساعد في « إعداد الطفل وزيادة معرفته ومعلوماته واكتشاف قدراته ومهاراته وإمكاناته وصقلها وتنميتها، وإشباع حاجاته وهواياته بطرق ووسائل ملائمة مناسبة، موجهة فضوله وطموحاته بما يتلاءم مع أوضاع الطفل وبيئته ومجتمعه، وفي حدود الإمكانيات المادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع، والقيم الروحية والدينية والأخلاقية السائدة.» [3]

*** قصة " الشجرة الأم":**

وهي ذات أبعاد تربوية تعلي من شأن وقيمة الأشجار، حيث تروي كيفية احتفال الأطفال بعيد الشجرة، حين راحوا يغرسون أشجارا كثيرة، وقد تلقى طارق في هذه المناسبة درسا من أمّه حول فوائد الشجرة وخيراتها، وقد أحسنت الأم الطريقة التي اتبعتها في إقناع ابنها بضرورة غرس الأشجار والمحافظة عليها، حيث شبّهت الشجرة بشجرة العائلة، فهي تسعد أيضا إذا اجتمعت بعضها ببعض وتكاثر أفرادها، كما أنّها تمدّنا بخيرات كثيرة إلى جانب الظل الذي يقينا حرارة الشمس وغيرها، ففهم طارق الدرس ورافق أمّه إلى الحديقة من أجل غرس شجرته.[4]

---

[1] - ينظر: لينا الكيلاني، الحلم والمستقبل، قصص للأطفال، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 1997م.

[2] - محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل، ص9.

[3] - المرجع نفسه، ص122.

[4] - ينظر: لينا الكيلاني، الحلم والمستقبل: قصة الشجرة الأم، ص20 ومابعدها.

إنّ الطفل حين يستمع لنصائح الآخرين قد لا يتجاوب معهم ولا ينفذ أوامرهم، أمّا إذا تلقى ذلك من طرف أمه فلا شكّ أنه يستمع لها ويعمل بقولها، لأنّه يعتبرها المثل الأعلى والقدوة المثلى في الحياة، خاصة إذا استعملت معه أسلوب اللين، مثلما فعلت هذه الأم حين ربطت الشجرة بالعائلة التي يحتك بها الطفل فقرّبت له الصورة أكثر، ذلك «أن الطفل مرتبط بهذه العائلة التي يعيش معها منذ أن أطلق صرخته الأولى... وهذا الطفل له ارتباط وثيق العرى بسيّدة العائلة وقائدتها في البيت وهي الأم التي حملته كرها ووضعته كرها، وأرضعته حتى بلغ الفطام، وعنيت به حتى استوى على سوقه.» [1]

ولعل هذه القصة تضع الطفل في الجو الحقيقي للاحتفاء بالشجرة، والتغني ببهائها وحسنها، وتقدير فوائدها، من خلال الوصف الرائع الذي قدّمته الأم لابنها، ولعل حملات التطوع التي تقيمها مدارسنا تدخل في هذا المسعى، فهي تحبب الأشجار للأطفال لما لها من قيمة جمالية وغذائية على السواء.

*** قصة "حرية للجميع" :**

تدعو القصة كذلك إلى الرفق بالحيوان وحسن معاملته والاعتناء به، حيث تحكي عن الحب الكبير الذي تكنه الطفلة " سوسو" بطلة القصة لقطها المسمى "عنبر"، وتبدو رحيمة عطوفة عليه، لأنها لم تقصر في رعايته بشيء، حتى أنها كانت تأخذ من مصروفها الخاص الذي يقدمه لها أبوها كل يوم وتشتري له لحما ولبنا، لكنها كانت تحجزه في البيت ولا تدعه يخرج، وذات يوم عندما غابت أمّها عن البيت وفتحت له الباب، أسرع يركض باتجاه الحديقة، فعادت مهمومة وكأنّها فقدت عزيزا لها ظنا منها أنه لن يعود أبدا، لأنّ قطها "عنبر " قط أليف وجميل، وهي تحبه كثيرا، وقد أنقذ أخاها الصغير من لسعة عنكبوت قاتلة فردّ بذلك لسوسو معروفها وحسن رعايتها له. وفي الأخير تمكنت سوسو من منحه حريته، وتقبّل فكرة عدم حجزه في البيت كما كانت تفعل من قبل، فقال لها القط حينئذ : « أنا أحب أن أعيش معك لكنني أحب حريتي أكثر. كنت صغيرا وكنت بحاجة إلى من يرعاني ويطعمني، وهاأنا قد رددت لك شيئا من فضلك علي.. اتركيني في هذه الحديقة، سأتجول في الطرقات كما أشاء ثم أعود إليك، ورضيت (سوسو) بهذا فما أغلى الحرية على المخلوق، وهي نفسها لم تعد أمها تحجزها في البيت أو في الحديقة،

[1] - محمد مرتاض، من قضايا أدب الأطفال، ص82،83.

بل هي تذهب إلى المدرسة، وإلى رفيقاتها وقريباتها، كما أنها تسرح وتمرح في النزهات. فلماذا لا يكون عنبر كذلك.» (1) ففهمت أنّ الحرية حق مشروع للإنسان والحيوان كذلك.

إنّ للحيوان منزلة كبيرة لدى الطفل وتقديرا معتبرا له، فهو يلاعب القطط والكلاب إن سنحت له الفرصة بذلك، ويهوى مشاهدة مغامرات النّمور والأسود وهي تحدّث زئيرا وجلبة بين الأدغال والغاب. وهذا ما أدركه كتّاب الأطفال فخصّصوا جزء كبيرا من إبداعاتهم لقصص تتناول عالم الحيوان ومغامراته، وهي تهدف في مجملها إلى تحقيق غاية واحدة هي تثقيف الطفل وتربيته بواسطة تلك القصص، وحتّى تتمكّن من بلوغ هذه الدرجة فإنّها لابدّ أن تأخذ بلبّ الطفل وتثمر انتباهه.

ومن طبيعة الأطفال حبهم للحيوانات الأليفة كالقطط والكلاب والعصافير، حيث يحلوا لهم أن يلعبوا معها ويداعبوها ويجارونها، وأحيانا نرى أطفالا في الواقع يبكون ويغضبون إذا ما حلّ مكروه بحيوانهم الصديق، ولكن كثيرا ما يقوم الطفل الصغير بحجز هذا الحيوان في البيت، أو في القفص، لذلك جاءت هذه القصة لتبيّن له خطورة ذلك، وتؤكد أنّ الحيوان كالإنسان يجب أن نمنحه الحب والحرية ونعامله معاملة حسنة مثل معاملة الإنسان.

ومن دواعي إقبال الكتّاب على هذا النوع من القصص هو أنّهم ألفوا في الحيوانات المثل الحيّ الذي لا يتورّعون عن أن يرسموه للطفل، فهم يتّخذون من الطيور والوحوش والحيوانات الأليفة ميدانا فسيحا لكتاباتهم وتشريحا صادقا لكثير من القضايا السياسيّة والاجتماعيّة، فضلا عن أنّه من الناحية التربوية تكون هذه القصص أكثر التصاقا بأذهان الأطفال.(2)

*** قصة "رنا البردانة " :**

إنّ الحجارة التي كانت مصدر النار والنور لأجدادنا في الحضارة الإنسانية، أضحت اليوم مصدر العزة والكرامة والفداء والإباء في فلسطين، فقد وضع أطفال الحجارة والحضارة في فلسطين مدلولا واحدا هو مدلول الحجارة، وراحوا يستعملونها كسلاح لمقاومة المحتل الإسرائيلي.

وهذه القصة تتناول جوانب من جهاد أطفال فلسطين ردا على ما يعانونه من حيف وترهيب من الإسرائيليين، حيث نجد صورة الطفلة الفلسطينية المجاهدة والجريئة، التي ملأت معطفها بالحجارة الصغيرة

---

[1] - لينا الكيلاني، حرية للجميع، ص3.

[2] - ينظر: محمد مرتاض، من قضايا أدب الأطفال، ص103.

واجتازت حاجز الجنود المحتلين، بحجة المرض بالحمى، وقد ارتدت معطفا في عز الصيف، فانطلت عليهم حيلة الطفلة الصغيرة، وحين وصلت إلى السور بدأت تقذف حجارتها على الجنود حجرا فحجرا، ثم تختبئ، إلى أن أمسكها أحد الجنود، لكنّها سرعان ما تخلّصت منه؛ انحنت إلى الأرض وتظاهرت بأنّها تجمع معطفها، ولمّا انحنى الجندي ليبعدها عنه رمت المعطف فوق رأسه، واختفت بين البيوت قرب السور، وعندما راح ذلك الجندي يسأل زملاءه إن رأوا بنتا صغيرة ترتدي معطفا شتويا، طويلا سميكا، راحوا يسخرون منه، متسائلين: هل هناك من يرتدي معطفا في عز الصّيف؟ [1]

وتتكرّر صورة الطفلة الفلسطينية المجاهدة في قصة " **زهرة الثلج**" للكاتبة نفسها، لكنّ الجهاد هنا ليس جهادا بالسلاح(الحجر)، بل هو جهاد بالقلم؛ برسالة كتبتها الطفلة "رباب" نيابة عن أسرتها ودون علمها، تطلب فيها تحرير قرى الجولان من احتلال الإسرائيليين، وقد أخذتها إلى البريد وخاطرت بحياتها أمام دوي القنابل ورصاص طائرات العدو، لكنّ قريبها " رافع " طلب منها أن تمزقها لأنّ رسائلهم لا تصل لا إلى دمشق، ولا إلى سواها من المدن، لكنها رفضت ذلك بشدة مبدية حبها للوطن وإيمانها بتحريره، فما كان منها إلاّ أن حفرت حفرة صغيرة وسط الثلوج، وضعت فيها الرسالة وغطّتها، وهي تبكي، آملة في أن يقطفها أحدهم بعد ذوبان الثلوج.

في هاتين القصتين ( رنا البردانة، وزهرة الثلج ) استطاعت الكاتبة لينا الكيلاني أن تنقل صورا عن أطفال فلسطين، حيث كان لهم دور إلى جانب الكبار في الدفاع عن قريتهم، حيث يمتزج عالم الطفولة مع عالم الكبار، فالصغار أيضا يحملون عبء الدفاع عن القرية، والأمل يعمر قلوبهم في المحافظة عليها وصونها بعيدة عن يد العدو الغاصب، ولعل القراء(الأطفال) ستعتصر قلوبهم الحسرة وهم يشاهدون أطفالا في مثل عمرهم يقتلون تحت أنقاض البيوت المنهارة، وموازين القوى ليست في صالحهم، وهؤلاء الأطفال مندهشون مما يجري، بل ويشاهدون لأول مرة طائرات العدو تمطرهم بوابل من قنابلها ورصاصها، ووجدوا في ذلك تجربة جديدة تبعث الخوف والرعب في نفوسهم، فانتقلت بهم من عالم الصغار إلى عالم الكبار؛ كبار في أفعالهم، ولكنّهم مازالوا صغارا في مشاعرهم، فنجد الحب لديهم ممزوجا بالكره، حب الأرض والأهل، وكره الأعداء، والخوف ممزوجا بالشجاعة، خوف الأطفال من دوي القنابل ورعب الرصاص، وشجاعتهم في مواجهة العدو بالحجارة أو بالقلم.

[1] - ينظر: لينا الكيلاني، الحلم والمستقبل.

وهنا نلاحظ كيف يتحوّل اللعب لدى الأطفال ويتطور ليصبح مهمات عسكرية شاقة، فقد تطوّعت رنا بملء إرادتها للتصدي للجنود الإسرائيليين، واستطاعت باستعمال العقل دون القوة من خداعهم، والمرور أمام الحاجز الأمني بسلام، كما أنّ حب الوطن جعل الطفلة رباب تحارب العدو بسلاح القلم، فقد كتبت رسالة للعرب - وهي تبكي- تطلب فيها تحرير قرى الجولان من قبضة العدو. وفي بكاء الطفلة وتصوير أحداث القصة وسط الثلوج تجسيد لمعاناة الطفل الفلسطيني والسوري.

وتكمن الفائدة في مثل هذه القصص في تعليم الطفل حب الوطن، والتمسك به، والجهاد في سبيل تحريره، والعمل على أن يكون لهذا الوطن سلطة معينة تجعله مستمرا في الوجود « فأي مجتمع يعمد إلى أن يبني وطنه الخاص وفق رؤيته الخاصة وثقافته الخاصة وفي رقعة جغرافية معينة، فإذا حدد هذا الوطن، في رقعته الجغرافية وفي ثقافته المحلية، التي تحمل لغته وعاداته وتقاليده وهويته، بصورة عامة، فإن طرح الروح الوطنية للطفل من خلال القصص، هو تربية تجعله يشعر بانتمائه النفسي والاجتماعي والثقافي واللغوي إلى مجتمع ما. من هذا المنطلق تبرز ضرورة إعطاء هذه المضامين وتمريرها إلى الطفل.»(1)

***قصة"قوة الحياة":**

تتراءى في هذه القصة صورة الصبي الكسول الذي يعيش مع جدّه الطاعن في السّن، حيث تروي كيف كان الصبي الصغير يخرج مع جدّه كل يوم إلى الحقل، لا ليعمل ويساعده، إنّما ليستنشق هواء الصباح النقي، وأشعة الشمس التي كان يشعر بأنّها تتغلغل في جسمه، فتمنحه قوة خارقة تبعث الحياة لكل ما حولها من الأشياء، وكان الجد - وهو رجل حكيم متواضع- دائما ينصح حفيده بالعمل لأهميته الفعالة في الحياة، غير أن الصبي الصغير لم يكن يعي أن جده عندما كان يأخذه معه إلى الحقل ويطلب منه أن يزرع الزرع، ويعتني به، ويحصد ثماره بعد مدة يريده أن يعتمد على قوة الحياة الحقيقية وهي العمل، وذات يوم تأخر الصبي عند قمة التلة الخضراء على غير عادته حتى أوشكت الشمس على المغيب، وقبل عودته إلى البيت أخذ يجمع أغصان إحدى الأشجار الكبيرة التي كسرتها العاصفة وراح يغرسها في الأرض من جديد، والأمل يملأ صدره بأنها ستصبح أشجارا قوية كأمها الشجرة الكبيرة، وحين وصل إلى بيته وجد جده قد فارق الحياة، فحزن حزنا شديدا، وفكّر طويلا، ليدرك في الأخير أنّه يمكن

[1] - مسعودة لعريط غيوم، قصص الأطفال في الجزائر، دراسة موضوعاتية، دار هومه، دط، دب، دت، ص62.

للحياة أن تستمر فقط من خلال الجدّ والعمل، وأنّ عليه الاعتماد على نفسه وعلى دأبه، لا على ما منحته إيّاه الطبيعة. [1]

كما تتكرّر صورة " الطفل الكسول " في قصة " **عمارة** "، فعمارة طفل كسول مهمل، يعيش مع أمّه الفقيرة التي تكسب قوتها وقوت ولدها بعد تعب مرير، عن طريق خياطة الملابس للجيران مقابل أجر زهيد، رغم كل ذلك فإنّ عمارة لم يكن يعمل شيئا طول النهار، وهو شخص مهمل لدروسه، ويتأخر دائما في الذهاب إلى مدرسته، حتى طرد منها لكسله وإهماله المستمر، فاضطرّ للعمل في سنّ مبكّرة ليكسب لقمة عيشه، وعاش حياة صعبة، ملؤها الندم والبؤس والشقاء. [2]

ومعنى ذلك أنّ الكسل والخمول هو طريق الفشل والشقاء، وأنّ الجد والعمل هو سبيل النجاح والسعادة في الحياة، لئلاّ يطمئن الصغار أو يهفوا إلى ما يفعله الكسول، فهذا الولد الضائع الممتنع عن الدراسة أقرّ بذنبه، واعترف بخطئه متأخرا بعد فوات الأوان، وحيث لا ينفع الندم، فراح يعضّ أنامله ندما، حيث لم ينفعه هذا النّدم في شيء.

### * قصة "حضارة أجدادي" لشوقي أبو خليل":

تروي دور العرب الأسلاف في تأسيس الحضارة العالمية، بما أنجزوه من إنجازات علمية وثقافية، فبطل هذه القصة طّفل مثقف اسمه " عامر "، يحب المطالعة كثيرا، وذات يوم بعد أن انتهى من قراءة بحث عن الزمن، راح يتساءل: من قسّم الساعة إلى ستين دقيقة ؟ ولماذا اختار الرقم ستين بالتّحديد ؟ ولم تقسّم إلى خمسين دقيقة أو سبعين دقيقة ؟

وحين انعدم الجواب لدى أخيه ياسر فقد رأى أن يدع السؤال إلى الجلسة العلمية التي اعتادت الأسرة أن تقيمها في البيت، إذ « في مساء اليوم التالي، جلست الأسرة جلسة علمية معرفيّة، بعد أن أعدّت الأم لكل فرد منها فنجانا من الشاي، وابتدأ الأب قائلا: ما أخبار مفكّرتكم ؟ أليست طريقة مثلى لحفظ المعلومات والعودة إليها عند الحاجة ؟ الأولاد: نعم، نعم يا بابا.» [3] ثم يطرح الأولاد الأسئلة على أبيهم وهو يجيب، وبعد ذلك يدوّنون المعلومات الجديدة في مفكراتهم كل على حده.

[1] - ينظر: لينا الكيلاني، الحلم والمستقبل.

[2] - ينظر: كمال الدين حسين، مدخل في قصص وحكايات الأطفال، ص172،171.

[3] - شوقي أبو خليل، حضارة أجدادي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1993م، ص3،4.

وهنا يبدو الطفل متعطشا للمعرفة من خلال استماعه الشديد لشروح أبيه عن الساعة ومخترعها وفوائدها، ويغتنم الأب هذه الفرصة ليسرد على أفراد أسرته شيئا من تاريخ الأمة العربية، وما قدّمه العرب القدماء من أعمال جبّارة، وهدايا ثمينة إلى الحضارة الإنسانية جمعاء، وستبقى «الكتابة أثمن ما قدّم الشرق إلى الحضارة الإنسانية، بدأ بها السّومريّون الّذين هم أوّل من سكن بلاد الرّافدين، وأخذها عنهم العرب القدماء، فانبثق الخطّ المسماريّ. والأكاديون أوّل من كتبوا لغتهم العربيّة القديمة برموز مسمارية.»[1] وغيرها من الإنجازات والاختراعات البشرية الأخرى التي عرفتها الحضارة العربية كاختراع الحروف الأبجدية، وبعد القصة هنا أنه « يجب الاعتزاز بثقافتنا وحضارتنا التاريخية، وأن نعتز بها ونفخر بأجدادنا، الذين بنوا الحضارة القديمة ونشروا ثقافة مجتمعنا ومبادئ حضارتنا القويمة في العالم كله، دون أن ينسينا ذلك أن نبني حضارة حديثة بالعلم والإيمان والخلق القويم والأسلوب الحضاري للحياة الحديثة. فإنّ المرء أو الفتي لا يقول كان أبي وإنما الإنسان هو الذي يقول هأنذا.» [2]

فالقصة لها قيمتها التاريخية والتربوية، إنها تبرز طريقة فعّالة من طرق تربيّة الأبناء، ويعني ذلك أنّ على الأسرة - بما فيها الأب والأم معا - أن تهتم بإثراء معارفهم، والإجابة على الأسئلة التي تتبادر إلى أذهانهم، والأبناء بدورهم يقومون بتدوين هذه المعلومات القيّمة في مفكّراتهم الخاصة، وهي الطريقة التي اتبعها هذا الأب المثالي الذي علّم أبناءه منذ سنواتهم الأولى أن يحتفظوا بمفكّرة نظيفة وقيمة، يسجّلون فيها حكمة استحسنوها، أو فكرة جديدة صحّحوها، أو معلومة لم يكونوا يعرفوها، لأنّ العلم صيد والكتابة قيد كما يقال، فمثلما يقوم الصيّاد بربط ما يصطاده كي لا يفلت منه، فتضيع جهوده، كذلك على متلقّي العلم تسجيله للعودة إليه عند الحاجة، وخوفا من نسيانه أيضا. فيا حبذا لو أنّ كل أسرة تدرج جلسة للحوار والعلم والمعرفة كل أمسية أو يوما في الأسبوع مع الأبناء، فنحقق بذلك توازنا بين الجانب العلمي والمعرفي والتربوي، والجانب الصّحي والترفيهي لهم، لأنّه إذا أحسن تثقيفهم في صغرهم فإنّهم يشبّون وقد امتلكوا معايير الحكم على الأشياء، تحقق لهم ولغيرهم الخير والنجاح.

كما تغرس هذه القصة في الطفل من جهة أخرى حب المطالعة وطلب العلم، فعلى الأسرة أن تعوّد الطفل في أثناء مراحله العمرية المتقدمة ومن خلال التنشئة على حب العلم، وإضفاء نهم المطالعة، والتطلع نحو الجديد، خصوصا في مجال القصة لما لها من أثر فتح شهية المطالعة لديه، لأنّ المعرفة

---

[1] - شوقي أبو خليل، حضارة أجدادي، ص6.

[2] - محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل، ص127.

التي يكتسبها من قراءة القصص تعينه على التعرف على الحياة والناس والمجتمع وأساليب التعامل وما إلى ذلك، حتى يتجنب طابع الملل الذي يشكو منه الكثير من الأطفال خلال عملية المطالعة، لذلك كان ضروريا على كل من يهمهم الخوض في أدب الطفل أن يراعوا جانب التشويق في كل المجالات في المسرح أو الأنشودة أو القصة...الخ.

## ج- نماذج من صورة الطّفل في قصص الأطفال في الجزائر:

### *قصة "الطفل الذكي"لرابح خدوسي:

يحدّثنا الكاتب **رابح خدوسي** في هذه القصة عن وجوب تعليم الأطفال تعاليم الدين الإسلامي منذ طفولتهم، كالفرائض والسنن، وغرس القيم والفضائل النبيلة في نفوسهم حتى يشبوا عليها. كما يشير إلى مشكلة العناد التي كثيرا ما يتصف بها الأطفال في طفولتهم، كتقليد الكبار في سلوكهم وأفعالهم، و« لعل مشكلة عناد الأطفال من أكثر المشكلات حضورا في حياة كثير من الأسر العربية؛ حيث نجد أن كلمة (عنيد) وعبارة ( رأسه يابس) من أكثر ما تتداوله الأمهات حين يتحدثن عن أولادهن في مسامراتهن المتكررة.» [(1)]

بطل القصة طفل صغير اسمه " رؤوف "، في الثامنة من عمره، يحب اللعب، وهو كثير الحركة، وفي يوم من أيام رمضان أراد رؤوف تقليد الكبار، فقرّر الصوم، وأمسك عن الأكل والشرب طوال اليوم، وعندما قدّمت له أمّه فطور الصباح، امتنع عنه وأخبرها أنّه صائم، ورغم محاولاتها المستمرة في إقناعه بعدم الصوم لأنّه لا يزال صغيرا، وأنّ الصوم للكبار دون الصغار، فإنّه ظلّ مصمما على رأيه، ثم يذهب إلى المدرسة، وفي ساحتها كان يفتخر أمام زملائه بصومه وشجاعته، وبقدرته على تقليد الكبار، وبعد عودته من المدرسة يشتدّ جوعه وعطشه أكثر من ذي قبل، يخرج إلى شرفة البيت ويخاطب الشمس بأن تسرع في المغيب كي يحين وقت الأكل، بعدها يذهب إلى فراشه كي يحلم بالأكل، ثم تعود أمه مرة أخرى محاولة إقناعه التخلي عن صومه، مبيّنة له الفرق بين الصغار والكبار، قائلة له: « نحن الكبار كالشجرة الكبيرة تحتاج إلى الماء مرة في السنة، وأنت مثل الزهرة الصغيرة ينبغي سقيها كل يوم كي تتفتح جيّدا.»[(2)]
وعندما باءت كل محاولاتها بالفشل، لجأت إلى حيلة جديدة؛ أغلقت النوافذ حتى صار الضوء في الغرفة

---

[1] - عبد الكريم بكّار، مشكلات الأطفال، ص91.

[2] - رابح خدوسي، الطفل الذكي، دار الحضارة، دط، الجزائر، دت، ص5.

خافتا كأنّه وقت الغروب، ثم جاءت بالمذياع وأسمعته آذان المؤذن لصلاة الظهر، اعتقد رؤوف أنّ وقت الغروب قد حان فأخذ يأكل ويشرب في نهم.

من بين القيم التي تتضمنها هذه القصة نجد:

- إدراك الطفل الفرق الموجود بين واجب الصوم عند الصغير والكبير، وأنّ الصغار ليسوا ملزمين بالصوم كالكبار، لذلك فهم لا يقومون بما يقوم به هؤلاء، لما ينجر عن ذلك من عواقب على صحتهم.

- تحبيب الطفل الصغير في الصوم لفترة قصيرة، وهي إحدى فرائض الدين الإسلامي التي يجب علينا غرسها في الأطفال منذ الصغر، حتى نتمكن من غرس معالم العقيدة السمحة في نفسية الطفل، فنكون بذلك قد قطعنا الشوط الأول في طبع سلوكه بالسلوك الإسلامي الرشيد، وتعليمه شرائع الدين الإسلامي.

ومثل هذه القيمة تطرحها سلسلة قصص " **حنان وإلياس** " الصادرة عن دار مركيري*، وهي مجموعة قصص تتّخذ من الحوار وسيلة لمعالجة موضوعات دينية وتعليمها للأطفال، "، كلّها قصص استوحاها أصحابها من الدّين الإسلامي بصورة عامة، رصدوا لنا من خلالها ردّ فعل الأطفال إزاء هذه القواعد والشعائر الدّينية، في أسلوب حواري، كون « الحوار جزء مهّم في القصص المكتوبة للأطفال، بل ويعدّ من أهم الوسائل التي يعتمد عليها كاتب القصة في رسم الشخصيات، فبواسطته يكشف عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة تجاه الحوادث والشخصيات.» (1)

فتعريف الطفل بهذه المناسبات الدينية، وحثّه على احترام قداستها، وكيفية الاحتفال بها أمر ضروري، كونه يعيش في مجتمع إسلامي، وأنّ ما يتعرض له طفلنا في واقع الحياة وما يراه ويعيشه من تناقضات، نحن السبب الأول فيها مع اختلال ميزان القدوة فينا، فما يقرأه الطفل أو يشاهده أو ما يسمعه في مختلف أوساط المحيط به، من الأسرة إلى المدرسة مرورا بالشارع قد يناقض تعاليم الدين الإسلامي، لذلك يجب أن نبث القدوة الحسنة لهذا الطفل من خلال القصص الدينية، على اعتبار أن الطفل يقبل كل ما يقدم له، لأن آلية النقد عنده لا زالت لا تعمل بكل قدراتها، مما يجعل الأمر جد معقد خاصة بالنسبة للذين يكتبون أدب الطفل لأنه سيضاف إلى رسالتهم ومسؤوليتهم كيف يشكلون قالبا سلوكيا إسلاميا لهذا الطفل.(2) يقول الباحث المصري نجيب الكيلاني متحدثا عن دور أدب الأطفال في طبع السلوك : «(...)

* نذكر منها سلسلة " حنان وإلياس عشيّة أول رمضان "، و" حنان وإلياس يترقبان ليلة القدر"، و" حنان وإلياس يحتفلان بالمولد النبوي "، و"حنان وإلياس وفرحة عيد الفطر"، و" حنان وإلياس وفرحة عيد الأضحى

1 - محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، ط5، بيروت، 1966م، ص117.

2 - ينظر: نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص112.

لكن يبقى أدب الأطفال، وخاصة في القصة أن يقدم النموذج الإسلامي الواقعي للشخصية أو البطل، حتى ولو كان هذا البطل جنيا أو إنسيا أو حيوانا أو جمادا أو ملاكا، أن يقوم ذلك النموذج وهو يتعامل ويعمل ويأكل ويتعلم ويجاهد ويتعبد ويتكلم ويتفق أو يختلف، وفق المعايير الإسلامية، وأن يصور الصراع بين الخير والشر بالأسلوب الذي يؤكد ويدعم سلامة السلوك الإسلامي، وتفوقه على ما عداه من أنواع السلوك المنحرفة أو المستوردة، وأن يكون مقنعا ومؤثرا ومشوقا في عرضه وأدائه، لأن التناسق الوجداني والعقلي والسلوكي في الشخصية، يبرزها متكاملة قوية مقنعة، ويجب أن نوحي للطفل بأن التمسك بتلك السلوكيات المتميزة قد يسبب بعض المعاناة. » [1]

من هنا ينبغي أن يكون تجسيد السلوك الإسلامي في أدب الطفل أحد أكبر الأولويات للذين يهتمون بأدبه، عن طريق الكتابة أو التمثيل.

### *قصة" البطل الصغير " لـ " عبد العزيز بوشفيرات:

يدور موضوع قصة " **البطل الصغير** " **لـ "عبد العزيز بوشفيرات** "حول الطفل المجاهد "علي" جاءت به امرأة تدعى" فاطمة بنت الطاهر" قبل ثورة التحرير من إحدى القرى الجبلية النائية، لمّا كانت في زيارة أختها المتزوجة برجل متقاعد، وكان علي فقيرا، فوالداه لا يملكان شيئا، مما دفع أمه إلى تسليمه لفاطمة، التي حرصت على تربيته أحسن تربية، فكان يساعدها في رعي الأبقار وباقي الأعمال.

وتقوم حرب التحرير الجزائرية، ويمتد لهيبها إلى كامل أقطار البلاد، فأخذ علي يفكّر في هذه الحرب، ويتمنى بل كان يتصوّر نفسه جنديا في الثورة، فهو يعرف « أنّ العدّو هو المتسبب في الفقر والجوع، لقد تعلّم كثيرا من الكلام الذي كان منتشرا في أوساط الشعب، وهو أنّ الحرية والاستقلال لا يأتيان إلاّ بالتضحية والكفاح الطويل.» [2]

وكان يدرك كذلك أنّ العدو شبيه بالغول الذي يتخيله أثناء سماعه للأحاجي التي ترويها له مربيته فاطمة، كانت تصوّر له الغول بأنّه يأكل العباد بلا شفقة أو رحمة، لذلك وجب مطاردته وقتله أينما وجد، لهذا قرّر وبشجاعة أن يكون جنديا صغيرا، وقد أخفى هذا السر عن فاطمة، وتمرّ الأيام والليالي، ويحقّق علي أمنيته ويلتحق بصفوف المجاهدين كأصغر جندي، وينجز بطولات شجاعة حفظها له التاريخ.

---

[1] - نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص113.

[2] - عبد العزيز بوشفيرات، البطل الصغير، دار هومة للطباعة والنشر، دط، الجزائر، 1996م، ص4.

وتتكرّر صورة الطّفل المجاهد/الثوري في سلسلة " **مغامرات هشام "لمولود مسخر**"، وقصة "**صغار لكنّهم مجاهدون" لعبد الوهاب حقي**"، وقد صدر عن سلسلة مغامرات هشام قصص كثيرة منها: مغامرات هشام وصعلكة الفتيان، عمر بودينار، الحجاج بو الدجاج، موهوب بو الأرنب، وبيوض بو البيض، تدور أحداث هذه القصص حول مغامرات هؤلاء الفتيان، وقد عاشوا كلهم اليتم والفقر والتشرّد، وقد امتلأت طفولتهم بالأحزان ووحشة الحرمان؛ حرمهم المستعمر كلّ شيء، فكانت لهم في طفولتهم مغامرات مثيرة، وحين قامت ثورة التحرير التحق هؤلاء بصفوفها، فكانوا جنودا أقوياء، وأبطالا بواسل.(1)

وتصوّر قصة " **صغار لكنّهم مجاهدون** " بطولة الأطفال في الجزائر، ومشاركتهم الفعّالة في الثورة التحريريّة، داخل المدن وفي الأرياف، وفي كلّ أرجاء البلاد، إنّهم حقا أطفال مجاهدون، يحملون في صدورهم هموم ومآسي الوطن الكبير، ويضحّون بما أوتوا من قوّة في سبيل تحريره، واستقلالية شعبه. (2)

ولم يقتصر دور الجهاد والبطولة على الطفل/ الذكر فقط، بل نجد المرأة/ الفتاة تتقلّد هذا الدور، وتقوم ببطولات في رحى الحرب، ففي قصة " **فاطمة نسومر**" نلمس الدور البطولي والنضالي الذي قامت به فاطمة، وهي صغيرة، تقول القصة: «كانت طفلة صغيرة اسمها فاطمة، تسكن الجبال العالية، وتلعب بالثّلج وكانت تحضّر عطرها من شذى الأزهار، وتشرب الماء الصافي من المرتفعات العالية. ولدت فاطمة نسومر سنة 1830 في قرية ورجة، بلديّة أبي يوسف دائرة الحمّام ولاية تيزي وزّو. كانت جميلة كألوان الرّبيع، حرّة كفراش الحدائق. وجدت أحضان والدها الشّيخ محمّد بن عيسى شيخ الزّاوية، ووالدتها لالّة خديجة التي تسمّى باسمها اليوم قمّة جرجرة، فتربّت في ظلال العلم والدّين وامتلأ قلبها بالإيمان وحبّ الوطن. كانت فاطمة تقرأ القرآن وتلبّي الآذان وتحبّ الخير والإحسان وتكره الظّلم والطّغيان. احتلّت فرنسا وطنها العزيز، وكم كانت الظّروف صعبة، فالشّعب فقير والأمراض منتشرة والجهل كثير، والأطفال محرومون من الدّراسة. ولكنّ فاطمة كانت تكبر ويكبر معها الإيمان بتخليص شعبها من حياته القاسيّة. وهاهي ذي ترفع راية المقاومة وتلتحق بالجيوش التي كان يقودها بوبغلة في نواحي الصّومام. بدأت

[1] - ينظر: مولود مسخر، مغامرات هشام، الملكية للإعلام والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1992م.

[2] - ينظر: عبد الوهاب حقي، صغار لكنّهم مجاهدون، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1997م.

المعارك وكانت فاطمة تتقدّم الصّفوف بشجاعة. وأصبحت قائدة للمقاومة الشّعبية في جرجرة. قاومت بجيشها جيوش المحتلّ وانتصرت عليها عدّة مرّات.» (1)

إنّ هذه القصة وما شابهها من القصص التاريخية ضرورية للطفل، فهي تهدف إلى تعريفهم بتاريخ وطنهم، وبطولات أبناء هذا الوطن وتضحياتهم الجسيمة التي قدّموها في سبيل استرجاعه، وتحريره من الاستعمار الفرنسي الغاشم، وهي بذلك « تساهم في تكوين شخصيته، فهي من جهة تفتحه على أزمنة غابرة، يجد فيها الطفل ما يشبع خياله الواسع، ومن جهة ثانية فإنها تربطه بتاريخ وأمجاد الوطن وصراعاته، ضد المعتدين، الأمر الذي يشعره بالانتماء إلى أمة لها جذورها الممتدة في التاريخ، ولها رجالها الذين صنعوا هذا التاريخ، وهو ما يبث فيه قيم الوطنية والكرامة.» (2)

وهذه الشخصيات التي صنعت التاريخ تصبح القدوة أو المثل الأعلى للأطفال، بعد أن كان الآباء والأمهات مثالهم الأعلى، إذ أنّه « بازدياد العمر تتسع خبرات الطفل، وبذلك يصبح الأشخاص الذين يختارهم كمثل أعلى من بين الأشخاص الذين قرأ عنهم في التاريخ أو الأدب، أو من بين الشخصيات العامة الشهيرة.»(3)

إنّ القدوة أو المثل الأعلى للأطفال من العوامل التي تثبت القيم والأخلاقيات وروح القومية والوطنية في نفوسهم، وتوضّح لهم بطريقة فعلية روح الخير، وتنتقل هذه القيم مجسّمة في مجراها الفعلي، فتدعوهم إلى التقاطها وممارستها. كما يمكن أن تُدخل في قلوبهم معاني العمل الجماعي، والتعاون بين الأفراد والجماعات لتحرير البلاد، وهو ما استدعته الثورة التحريرية.

هذا المبدأ هو الذي جعل هؤلاء القصّاصين الجزائريين يتحدّثون بكل وعي وإخلاص عن الثورة، ويحاولون تصوير بطولات أبنائها للطفل « ليزرعوا في النشء منذ نعومة أظافرهم جوانب من تاريخ بلادهم المشرق، وليذكروهم بأنّ الشّهد لا يجنى من غير لسع.» (4)

---

[1] - شريفة غطاس، كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، وزارة التربية الوطنية، 2011/2010، ص50،51.

[2] - مسعودة لعريط غيوم، قصص الأطفال في الجزائر، ص55.

[3] - هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، ص154.

[4] - محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، ص52.

ومن خلال هذه القصص ذات الأبعاد الثورية ( **البطل الصغير، مغامرات هشام، صغار لكنّهم مجاهدون، فاطمة نسومر)** تتفجر العاطفة الوطنية لدى الأطفال، فتعلّمهم حب الوطن، ووجوب الدفاع عنه إذا كان في خطر، « فالمجتمع والوطن الأكبر هما البيئة والمؤهل الذي ينتمي إليه كل فرد من أبناء المجتمع، ويجب أن ينشأ الطفل منذ مراحل عمره ومنذ نشأته الأولى على الولاء والانتماء. وحب الوطن والدفاع عنه والتضحية بالنفس من أجله، ويجب أن يضع هذا الحب مع مراحل عمره، وأن يتشبع بالإحساس والرغبة المستمرة في المشاركة بالعمل والكفاح والاجتهاد من أجل تقدّم المجتمع وازدهاره ورقيه، وأن يلبي نداء الواجب عندما يدعي للدفاع عنه.» (1)

ويرى المربون أنّ هذا النّوع من القصص أو « قصص التاريخ من القصص الهامة في تربية النشء، ولذلك يلتمس المؤلفون لهذه القصص الأساليب المناسبة التي يألفها الأطفال للإقبال عليها.»(2) كاختيار الشخصيات التي تؤدي دور البطولة من فئة الأطفال أو أحد أفراد المجتمع، حتّى تكون أكثر تأثيرا.

## *قصة" الكنز المفقود" لخضر بدور":

يطرح الكاتب " **خضر بدور**" في قصته " **الكنز المفقود** " موضوعيا اجتماعيا وثيق الصلة بحياة الطفل هو شقاوة الأطفال، وبعضا من طباعهم كالميل إلى اللّعب، واكتشاف قواهم، وهنا تبرز صورة الطفل الشقي.

فبطل القصة صبي صغير يسمّى " **مروان** "، هادئ الطباع، لا يحبّ شقاوة الأطفال، لكنّه في إحدى المرّات لم يشذّ عن طبيعتهم، ففي طريقه إلى بيت جدّته مرّ بشجرة عالية، صعد إليها وخرّب عشا للعصافير، فتمزّق سرواله، فحزن وخاف عقاب أبيه، ولمّا رجع إلى جدّته، خلع سرواله وأعطاه إياها، كي تخيطه، وعند المساء طلب منها أن تروي له حكاية كالعادة، فقصّت عليه الجدة قصة"الكنز المفقود"، فراح مروان يغطّ في نوم عميق، رأى فيه أنّه يلعب مع أصحابه لعبتهم المفضّلة بالكريات، وبعد أن خسر كل كرياته، ذهب إلى المسجد القريب إليهم لينام فيه، خوفا من عقاب أبيه.

وبعد خروج المصلّين أخرج مروان بساطا، وضعه على الأرض وتمدد عليه، وما إن تأهّب للنوم حتى سمع شيئا يسقط بجواره، اقترب من ذلك الشيء خائفا فوجده كيس نقود، فظنّ أنّه الكنز المفقود نفسه

---

[1] - محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل، ص124.

[2] - هدى قناوي، أدب الأطفال، مركز التنمية البشرية والمعلومات، ط1، دب، 1990م، ص172.

الذي ورد في حكاية جدّته، ففكّر في أخذ الكيس إلى أبيه كي يصفح عنه، لكن فرحة مروان لم تدم طويلا، إذ سمع وقع أقدام وأصوات تقول: إنّه هنا، فخاف أكثر وصعد إلى المئذنة، ولمّا أراد أن يلقي بنفسه من فوقها، جاء صوت جدّته توقظه من نومه. (1)

هذا النّوع من القصص يتذوقه الأطفال، لأنّه يحدّثهم عن شقاوتهم وميلهم إلى اللعب والمغامرة، وإلى اكتشاف الأشياء عن طريق التجريب، فمروان حين يخرّب عشّ العصافير يريد أن يعرف، وأن يكتشف ما بداخل هذا العش « ويبدو أنّ ما كنا نراه قديما قلة تهذيب وخرق قواعد هو تجربة قوى الطفل ومهاراته، استعماله جسمه، وممارسة طاقته... وأنّ الطفل الحقيقي نشاط وحركة، وأنّ الطفل الملاك هو تصوّرنا وخيالنا.»(2) فالقصص التي تعالج ما يهمّ الطفل في حياته، وما يتعلّق ببيئته، والتي ترسمه رسما واقعيا لا مثاليا هي القصص التي تستهوي الأطفال.

غير أنّ الطّفل ليس شقيّا دائما، ففي قصة " **سمير والطائر الأخضر** " لـ " **الأخضر رزاق** " يبرز الطفل الرفيق بالحيوانات، وهي صورة مخالفة لصورة الطفل الشقي "مروان" الذي خرّب عش الطّيور.

في القصة شخصيتان رئيستان هما: سمير، والطائر الأخضر، أمّا سمير فهو الطفل الصغير الذي طلب من والده الصيّاد أن يصطاد له الطائر الأخضر، فأخبره والده بصعوبة اصطياد هذا النوع من الطيور، وهو طائر جميل، سمي بهذا الاسم لاخضرار ريشه.

وفي يوم من أيام الربيع، ذهب سمير إلى الغابة ليتجوّل ويلعب، فرأى الطائر الأخضر واقعا في الفخ، ففرح فرحا شديدا، لكنّ الطائر بكى وطلب من سمير أن يخلّصه من أسره، ويصبح صديقا له، فتردّد سمير خشية أن يخدعه الطائر، فطلب منه أن يعاهده على ذلك، حينئذ عرض سمير على الطائر فكرة أخذه إلى المنزل، ووضعه في قفص جميل، فيه ما لذّ وطاب من الأكل والشراب، فأبى الطائر وأخبره أنّه لا يريد أن يعيش مسجونا داخل قفص مهما كانت الظروف، إنّما يفضّل أن يكون حرّا طليقا، يلعب مع باقي الطيور، فأطلق سمير سراحه، وأصبحا صديقان منذ تلك اللّحظة.

وذات يوم حين جاء سمير كعادته إلى الغابة لم يجد صديقه الطائر، بحث عنه حتّى أعياه البحث، لكن دون جدوى، فنام تحت ظلّ شجرة يانعة، وبينما هو نائم خرجت حيّة تبحث عن فريستها،

---

1 - ينظر: خضر بدور، الكنز المفقود، المؤسسة الوطنية للطباعة، دط، الجزائر، 1991م.

2 - مجلة الموقف الأدبي، أدب الأطفال واقع وآفاق، ناديا خوست، العدد95، دمشق، سوريا، 1979م، ص25،26.

فاتّجهت نحوه تزحف، إلاّ أنّ الطائر الأخضر انقضّ عليها بمنقاره وأبعدها، فاستيقظ سمير وساعد الطائر في قتل الحيّة، ولمّا تمّ لهما ذلك، رمى سمير لصديقه الطائر حفنة من القمح جزاء إحسانه، وإنقاذه حياته.[1]

إنّ الموضوع الرئيس الذي تعالجه هذه القصة هو رفق الطّفل بالحيوان، والعطف عليه، وضرورة العناية به، وحب الحيوانات واللعب معهم ظاهرة تتوافق مع ميول الطفل الطبيعية والسيكولوجية، وتغرس فيه الشفقة والعناية بالحيوان صديق الإنسان، ويمكن « أن نجعل من تدريب الطفل على الرفق بالحيوانات والعناية بها تدريبا على رحمة الإنسان، والتسامح معه ومساعدته.»[2]

ونستشف كذلك أهمية وقيمة الحرية، وإدراك معاني الحرية، وعدم القبول بالقيد والعزل، فالطائر رفض عيشة السجن داخل القفص، وفضّل العيش حرّا طليقا رغم كثرة الطعام والخيرات. وفي مقابل ذلك تبرز قيمة سلبية، تتمثّل في أنّ بكاء الطائر حلّ مشاكله وخلّصه من أسره، فلولا البكاء لما تحرّر وتحصل على مبتغاه، وفي هذا ترسيخ لعادة ممارسة البكاء عند الطفل حين يريد الحصول على شيء ما، فلو أنّ الكاتب لجأ إلى وسيلة أخرى كالحوار والإقناع مثلا بين سمير والطائر الأخضر لكان أفضل.

وللقاص " **محمد شنوفي** " قصة بعنوان " **حكاية عصفور** "، تروي حكاية طفل محب للعصافير، يقوم بحمايتها من القطّ الذي يترصدها لينقضّ عليها « كان هناك طفل يمشي في الحقل وبيده كراس محفوظاته، منشغلا بالطبيعة من حوله وبينما كان يتأمل فراشة حطّت على زهرة رمّان، انتبه إلى ذعر العصافير، على الشجرة، وما يفعله القطّ عند أسفلها، فصاح عليه:

- إنّك ترتكب حماقة يا " مينوش " **!** ابتعد فورا وإلاّ أخبرت أمّي فتحرمك من الحليب. أمّا أنا، فلن أعطيك، بعد اليوم، سمكا عندما أصطاد في النّهر. وابتعد القط وهو يموء بعد أن كان مصمّما على صعود الشجرة وأكل عصفور من عصافيرها.»[3] هذا الطفل الطيّب، المحّب للعصافير، يدرك قيمة الوطن والهوية، حيث يخاطب العصفور عندما قرّر أن يرحل تاركا موطنه: « إنّ الوطن أثمن من الزّمرّد وأغلى من الماس. وهو لا يعرض في ساحة السوق، ولا يمكن شراؤه من التّجار ولو بالذهب.»[4]

---

1 - ينظر: الأخضر رزاق، سمير والطائر الأخضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986م.
2 - عبد الكريم بكّار، مشكلات الأطفال، ص88.
3 - محمد شنوفي، حكاية عصفور، سلسلة مروج الذهب للأطفال، دار ابن عربي، دط، دب، دت، ص6،7.
4 - المصدر نفسه، ص7.

وعنوان قصة " **سمير والخطاف** " للقاص نفسه تبرز وجود علاقة بين الطفل سمير وما يعرف بالطائر"الخطاف"، ففي يوم مثلج بارد « دفع سمير الباب فاندفعت إلى الداخل خطّاف. فانتفض القطّ من الرّماد الدافئ، وتهيّأ. كانت تبحث عن منفذ فتصطدم بالجدران، في كلّ مرّة، ثم استكانت في كفي سمير المشرّعتين نحوها.»[1]

ففي هاتين القصّتين تتكرّر صورة الطفل الرفيق والمحب للعصافير، الذي يرعاها ولا يؤذيها.

***قصة" عذراء الغابة"لفاطمة لمثلث":**

تعالج هذه القصة الحرمان العاطفي الذي يعاني منه الأطفال بسبب وفاة الوالدين، وتبيّن مدى تآزر العائلات فيما بينها في رعاية الأبناء، حيث تعيش بطلة القصة " **سميّة** " وحيدة، يتيمة، بعد وفاة والديها وباقي عائلتها في الزلزال، فلجأت على إثر ذلك إلى بيت عمّها صالح الذي اعتبرها ابنة له، عوضا لولده الذي كان قد فقده، وطلبت منه أن يعلّمها القراءة والكتابة ويساعدها في حفظ القرآن قائلة له: « أطلب منك أن تعلّمني القراءة والكتابة وحفظ القرآن، لأنّك رجل عظيم !» [2] فرعاها العم صالح رعاية الوالد لولده، وكان يصطحبها معه إلى الغابة لتلعب مع الحيوانات وتساعده في العمل، لكن شاءت الأقدار مرة ثانية أن يأخذها الموت منه مبكّرا، لأنّ « سمية كانت مريضة منذ صغرها، ولم يكتشف أحد مرضها، ومن شدّة تعبها مرضت ومكثت في الفراش عدّة أيام، لقد عالجها عمّي صالح، ولكن بدون جدوى لأنّ لا ردّ لقضاء الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. ماتت سمية وحزن عمّي صالح حزنا عميقا، وبكى بكاء مرّا، ولكن ما إن جلس فقال إنا لله وإنا إليه راجعون.» [3]

وفيما يخصّ القيم التي تتضمّنها هذه القصة توفير الجو العائلي المناسب لتنشئة الطفل اليتيم تنشئة سليمة مستقرة، ومن ناحية أخرى ما ينجر عن اليتم من آلام وتشرد وضياع للأطفال اليتامى الذين ما زالوا في حاجة إلى الرعاية والاهتمام.

وإذا تمعنّا هذه القصة وبعض القصص الموجهّة للأطفال فإنّنا نلحظ الطفلة / الأنثى المجسّدة فيها طفلة مضطهدة، ويتيمة، أو ميتة، وهذا يرمز بطريقة غير مباشرة إلى واقع المرأة/ الأنثى في المجتمع،

[1] - محمد شنوفي، سمير والخطاف، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دب، دت، ص4،5.
[2] - فاطمة لمثلث، عذراء الغابة، قصص جزائرية، دار قرطبة للنشر والتوزيع، دط، دب، دت، ص8.
[3] - المصدر نفسه، ص16.

وما يلحقها من عنف واضطهاد واغتصاب « مبعثه نظرة اجتماعية عنصرية، تنظر إلى الفتاة (المرأة) على أنها عضو قاصر، وتعطي الأحقية والبطولية للرجل وحده.» [1]

ذلك ما تجسده قصة " **سر خولة** " حيث تعاني خولة من أزمة الجوع، وظلم مجتمع غير عادل، جوع ألقاها إلى الشارع الذي لا يرحم، وقد كانت تلميذة متفوّقة في المدرسة، لكنّها اضطرّت لترك المدرسة لتتفرغ لبيع رغيف الخبز لسدّ جوعها وجوع عائلتها، بعدما أصيب والدها بمرض عضال، فتحملّت المسؤولية في سن مبكرة قبل الأوان.

وفي ذات يوم، وبينما كان زميلها هاشم مارا في الشارع مع أبيه في السيارة وإذا به يشاهد « فتاة على حافة الطّريق حاملة بيديها الصّغيرتين المرتجفتين أرغفة تلوّح بها كلّما مرّت سيارة مسرعة. اصفرّ وجه هاشم من الدّهشة، لأنّ الفتاة التي رآها كانت زميلته خولة.» [2] فقرّر أن يمنح خولة مصروفه اليومي الذي يقدمه له أبوه، وقال لها:« سأعطيك كل يوم ثمن الأرغفة وعليك أن تعودي إلى المدرسة.»[3] وقد لاحظت أم هاشم أنّ ابنها صار يأخذ مصروفا كبيرا، سألته عن سبب ذلك، فأخبرها بسر خولة، وحين علم أبوه بالأمر أخذ ابنه وذهبا معا إلى منزل خولة، حيث « كان المكان فقيرا وحزينا. استدعى الأب طبيبا لفحص الوالد المريض ثم نقله إلى المستشفى. وعند عودتهما إلى المنزل، شكر الوالد هاشما لتصرّفه النبيل، وسألته أمه: " ماذا كانت تفعل خولة بالأرغفة التي لم تبعها؟" فأجابها هاشم: " كنّا نتصدّق بها على الفقراء والمساكين".»[4] ففرح هاشم فرحا كبيرا وهو يرى زميلته تعود إلى دراستها وأصدقائها، ولكنّه كان يحزن كلّما شاهد أطفالا في شوارع المدينة الشاسعة يبيعون الأرغفة.

تتناول هذه القصة ظاهرة عمالة الأطفال وآثارها السلبية، حيث تبيّن الأسباب التي دفعت الفتاة الصغيرة خولة للتغيب عن المدرسة دون أن تعلم أمها، وبيع الرغيف في الشارع، كل ذلك بأسلوب قصصي مثير يصور ما تواجهه خولة من فقر ومعاناة.

وتنطوي القصة على مجموعة من القيم الإنسانية والدينية منها:

---

[1] - مسعودة لعريط غيوم، قصص الأطفال في الجزائر، ص36.

[2] - شريفة غطاس، كتابي في اللغة العربية، ص10.

[3] - المرجع نفسه، والصفحة.

[4] - المرجع نفسه، والصفحة.

- مبدأ التعاون ومساعدة الأصدقاء بما قام به هاشم نحو صديقه وأن يشفق الأغنياء على الفقراء بمساعدتهم، ومد يد العون لهم في محنتهم.

- ضرورة تربية الآباء الأبناء على حب الآخرين ومساعدة المحتاجين.

ولم تقتصر ظاهرة اليتم والفقر على الطّفلة/الفتاة، بل إنّ الطّفل/الذكر هو الآخر عانى أحيانا اليتم والجوع، مثلما هو حاصل في قصة " **بقرة اليتامى** " للكاتب " **رابح خدوسي** "، والقصة من الحكايات الشعبية التي تتداولها الألسن لتكوّن جلسة من جلسات التسلية والإثارة.

تدور القصة حول حياة طفلين يتيمين " **ظريف ومرجانة** "، حكم عليهما القدر بعد وفاة أمّهما بأن يعيشا الوحدة والاغتراب والأحزان مع زوجة الأب، القاسية القلب، التي كانت تخفي وراء جمالها قلبا أسود أقسى من الحجر، قلبا لا يحنّ ولا يرحم. أنجبت الأم الجديدة بنتا سمّتها " **عسلوجة** "، ولم تكن عسلوجة أقل من أمّها حقدا وغيرة اتجاه أخويها، وامتلأ قلبها الصغير بغضا وحسدا عليهما، وقد ورثت عسلوجة صفة القبح من أمّها القاسية.[1]

هنا نستشف التأثير الكبير لشخصيّة الأم على الأبناء، خاصة فيما يخصّ الصّفات والتصرّفات السيئة التي يمكن أن يكتسبها الأبناء من أمّهاتهم وآبائهم، ثم الدور الكبير للأم بالدرجة الأولى في تربيتهم على الأخلاق الحسنة.

تبدأ مأساة الطفلين بالظهور حين تموت الأم، وكيف أن زوجها اتَّخذ لنفسه زوجة أخرى بعد ذلك. هذه هي الإشارة الوحيدة للوالد، إنّه أب متخاذل لأنه يفشل كليًا في حماية طفليه من الأيدي الأثيمة لزوجته الجديدة.

إنّ العنف الذي عاملت به زوجة الأب الطفلين قد يكون مبعثه الحرمان أو الفقر، فصورة زوجة الأب في قصة " بقرة اليتامى" ترمز إلى الظلم والقهر، لكن الحكم عليها بأنّها شخصية شريرة، يعد نظرة قاصرة، لأن زوجة الأب كقيمة اجتماعية هي وليدة ظروف اجتماعية معينة، فإدانة هذه القيمة الاجتماعية لا ينصب على هذه الشخصية فقط « بقدر ما يأخذ بعين الاعتبار موقع هذه الأخيرة في نطاق العلاقات الاجتماعية (...) وإذا تأملنا الظروف المعيشية القاسية التي برزت من خلالها زوجة الأب في قصة بقرة اليتامى، نجد تبريرا مقنعا لميل هذه الزوجة إلى ابنتها أكثر من ميلها لأبناء زوجها، وهو ميل طبيعي، إذ

[1] - ينظر: رابح خدوسي، بقرة اليتامى وقصص أخرى، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دط، دمشق، 2001م.

الأم تعمد إلى حماية أبنائها أولا. وعليه يبدو من المحبذ أن نعرض مثل هذه المشكلات الاجتماعية من زوايا متعددة، حتى يتمكن الطفل الذي يعيش مثل هذه الظروف الاجتماعية، أن يتفهم الوضع وأن يتجاوز بعض الاضطرابات النفسية، التي يمكن أن تحدث له من جراء هذا الوضع.» (1)

هنا تبرز ظاهرة اجتماعية تمس الكثير من الأسر هي ظاهرة زواج الأب مرة ثانية، وما يلاقيه أولاده من معاناة جرّاء ذلك، إذا ما كانت الزوجة الثانية قاسية القلب، سيّئة المعاملة، فهذه الظاهرة لها آثار وخيمة على المجتمع، وعلى الأبناء بالدرجة الأولى، فالأطفال المشرّدون التائهون في الشوارع فئة منهم يعيشون مع زوجة الأب الشريرة، أو بسبب ظاهرة الطلاق، التي تخلّف آلاف الضحايا من الأطفال، غير أننا بالمقابل نشاهد زوجات آباء مثيلات في معاملتهنّ الحسنى لأبناء أزواجهنّ.

إنّ ما تثيره قصة " بقرة اليتامى" هو حالة الفقدان والحرمان المادي والعاطفي، والقصة في عمومها تهدف إلى نبذ الحسد والبغض والغيرة المذمومة بين أفراد المجتمع، وتخص الأطفال بالدرجة الأولى، وإبدال هذه القيم السلبية بقيم إيجابية توطّد العلاقات بين الناس، وتحفظ لهم أمنهم وسلامتهم، وقد طرحت هذه القصة في قالب خرافي مثير، يتسلّى الطفل بمضمونها، بل إنّه في كثير من الأحيان ما يلّح على تكرار سماعها لما فيها من إثارة وتشويق.

وكثير هم الأطفال الذين يتحلّون بصفة الشّجاعة والإرادة القويّة في بعض المواقف، فيقومون بأدوار بطولية، قد يخشى الكبار أحيانا خوض غمارها، وهو ما تعبّر عنه قصة " **الولد الشجاع والساحر المشؤوم لمهدي سي علي** "، هذا الولد الذي تمكّن بقوّة إرادته وشجاعته الكبيرة من القضاء على الساحر في إحدى الجزر البعيدة والمخيفة، وتخليص سكانها من غطرسته وجبروته، وحين فعل ذلك إنما ازداد «تأكّدا بأنّ الساحر لا يفوز أبدا، وأنّ عاقبة الأمور تكون للصالحين الذين ينشرون الخير بين الناس.» (2)

وإن كان محتوى القصة خياليا، إلاّ أنّه يعلّم الطّفل العزم، والتّحدي، والصبر والتحلّي بالشّجاعة وقوّة الإرادة من أجل تحقيق النّجاح، وأنّ الخير ينتصر دائما على الشر في الأخير، والمغزى من ذلك هو تربية الأبناء على الشجاعة، وتشجيعهم على المثابرة وحب مواجهة الأمور، وتحدّي الأخطار، ومن القصص ما تعلم الطفل حبّ المدرسة، كما في قصة " **بكّار يحبّ المدرسة**"، حيث حزن الطّفل " **بكّار**" لقدوم العطلة الصّيفية وتركه المدرسة، قائلا لصديقه: « أنا حزين يا همّام، فأنا أحبّ المدرسة جدّا، ولا

[1] - مسعودة لعريط غيوم، قصص الأطفال في الجزائر، ص64.

[2] - مهدي سي علي، الولد الشجاع والساحر المشؤوم، دار السبيل، دط، بن عكنون، الجزائر، دت، ص15.

أريد أن أبتعد عنها أبدا.» [1] وراح يصف لصديقه جو المدرسة، ويعدّد محاسنها، ففيها يكون لقاء الأصدقاء، ويرفع في ساحتها علم الجزائر، ويقوم التلاميذ بأداء النّشيد الوطني " قسما "، ويذكر حبه الكبير لكل الدروس التي يتلقاها فيها، منها دروس التربية الإسلامية التي تعلّم منها الصلاة وقراءة القرآن، ودروس التاريخ التي عرّفته على تاريخ بلاده المجيد، ودروس العلوم لأنها قد تجعله عالما كبيرا ذات يوم، وحصص الرسم، وحصص الرياضة، والمشاركة في الرحلات التي تنظمها المدرسة، والمساهمة في تنظيف المدرسة وتزيين جدرانها، ويذكر احترامه لأساتذته، لأنّهم هم من يعلّمونه وينصحونه، وبفضل دروسهم تتحقق الآمال والأحلام، وقد أثّر كثيرا في صديقه "همّام" الذي صار هو الآخر حزينا مثله لفراق المدرسة في الإجازة الصيفيّة.

كما يبدو بكّار حريصا على تنظيم وقته في المنزل، فبعدما يعود من المدرسة يستريح قليلا ثم يخلو إلى القراءة واستذكار ما تعلمه حتّى لا ينساه، وهو يفضّل النوم مبكّرا حتّى يتمكن من الاستيقاظ مبكرا، فقد تعلّم من أمه بأنّ الذي ينام مبكرا يستطيع أن ينهض مبكرا ويظلّ قويا وذكيا.[2]

إن هذه القصة مكثفة بالنصائح التربوية المثلى التي يمكن أن يقف عليها الطفل، فهي تحبب المدرسة للأطفال، لأن المدرسة هي التي تصنع الأجيال، وتكتشف العباقرة والفنانين والمخترعين، كما تدعو إلى الوئام بين التلاميذ، وحب واحترام الأساتذة، ووجوب المحافظة على المحيط المدرسي بكل ما يشمله. ومن جهة أخرى تعرّف الطفل بقيمة الوقت وتنظيمه، وكيفية استغلاله في الدراسة، ومراجعة الدروس كل يوم حتى تترسخ بالذاكرة.

ويشدّد المربّون على أنّ مسؤولية تربية الأبناء تقع على عاتق الأبوين في الأسرة، وتستمر هذه التربية في المدرسة بمراحلها المختلفة لأنّ لها دورا كبيرا في تقويم سلوك الطّفل، وفي تحقيق آماله،، حيث يُعد الطفل للحياة. ومن ناحية أخرى فإنّ نعمة الأولاد قد تنقلب إلى نقمة على أهله إذا لم يحسنوا تربيته وتلقينه ما يفيده، وبما يلقى من انحراف في التربية والتوجيه بتأثير سوء الصحبة مثلا أو بتأثير القدوة في المدرسة والمجتمع، لذلك يجب على الوالدين مراقبة ابنهم باستمرار وتوجيه سلوكه نحو الأفضل، والاهتمام به أكثر، واحترام ميله إلى اكتشاف الحقيقة، وحب المعرفة والبحث والتفكير، ودعمه في دراسته لتحقيق المزيد من النجاح.

---

[1] - مجهول المؤلف، بكار يحب المدرسة، دار البرهان، دط، دب، دت، ص2.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص4.

ولاشكّ أنّ قصص الأطفال « تستهدف أول ما تستهدف التكوين والبناء، والنمو للشخصية المتكاملة للطفل، والإعداد السليم للطفل من النواحي النفسية والعقلية والفكرية، وتنمية مهاراته وقدراته وصقلها والنهوض بها، وإشباع حاجاته وهواياته الفنية والعلمية والمهنية، والتشجيع على ممارسة الأنشطة التي يشعر من خلالها الطفل على تأكيد ذاته في المجالات المختلفة.» [1]

إنّ المربي الأوّل للطفل هي الأسرة، وتحديدا الأب والأم، لأنّ طبيعة الأسرة التي يترعرع فيها الطفل هي التي تحدّد طبيعة الطفل، إذ أنّ« طريقة تربية الطفل هي التي تحدد سلوكاته وشخصيته.»[2] وتساعده على تحقيق النجاح في المستقبل

فقد أضحى الطفل " **تينو**" في قصة "**تينو والغوّاصة**" **لحسين بلحسين**" متفوّقا، بفضل التّربية الحسنة والمراقبة المستمرة من طرف الوالدين وتشجيعاتهم، وذلك بما حقق من نتائج دراسيّة بدرجة عالية جدّا، حتىّ انتشر اسمه في المدرسة، وأصبح « يتمتع بشهرة إلى درجة النجوميّة. نال رضا الجميع وقدرا عاليا من الاحترام والتقدير، وأكرمته المؤسسة بعدّة جوائز في حفلات ومناسبات ثقافية، وقدّمت له التهاني والتشجيعات والتبريكات ممّا زادته قوة وثقة بالنفس، ولم يتوقّف عند هذا الحدّ، بل راح يطالع المزيد من الكتب، وهذا هو سرّ نبوغه في جميع المراحل الدراسيّة حتّى تكوّنت لديه ملكة التفكير.» [3] ولمّا لاحظ أبواه شغفه وحبّه لعالم التفكير والبحث، وفّرا له محلاّ يقضي فيه أوقاته أثناء العطل المدرسية وغيرها، ليتمكّن في نهاية المطاف من صنع غواصة، كلّ ذلك بما وفر له والداه من مساعدات مادية ومعنوية. وإن كان اختراع الطفل تينو لغواصة أمرا خارقا للعادة، فإنّ المتلقي الصغير بحاجة إلى مثل هذه القصص لدعم خياله، وإثراء تصوّراته ببعض التأملات الخارقة، ولكن يجب تطعيم ذلك ببعض القيم التربوية المرغوبة والإيجابية. [4]

وتقف بعض قصص الأطفال عند ظاهرة الصداقة، وتصوّرها بحلاوتها ومرارتها، مثل تلك التي تصوّر التّعاون والتآخي بين أحمد وأصدقائه في قصة " **لقاء الأصدقاء**" **لمسعود صبري**"، والذين اتّجهوا يوم العطلة إلى الحديقة القريبة من منازلهم قصد اللّعب، والتمتّع بمناظر الطبيعة الجميلة «فالأشجار

[1] - محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل، ص121.

[2] - مسعودة لعريط غيوم، قصص الأطفال في الجزائر، ص64.

[3] - حسين بلحسين، تينو والغوّاصة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دب، 2008م، ص3.

[4] - ينظر: محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل، ص120.

عالية، والأزهار زاهية والورود ذات رائحة عطرة، وألوان متنوعة، والهواء نظيف ونقي والطيور تطير هنا وهناك فرحة مسرورة، وظل الأصدقاء يتنقلون في الحديقة يتمتعون بجمال الطبيعة.» [1]

فحب الطبيعة ملكة تنشأ مع الإنسان، وتنمو فيه بالتوازي مع نموّه كلما اشتدّ عوده واكتمل تكوينه، وحب الطبيعة « جبلّة تظل مع المرء فتتفتح مع تفتّح الزهور واضطراب الأرض في اهتزاز تحمل معها كل جديد، فتخضرّ الأغصان، وتينع الأوراق وتتفتق البراعم، ويسري الماء في سوق الأشجار والنّباتات عامّة (...) والطبيعة: هي " المعطى، أي كل ما هو خارج عن إرادة الإنسان بل إنّ الإنسان ذاته يدخل في إطار الطبيعة.»[2]

وبعد فترة اتّجه أحمد وأصدقاؤه إلى ركن بعيد عن الحديقة، حتّى يتمكّنوا من اللعب بالكرة بعيدا عن إدارة الحديقة، لأنّها تمنع اللعب على الحشائش، ثم أخذوا يلعبون بالكرة، وحين ذهب أحمد لجلب الكرة من الشارع المجاور للحديقة صدمته سيّارة، فهبّ إليه أصدقاؤه مسرعين، واتّجهوا به مباشرة إلى المستشفى القريب من الحديقة، وانتظروه حتّى عاد إليه تنفّسه الطبيعي، واطمأنّوا على صحته، وبعد هذه الحادثة « وعد أسرته والطبيب ألا يلعب في الأماكن التي لا يسمح فيها باللعب.» [3]

يهوى الأطفال الرياضة كثيرا، ويمارسون مختلف الألعاب الرياضية منذ طفولتهم سواء في المدرسة أو خارجها في الحي أو الملعب، وتتنوع هذه الألعاب من كرة القدم، والعدو والسباحة...الخ، وللرياضة عموما دور هام في النمو الجسمي، وتحقيق التوازن النفسي، لذلك فإنّ ممارسة التمارين الرياضية في سن الطفولة خاصة دور مهم، حيث أنّ الجسم في نمو مستمر يحتاج إلى الرياضة للتأكد من أن العضلات والعظام والقلب والرئتين وكل الأعضاء الحيوية الأخرى تنمو بشكل طبيعي وسليم، بالإضافة إلى بناء شخصية سليمة، فقد أشارت العديد من الدراسات إلى أنّ الألعاب الحركية المنظمة تعزز نمو الأطفال والشباب من الناحية البدنية والذهنية والنفسية بصورة صحية، وتزيد من الثقة بالنفس وتقدير الذات والشعور بالإنجاز. [4]

---

[1] - مسعود صبري، لقاء الأصدقاء، منشورات عشاش، دط، بوزريعة، الجزائر، 2006م، ص2.

[2] - محمد مرتاض، الموضوعاتيّة في شعر الطفولة الجزائري، ص13،14.

[3] - مسعود صبري، لقاء الأصدقاء، ص8.

[4] - ينظر: ألفت حقي، سيكولوجية الطفل، ص95.

فلجوء الطّفل للعب يعدّ فسحة لإشباع الرغبة وصياغة الذات المشتهاة، وصوغ عوالمها المأمولة، زمن لتصريف المكبوت وردم نسبي لبعض حفر اللآشعور. إنّ اللعب لهذه الاعتبارات تحديدا يمنح الطفل توازنا هاما وتعويضا عن القهر والكبت الممارسين عليه مدار الساعة، لأنّ « لدى الطفل طاقة هائلة، تحتاج إلى تفريغ، وإن عدم تفريغها بالشكل الصحيح يجعله يفرغها بطريقة خاطئة، وقد دلّت الكثير من الدراسات على أنّ ( اللعب) يشكل أسلوبا نموذجيا لذلك؛ ومن ثم فإن من المهم دائما أن تعدّ الأم مكانا في المنزل للعب الأطفال. ومن المهم تسهيل حركتهم داخل المنزل.»[1] والسماح لهم باللعب خارجه.

ولعلّه من الملفت للانتباه أنّ اللعبة الواردة في القصة هي إحدى اللعب الجماعية التي تستدعي الحركة والمنافسة، وتستدعي الصراع، وهو شأن لعبة كرة القدم، وكأنّ اللعب يهيأ الطفولة لصراع طاحن وفعلي في الحياة العملية الآتية، تقول الباحثة " سوزان ميلر" في هذا الصدد: « إنّ الكرة بما هي شكل دائري يجد فيها الطفل صورة كل شيء، ففيها السكون وفيها الحركة، وفيها الخصوص والعموم إضافة إلى استيعابها للسطح الواحد، والسطح المتعدد، وتجسيدها لثنائية التخفي والتجلي (إذ لا يدرك مركزها ولا ترى لها زوايا)، وليس يخفى أن اللعب في جوهره نتاج لتعالق بين متقابلين: النشاط الحر للطفل ثم المثيرات المتولدة عن شكل اللعبة ذاتها، وهل هناك ما يمثّل هذين الضدين أكثر من طفل يرمي الكرة، فتعود إليه، فيرميها ثانية وتعود.. وهكذا.»[2]

فالألعاب الجماعية تملي على الطفل نوعا جديدا من المفاهيم هو قانون اللعب أو اللعب المشروط، ويبدأ الطفل من هنا شوطا جديدا في حياته، لأنّه سيتعلم بالإضافة إلى المشاركة أسلوبا جديدا هو الامتثال أثناء اللعب والتخطيط له، وإذا ساعدته عائلته وبيئته، فإنّه سيصير اجتماعيا في لعبه، يرضى بالفوز ويتقبل الخسارة، لأنّ هذه القاعدة السليمة ستساعده فيما بعد على النهوض بعد السقوط، والاعتماد على النفس وعلى اندفاعه الذاتي في التعلم والتقدم.[3] لذلك فإنّه « من المهم إتاحة الفرصة للأولاد كي يلعبوا خارج المنزل في بعض الحدائق والنوادي والملاهي الآمنة والجيّدة، وحين يلعب الطفل مع غيره، فإنّ ذلك يخفف من العدوانية لديه، ويساعده على تعلم بعض الأشياء الجيّدة.»[4]

---

[1] - عبد الكريم بكّار، مشكلات الأطفال، ص82.

[2] - سوزان ميلر، سيكولوجية اللعب، ص180.

[3] - ينظر: ألفت حقي، سيكولوجية الطفل، ص96.

[4] - عبد الكريم بكّار، مشكلات الأطفال، ص82.

ومن القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تسعى قصة لقاء الأصدقاء على بثّها في الأطفال نذكر:

- ترسيخ علاقة المحبة والأخوة.

- معنى الصداقة وحب الأصدقاء.

- زيارة المريض لما في ذلك من فوائد نفسية.

- احترام المساحات الخضراء كالحديقة، وعدم اللعب فيها وتخريبها لأنها ملك عمومي حق للجميع.

- تجنّب اللعب في الأماكن الخطيرة كالشارع مثلا، لأنّ الطفل قد يتعرض لحوادث مرور مميتة وكثيرا ما يقع مثل هذا.

- تشجيع الأطفال على اللعب الجماعي وممارسة الألعاب الرياضية المتنوعة، لأنّ اللعب يوفر للطفل الفرصة للتعبير عن الذات، وبناء الثقة بالنفس، والإحساس بالإنجاز، والتفاعل مع المجتمع والاندماج فيه، والعقل السليم في الجسم السليم.

# الفصل الثاني:

## صورة الطّفل في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة [1980-2010م] "دراسة نماذج"

1- حضور الطفل في قصص مرحلة ما قبل الثمانينات.

2- ألوان صور الطّفل في قصص الثمانينات وما بعدها:

2-1- الطّفل اليتيم.

2-2 الطّفل الفقير الجائع.

2-3- الطّفل المريض والمتهوّر.

2-4- الطّفل المظلوم.

2-5- الطّفل المجاهد والشهيد.

2-6- الطّفولة المسترجعة.

2-7- الرجل الطّفل.

2-8 - الطّفل والعنف.

2-9- الطّفل والرمز.

2-10- الطّفل والطقوس الشعبية.

## 1- حضور الطفل في قصص مرحلة ما قبل الثمانينات:

إنّ الدارس للقصص القصيرة الجزائرية الموجهة للكبار سوف يلاحظ أنّ معظم مواضيع قصص مرحلة ما قبل الثمانينات قصص هادفة ملتزمة، حيث أنّ جلها«لا تبرح الثّورة وما يتصل بها من حديث عن الهجرة خارج الوطن، وآثار الاستعمار، كما هو عليه في مجموعة زهور ونيسي- الرصيف النائم- ودودو في- بحيرة الزيتون- ووطار في- الطعنات-»[1]

إلاّ أنّ حضور موضوع الثورة أو القضايا الاجتماعية والتربوية في هذه القصص لم يمنع من تواجد الطّفل في بعض قصص هذه المرحلة، وحضور الطفل هنا ليس دائما كموضوع رئيسي للقصة، بل حضوه أحيانا كشخصية مشاركة في أحداثها، مثلما هو الحال في قصة "**الدروب**" من مجموعة "**الطعنات**" للطاهر وطار، فالعنوان كما نرى لا يشير مباشرة إلى الطفل، لكن مضمون القصة يحمل في طياته طفلا ثوريا هو "**الباهي**"- بطل قصة الدروب – الذي«تحمّل مسؤولية الأسرة في سن مبكرة، فقد كان هو الوحيد الذي يعول أمه وأختيه بعد أن توفي والده، لقد خلف والده في إعالة الأسرة.»[2] لأنّ«الباهي رجل، رجل منذ مات المرحوم والده بالتيفوس، رجل وعمره لا يتجاوز العاشرة.»[3] وهو الرجل الذي أنقذ مجاهدين جريحين من قبضة المستعمر. وللكاتب "الطاهر وطار" قصة أخرى "**نوة**" في مجموعته "**دخان من قلبي**"، وإن كان موضوع هذه القصة هو الثورة التحريرية، إلاّ أننا نجد طفلين شقيقين يشاركان أمّهما في أحداث القصة، التي تنتهي باستشهاد أحد الشقيقين.[4]

وكان القاص **أحمد رضا حوحو** قد أدرج من قبل في مجموعته "**غادة أم القرى**" قصة بعنوان "**التلميذ**"، بطلها تلميذ قروي اجتاز أطواره المدرسية بنجاح في ظروف اجتماعية قاسية، حيث كان أبواه في غاية الفاقة وشدة الاحتياج، فكانا في حاجة إلى مساعدته في توفير قوت العائلة، ولذلك لم يسمحا له بالذهاب إلى المدرسة إلاّ على شرط أن يقوم بجميع أعماله اليومية خير قيام عند عودته من المدرسة، ولهذا فقد كان حتما عليه بعد الرجوع من المدرسة أن يقوم بتوزيع الخبز على عمال أبويه، وأن يشاركهما في بعض الأعمال، وكان يقضي بقية يومه وشطرا من ليله في إنجاز أعمال كثيرة شاقة، ولا يجد فرصة

---

[1] - عبد القادر بن سالم، مكوّنات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2009م، ص21،22.

[2] - معارف، مجلة علمية فكرية محكمة، توظيف التراث الشعبي في قص"الدروب" الطاهر وطار، عبد الحفيظ حرزلي، العدد الرابع، أفريل 2008م، القسم الأول، المركز الجامعي بالبويرة، الجزائر، ص223.

[3] - الطاهر وطار، الدروب : الطعنات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1981م، ص56.

[4] - ينظر: الطاهر وطار، نوة : دخان من قلبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، دت، ص93.

للقيام بواجباته المدرسية، سوى بضعة سويعات متأخرة من اللّيل، يشاهد فيها الفتى "دروت" وهو منكب على دروسه، يلتهمها على ضوء نور الموقد، ورغم ظروفه الصعبة هذه ورغم معاناته في دراسته، فقد تفوّق ونجح في مسابقة الدخول للمدرسة الحربية بالرغم من قلة وسائل التعليم، وصعوبة ظروف المعيشة.(1)

وللكاتبة "**زهور ونيسي**" في مجموعتها "**على الشاطئ الآخر**"، قصة "**لماذا تخاف أمي**"، التي تحكي عن مغامرة الطفل حمدي مع صديقه كمال أيّام الثورة، وسقوطه شهيدا في مظاهرات 1960م*، ولقد كان حمدي« الذكر الوحيد بين ثلاث بنات.»(2) لم يتجاوز العاشرة من عمره، ولعلّ هذا ما جعل أمّه تخاف عليه كثيرا وتمنعه من مرافقة زملائه إلى الشارع، فهي«تحبه أكثر من البنات ما في ذلك شك ولو لم تفصح عن ذلك أو تظهره، وكثيرا ما كانت تتألم لهذا الفرق الذي تشعر به بين أطفالها، فلذات أكبادها جميعا، لعلها الظروف؟ إنها تذكر جيدا عائلة زوجها وقد عيروها بإنجاب البنات، لذلك أصبحت ليست لها من أمنية اليوم سوى أن ترى حمدي رجلا (مكرة في عين الحساد)»(3)

إلاّ أنّ أمنية الأم لم تتحقق، لأنّ ابنها حمدي استشهد حين رافق صديقه كمال في يوم العطلة إلى«الحي المزدحم بالناس، الناس لا غير، لا سيارات ولا عربات، ناس فقط، بحر من الناس، كانت الدكاكين مغلقة، وما فتح منها كان يغلق، والوجوه تتضارب بشتى أنواع الانفعالات، ولو أنها لم تتعد انفعالات الرعب، والحيرة، والتحمس، والثورة. كان انفعالا واحدا هو الذي استلفت نظر الطفلين، هو ذلك الذي ارتسم على وجوه مجموعات كبيرة من الشباب، فتيان، وفتيات، وأطفال، وهم يحملون أعلاما، بألوان حبيبة لنفس حمدي على الخصوص ويهتفون بكلمات كبيرة، ويلوحون بقبضاتهم في الهواء وكأنهم يصارعون ماردا جبارا.»(4) فانضمّ حمدي إلى هؤلاء الجماهير وحمل العلم«ووقف حمدي وصوت الطلقات يخمد من صوت الهتاف شيئا فشيئا.. رباه.. غير ممكن أن يهزموا... لماذا يتفرقون.؟ لكنه ما كاد يقف حتى سقط هو الآخر.. مع الآخرين، متأوها، وضحك وهو يسقط، وقد وخزه شيء كالابرة صلب.. –أمي.. أين أنت؟..إنني

---

1 - ينظر: أحمد رضا حوحو، التلميذ: غادة أم القرى وقصص أخرى، موفم للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2000م، ص287.

* هي مظاهرات سلمية خرج فيها الجزائريون لتأكيد مبدأ تقرير المصير للشعب الجزائري ضد سياسة الجنرال ديغول، فقامت السلطات الفرنسية بقمع هذه المظاهرات بوحشية، مما أدى إلى سقوط العديد من الشهداء.

2 - زهور ونيسي، لماذا تخاف أمي: على الشاطئ الآخر، موفم للنشر، دط، الجزائر، 2007م، ص150.

3 - المصدر نفسه، ص154.

4 - المصدر نفسه، ص159.

..أموت.. ولم تنقطع المظاهرات، بل استمرت أقوى وأكبر وأعظم... فقد كانت الأعلام فوق الأكتاف تلف أجساد شهداء عام 1960 بالجزائر الدامية.»[1]

كما نجد قصة "**بحيرة الزيتون**" **لأبي العيد دودو**، التي تدور أحداثها حول فتاة تعيش مع أمها الطريحة الفراش حياة قاسية، ملؤها البؤس والشقاء، إنّها« فاطمة فتاة ريفية، تجاوز سنّها السادسة عشرة بقليل ضعيفة التركيب. ناتئة العظام، شاحبة المحيا، ذابلة العينين، كئيبة النظرة. فقدت أباها في ثورة أيار، شهر الدماء والدموع والألم.»[2] حيث نلمس من خلال هذه القصة الظروف المعيشية الصعبة التي عاشتها فاطمة مع أمّها المريضة، وتجرّعت مرارتها منذ وفاة أبيها، وكانت رغبتها وهي الطفلة الأنثى الصغيرة في«أن تصبح مجاهدة. وتلك كانت أمنيتها.»[3] ورغم أنّ الطفلة كانت تسعى إلى أن تكون مجاهدة، كان هناك أمر يحول دون تحقق رغبتها، وهو أن تبقى بجانب أمّها الضريرة. ويبدو هنا أنّ للبنت الجزائرية عموما دور كبير في الثورة، ومثّل هذه البنت كثيرات ساهمن في الثورة.

وما نلاحظه هنا هو أنّ كل هذه القصص التي تعود إلى فترة ما قبل الثمانينات معظمها لا تخلو من أحداث الثورة التحريرية. أمّا مع بداية مرحلة الثمانينات فإنّنا« نسجل بداية مرحلة أكثر اهتماما بالقصة، بعد أن ظهر شباب يمثلون جيلا جديدا ويتمتعون بمواهب أدبية وبحس فنيّ ملحوظ، وهؤلاء يحاولون التجديد سواء في الموضوع أو الشكل أو المضمون، وحتى في الرؤية والنظرة والواقع.» [4]

وهي المرحلة التي« تميّزت فيها القصّة الجزائريّة بعنايتها بالمضمون خاصة.»[5] فعالجت القصة القصيرة الجزائرية في هذه المرحلة، أي ابتداء من سنة 1980م وما بعدها قضايا اجتماعية عدة تؤرق الإنسان الجزائري بصفة خاصة ومجتمعه بصفة عامة، ومن بين هذه المواضيع نذكر: الهوية، والهجرة، والمرأة، والجنس، والأرض، والقرية والمدينة، والاستعمار والوطن، والاعتقال، والتهميش، والاغتراب، والصراع الطبقي، والجريمة، والفقر، وحقوق الإنسان، ووضعية المثقف والفنان، وموضوع الطّفولة أو الطّفل الخ... [6]
(6)

---

[1] - زهور ونيسي، على الشاطئ الآخر، ص163.

[2] - أبو العيد دودو، بحيرة الزيتون، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1992م، ص15،16.

[3] - المصدر نفسه، ص17.

[4] -عبد الله ركيبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1982م، ص163.

[5] - عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، ص7.

[6]- ينظر: عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1990م، ص19.

## 2- ألوان صور الطّفل في قصص الثمانينات وما بعدها:

### 2-1- الطّفل اليتيم:

اهتمّ القصّاصون الجزائريون المعاصرون في كتاباتهم بتصوير موضوع اليتم الطفولي، ما دام المجتمع الجزائري هو في العموم مجتمع مهزوز اجتماعيا ومنخور طبقيا، ومختل أخلاقيا، ينقر على إيقاع الفقر والفاقة، ويعزف سيمفونية الاحتياج والبؤس، وتراجيديا السقوط وانهيار البناء الاجتماعي.

ويلاحظ من خلال القصص التي عالجت واقع الطفل اليتيم أنّه غالبا ما ينتج هذا اليتم الطفولي في معناه العام والخاص عن طريق وفاة معيل الأسرة، أو انفصال الطرفين (الوالدين) طلاقا، أو عن طريق هروب الزوج أو الزوجة، فيكون الخاسر الأكبر في هذه الحالة سواء أكانت إجبارا أم اختيارا هو الطفل البريء بالدرجة الأولى الذي يتعرض للمعاناة القاسية، التي يعجز كاتب القصة عن تصويرها تصويرا حقيقيا وشاملا.

وقد أشار علماء النفس إلى أثر اليتم على شخصية الطفل ونفسيته ومستقبله، حيث يخلّف فقدان أحد الوالدين فراغا أو نقصا في الحب والحنان أو ما يعرف بـ"الحرمان العاطفي"، ويعرّفه الباحث النفساني " Ajuria Guerra " في كتابه "علم النفس الطفل" بأنّه:«نقص في الحب والعطف والحنان والرعاية والعناية من طرف الأم والأب نظرا لغيابهما أو موتهما أو مرضهما أو انفصالهما بسبب الطلاق أو الرفض مع عدم وجود بديل لهما.»[1] ويؤدي حرمان الأطفال من الأبوين إلى«تعطيل النمو الجسمي والذهني والاجتماعي، وفي اضطراب النمو النفسي.»[2] حيث يعانون من اضطراب في الشخصية وسوء التوافق النفسي، وتسيطر عليهم مشاعر القلق والخوف، وانخفاض تقدير الذات. كما بيّنت الدراسات أنّ الحرمان المبكّر يعوق تكوين الإحساس بالثقة في الآخرين، ما يدفع الطفل إلى الانزواء وعدم الاكتراث، وعدم القدرة على إنشاء علاقات إنسانية متوازنة مع الآخرين.[3]

ويؤكّد الباحث النفساني "**رمضان عبد الرؤوف**" على أنّ« للأب دور هام في عملية التفاعل العائلي، لأنّ شعور الطفل تجاه محبة والده وتقديره له وعلاقاته به أمر له الأثر الكبير على سلوكه وتكيفه

---

[1] - Ajuria Guerra¸ Psychologie de l'enfant¸ Masson¸ Paris¸ 1982 , p231 .

[2] - حنان عبد الحميد العناني، الطفل والأسرة والمجتمع، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، دب،2000م، ص98.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، والصفحة.

وتمتعه بالأمن والاستقرار النفسي، وذلك من خلال الاتصال الجسمي والنفسي الدائم بين الطرفين، لأنه من خلاله يحس الطفل ويشعر بمدى اهتمام الأب ورعايته والعناية به.»[1]

ومن القصص التي صوّرت الطفل اليتيم الذي ينتظر مستقبلا مجهولا قصة "**يتم**" من مجموعة "**الأصوات**" للكاتب "**عمار بلحسن**"، والتي تصوّر طفلا صغيرا اسمه "اعمر"، توفي والده تاركا إيّاه وأمّه يواجهان صعوبة الحياة وقسوتها، حيث وجدت الأم نفسها أمام طفل يتيم وهي مسؤولة بل ومجبرة على تربيته، لكنها غير قادرة لوحدها على تأمين مستقبل فلذة كبدها، وتوفير لقمة العيش لنفسها، ومن هنا تبدأ معاناتها ومعاناة ولدها.

تأتي قصة "**يتم**" على لسان الطفل اعمر الذي تقلّد دور الراوي، وقد تجاوز هذا الراوي مرحلة الطفولة وبراءتها بسنوات طويلة، لأنّه يسرد هذه الأحداث من وجهة نظر رجل ناضج، وتُستهل القصة بالعودة إلى الزمن الماضي واسترجاع حادثة وفاة الأب وما تركه من فراغ، يقول الراوي/الطفل:« في زمن قديم، يتراءى ضبابيا وملونا بهالات مشوشة كأثير حلم، انتشر الخبر عندما تعالى نواح من دار جدّي، نواح ملفوف في أصوات ملتاعة وصراخات مبحوحة، قالوا: أبي مات.. فبدأت نسوة الدشرة يتهاطلن كدموع وابتهالات وشعور نساء أعمامي وأمي وحنّا. لم أبك. كان هناك بكاء كثير، وصرخات من كل جنبات الدار، لدرجة أن أحسست أني جاف ومحايد، كان صوت أمي الملتاع يشق السموات والناحية، ويتردد في الوديان والهضاب البعيدة: -"بردي. بردي.. ويا لخضر لمن خليتني!" أبي مات. قالوا: في الفجر.»[2]

يلاحظ هنا بعض عادات وتقاليد العائلات الجزائرية حين تفقد فردا من أفرادها، إذ تبدأ النسوة بالصراخ والندب، وشدّ شعورهن، وضرب وجوههن، وأم اعمر هي الأخرى كانت « تضرب فخذيها وشعرها متهدل منفوش يغطي سحنتها ويلتصق مع الدموع التي تسيل على خديها.»[3] أمّا ابنها "اعمر" فقد كان«كعصفور حزين كنت في حجر عمي، كافحت كي أفهم معنى هذا الغياب، وأن أحس كمية الحزن المخزونة في كل هذه الدموع، وحاولت أن أبكي وأن أحزن. مات أبي، قالوا لي أن روحه في الجنة

---

[1] - رمضان عبد الرؤوف، أفاق معاصرة في الصحة النفسية للأبناء، دار الكتاب، دط، القاهرة، 1998م، ص16.

[2] - عمار بلحسن، يتم: الأصوات، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1985م، ص149.

[3] - المصدر نفسه، ص151.

وأن موكبا من الملائكة يصحبه إلى مكان نوراني بعيد، بعيد في السماء، ولم أفهم كنت أرى حزنا ودموعا في عيون النساء والرجال والفتيان.»[1]

يعبّر اعمر هذا التعبير لأنّ ظاهرة الموت تعدّ من الظواهر المجرّدة والغامضة بالنسبة للطفل، الذي يتعامل معها بدون اكتراث، ودون أن يدرك حجم الخسارة، وهو لم يبك، ولكن لمّا اجتاحته حالة حزن عارمة- فيما بعد- وغلبه البكاء، حينها يقول:«أجهشت، ودفنت وجهي في الوسادة. صحيح مات أبي، مات وسكن في الفضاء كأثير طليق مع ملايير الأرواح في مملكة الموت العجيبة.»[2]

إنّ الطفل هنا قد بدأ في فهم معنى الموت، ولكن ليس عن طريق نضجه العقلي، بل عن طريق مشاهدته لأجواء الحزن والألم التي ملأت دارهم أثناء النعي، وما كان يسمعه من عويل أهله وأقاربه. وكبر الطفل لكنه لم يجد سندا- كباقي الأطفال- يتكئ عليه سوى أمّه الوحيدة في هذا العالم «كمريم التي لم تتزوج والتي يسيل من يديها وكفيها الخير والدعوات والبركات، أحسست بجوع رهيب لوجه أبي.»[3]

إنّ فقدان الأب قد خلّف حالة فراغ رهيبة لدى الطفل، فهذا الولد في القصة لا يتذكر حتّى وجهه، ومما لاشك فيه أنّ أي افتقاد أو نقص في الرعاية الأسرية سواء من طرف الأب أو الأم قد يؤدي إلى عرقلة نمو واضطراب شخصية الطفل، وظهور مشاكل سلوكية لديه، فمصطلح افتقاد الأب يعني:«افتقاد العلاقة الحميمة بين الطفل وأبيه، وغياب دوره يمثّل غياب السلطة، وهذا ما ينتج درجات مختلفة من الحرمان العاطفي، والذي بدوره يشكّل خطورة على نمو الطفل، ويهدّد وحدته المستقبلية وكيانه.» [4]

وتعتبر ظاهرة غياب الأب في مرحلة الطفولة، سواء أكان هذا الغياب غيابا ماديا بالوفاة، أو غيابا معنويا – لسفر طويل أو استخدام العنف مع الأبناء- ظاهرة شائعة في مجتمعنا، وهو ما تؤكّده معظم القصص الجزائرية. والذي يعوّض هذا الفراغ الذي تركه غياب الأب هو بلا شك الأم، فهي الشخصية الأولى التي تتكفل به، لكنّ العم –أخ الأب- هو الذي قد يتكفل به أحيانا كذلك، يقول الطفل اعمر:« قال لي عمي مح- اعلي : - "ارواح في حجري، أباك كان راجل يا اعمر يا وليدي، ربي ادّى روحه للجنة ". بدأ يمسح على رأسي وشعري بكفيه الخشنتين، نظرت إلى مدخل الحجرة، التي كان أبي ممدودا فيها وسمعت الكبار يتكلمون عن الفاس والشموع والكفن والطّلبة الذين سيرتلون القرآن في العشية.» [5]

---

[1] - عمار بلحسن، الأصوات، ص152.

[2] - المصدر نفسه، ص154.

[3] - المصدر نفسه، ص153.

[4] - عبد الرحيم صالح عبد الله، الكفالة النفسية للمكتئب، دار العلم للملايين، دط، دب، 2001م، ص155.

[5] - عمار بلحسن، الأصوات، ص151.

إنّ القصة هنا ترصد بشكل واضح الطقوس التي تتبع الوفاة، والتي تساهم بقسط وافر في بلورة فكرة الموت، وهذه الطقوس«أكثر إثارة وبعثا على الحزن والحداد. والطفل – في كنف هذه الطقوس- يصبح مغتما بظروف الوفاة وبمدى بشاعة الحدث ومعاناة المفجوع أو اللغز الذي يطوّق الجثة. والألم والحزن الذي تعبّر عنه النساء بصعب، وكذا النّواح الذي يفجّر هؤلاء النسوة وهنّ يبثثن آخر حسرة على الفقيد العزيز، الدم المترشح على خدودهن المخدوشة، خدود مجروحة قد غرزت بأظافرهن، كل هذه الأمور تصدم بعنف نفس الطفل الفتيّة. ثم تأتي بعد ذلك الطقوس الروحية التي تتبع الموت والتي تكشف له بأنّ عليه أن يتحرك في وضعية انتقالية ولبداية، ولممّر يوجد فيه الطابع المأساوي ملطّفا نوعا ما.» [1]

وتتكرّر ظاهرة فقدان الأب في قصة **"حداد النوارس البيضاء" لمصطفى فاسي"** حيث تبحث الطّفلة اليتيمة"نورة""سبع سنوات"عن أبيها الذي غاب منذ أن قام الجنود الفرنسيون بمهاجمة بيوتهم وطردهم منها، وقد كانوا كما تصفهم الأم لابنتها«يضعون على رؤوسهم قبعات بشعة ويحملون في أيديهم أشياء للقتل، هؤلاء أخرجوكم يوما من منزلكم ورموكم خارجه أتذكرين يا نورة؟ كنت صغيرة وما زلت صغيرة، لكنّه يوم شيّب حتّى الرضع، الطائرات كانت تشوه روعة السماء، وصفير الرصاص كان يحجب أصوات العصافير، وتشبث كل الناس بحيطان منازلهم، لكن جاء أناس وانتزعوهم منها. في ذاك اليوم غاب أبوك، أنت لا تذكرين كيف غاب أبوك، ومنذ ذلك اليوم صرت تخرجين من الخيمة كل ضحى أنت وأمك حين تكون صورة منزلكم هناك وراء النهر واضحة وجميلة تحت الشمس المنعكسة.»[2] ومنذ ذلك الحين أصبحت الخيمة هي مأواهم الوحيد بدل منزلهم المسلوب الذي حطمه الفرنسيون بقنابل طائراتهم.

وقد رمز في هذه القصة للعدو بصورة الذئب والغول، قالت الأم لابنتها:«لا تذهبي إلى النهر، النهر مخيف يا نورة فيه الذئاب وفيه الغول.» [3] ذلك أنّ العدو يشبه الذئب في كثير من الصفات كالمكر والتوحّش والخداع، كما يشبه الغول – وقد كان الغول قديما اسما خياليا تخوّف به الجدّة أحفادها – فأصبح يرمز للبطش، وفي بعث الرعب والهلع في نفوس الأطفال الأبرياء الذين لا دخل لهم سوى أنّهم خلقوا في هذا الجوّ الرهيب المتّقد، المليء بالمآسي والأحزان.

---

[1] - بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، ص122 نقلا عن Zerdoumi(Nefissa) : Enfants d´Hier¸l´Education de l´Enfant en Milieu Traditionnel Algérien¸ Français¸ Maspero¸ Paris1979¸ p282 .

[2] - مصطفى فاسي،حداد النوارس البيضاء:رجل الدارين، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر،2007م، ص137.

[3] - المصدر نفسه، ص135.

وتصف نورة تلك الحادثة الشنيعة التي ألمت بها وبقريتها قائلة:«كان أبي يتكلم عندما فاجأنا أناس يلبسون لباسا موحدا ويضعون على رؤوسهم قبعات حديدية، أخذوا أبي معهم كنت عند ذلك أبكي، أردت أن أتبع أبي لكنهم منعوني.»[1] فما من حيلة لدى الطفل في مواقف كهذه سوى البكاء، خوفا وهلعا، ويا ليت البكاء ينفع. إنّها صورة من صور معاناة أطفال الجزائر جراء فقدان أب الأسرة، وما عانوه من آلام جسدية ونفسية على يد المستعمر خلال الثورة، فقد قام الفرنسيون بممارسات أليمة ومجازر مريعة ضد الجزائريين كان لها الأثر الأليم على نفسية الأطفال بالخصوص، حيث عمد المستعمر إلى«أن تشوه الوجوه الجميلة ويمثل بالجثث وتبقر بطون الحوامل، وييتم الصغار، ويُنكل بالغواني والمحصنات، ويقتل الناس بالجملة، وتُقوض القرى والمداشر عن آخرها، وتخرب المدارس والمعاهد العلمية، وتُحطم المتاجر، وينهب ما بها، وكل ذلك بطريقة وحشية، تأباها الأخلاق وترفضها الأعراف والقوانين الدولية؟!»[2]

وإذا كان فقدان الطفلين في القصتين السابقتين مقتصرا على أحد الوالدين فقط والمتمثل في الأب، فإنّ "صالح" في قصة "**اليتيم – أو- البحث عن الأب" لأحمد الطيب معاش،** يفقد والديه معا، ويعيش مغامرة البحث عن الأب لأنّه لم يتأكد من وفاته. وعنوان القصة يوحي مباشرة على وجود حالة فقدان أو فراغ تركه غياب الأب، فلجأ اليتيم جرّاء ذلك إلى البحث عن الشيء المفقود علّه ينفي عنه صفة اليتم.

فالقصة تطرح حياة صبي فقد أمه أيام الثورة وهو«لا يتجاوز العاشرة إلاّ بقليل، نحيل القوام، ضعيف البنية، غائر العينين، ينتعل قطعتين من بقايا دواليب (ميشلان) .. ويتلفع ببقايا برنس نسجته له المرحومة والدته منذ سنوات قبل أن تفارق الحياة بصحبة رفيقات لها كن يحتطبن في الجبل، ويحدثن بعضهن عما سيطبخن لأطفالهن على نار تلك الحطبات.. ففاجأتهن طائرة العدو، وفي لمح البصر دفنتهن تحت رزم الحطب والصخور التي احتمين بها.»[3] يظهر من خلال هذا النص أنّ صالحا فقد أمه التي استشهدت من أجل أطفالها الصغار، وهو في سن صغيرة، أيّام الثورة التحريرية، بفعل بطش المستعمر الغاشم أو بالأصح المستدمر الذي دمّر كل شيء، والذي لا يفرّق بين صغير أو كبير، أو بين نسوة أو شيوخ، فالكل سيان.

---

1 - مصطفى فاسي،رجل الدارين، ص139.

2 - مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي1954-1962، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1998م، ص126.

3 - أحمد الطيب معاش، اليتيم-أو- البحث عن الأب: شموع لا تريد الانطفاء، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1990م، ص147.

إنّ الطفل في هذه القصة يعيش حياة البؤس والحرمان، فهو حزين، فقد أمه على يد المستعمر، والأم هنا رمز للأرض، فيصبح ضياعان متوافقين: ضياع الأرض، وضياع الأم، فقد ذهب وضاع كل شيء والسبب الذي كان وراء ذلك هو المستعمر.

ولكن مع الموت والفقد تولد الحياة أيضا، ويطلّ المستقبل ممثلا في قدوم الطفل ورغبته في أن يصير مجاهدا ويسترد وطنه الضائع، فراح يبحث عن أبيه المجاهد/ الشهيد الذي«يعتبر في حكم الأموات، إذ لم يسمع عنه شيئا منذ أن رآه ذات ليلة منذ سنوات خلت، وهو يختلس قبلة محتشمة من زوجته ويودّعها قائلا لها(لا تخبري الأطفال فإني ملتحق بالمجاهدين، لأنّ الثورة جد وليست بالهزل، وإخواننا أبناء المدن زحفوا على الجبال من كل مكان فكيف بنا نحن سكان الجبال).. فأجابته أم الأطفال:(والأطفال؟ والعنيزات والشويهات؟وبيتك وأهل بيتك؟) فأجابها بكلمة حفظها منذ الصغر:(للبيت رب يحميه) كما أنني رتبت الأمر مع شقيقك (محمد) وهو من الذين لا يقصرون.. ثم خرج مسرعا ومن حينها لم يعد.»[1]

وبعد مغادرة الأب البيت والتحاقه بالمجاهدين ثم وفاة الأم، أضحى صالح وإخوته الصغار يتامى يعانون من الحرمان العاطفي، وهم لا يزالون في أمس الحاجة إلى عطف وحنان الأب والأم، ويظل لهذا الحرمان أثره السلبي على النمو والصحة النفسية للطفل، وتوضح الدراسات أنّه كلما طالت مدة الحرمان زاد تأخر نمو الطفل، وظهور بعض الاضطرابات النفسية كالقلق والخوف... [2]

وبفقدان الأم والأب يبدأ أيضا احتراق مراحل الطفولة، وتكبر هموم الطفل، وتُحوّل المأساة الطفل "صالح" إلى رجل قبل الأوان، وتسرق منه طفولته وبراءته، وتبدأ رحلة التشرد والبحث عن الأب، إذ أخذ صالح«من حين لآخر يحاول أن يفعل ما يفعله الرجال، خاصة وأنّه فعلا كان يتصرف تصرف الكبار، فصار يتقصى أخبار المجاهدين ويسأل عنهم: أين يقيمون؟ وفي أية قرية ينامون؟ ومن أي شعاب يمرون؟ وماذا يلبسون وماذا يأكلون ويشربون؟»[3]ولمّا اكتملت وتجمعت لديه المعلومات اللازمة عن المجاهدين، فرّ من بيت خاله الذي تولّى حضانته مع إخوته، متّجها إلى الجبال الوعرة أين يقبع المجاهدون، وبعد جهد مرير ورحلة مضنية وصل إلى مخبأ المجاهدين، وراح يسألهم عن مكان أبيه، ويخبرهم أنّه يريد أن يصبح مجاهدا مثل أبيه ويعمل معهم، وحين يقابل(الشاف) يخبره بأنّ أباه في مكان

[1] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص147.

[2] - ينظر: عبد الرحيم صالح عبد الله، الكفالة النفسية للمكتئب، ص155.

[3] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص147،148.

بعيد يصعب الوصول إليه، فقد انتقل إلى بلاد القبائل، البعيدة جدا عن مناطق الغرب، فضلا عن وجود قوّات الاستعمار في كل ممر وكل قرية وكل مركز للعدو يفصل بين الولايات.

وبعد انتهاء الشاف(قائد المجاهدين) من الحديث معه«كاد الصبي يفهم – وهو الذكي- بأنّ أمرا ما قد حدث لوالده، ولكنّه مع ذلك قال لـ (الشاف): ولماذا لم يبق هنا ليجاهد معكم بالقرب منا حتّى نراه على الأقل من حين لآخر كما يراكم أنتم أطفالكم وأحبابكم؟»[1] فأجابه بأنها طبيعة عملهم، بحيث يرسل كل واحد منهم إلى منطقة غير منطقته حتى لا تؤثر فيه العواطف، وحتّى لا يضعف أمام المؤثرات العائلية أو المصلحة الشخصية.[2]

ولمّا تأكّد الصبي بأنّه لا جدوى من بقائه مع هؤلاء المجاهدين، لأنّهم لن يساعدوه في الوصول إلى أبيه، قرّر في صباح اليوم التالي الفرار مرة أخرى، والاعتماد على نفسه في ذلك، وبينما كان يمشي في الغابة، التقى بطفل يقاربه في السن كان يرعى بعض العنزات يسمى "لونيس"، والذي يصطحبه إلى منزلهم، وكان هو الآخر يتيم الأب، استشهد أبوه في أحد مراكز الاعتقال، فقصّ صالح على صديقه الجديد قصة بحثه عن أبيه، ليخبره كذلك بأنّه لا يستطيع مرافقته إلى بلاد القبائل كونه هو المسؤول الوحيد عن عائلته ومكلّف برعي العنزات التي هي مصدر رزقهم الوحيد. وفي الليل عاد الولدان معا إلى البيت وأدخلا العنزات إلى الزريبة وربطا أمامها كلب الحراسة، وولجا البيت الذي لا يختلف كثيرا عن الزريبة« ففوجئت الأم بالطفل الضيف كما فرحت به وأخبرها ابنها عن قصته واستماتته في البحث عن أبيه، فتذكرت زوجها الشهيد وبللت خدي الصبي بدموعها، مما ذكره بدموعه في الصباح، فمسح دموعها بأصابعه الصغيرة وهو يقول لها: فعلا أن البكاء من طبع النساء، وإن كنت قد حرمت من دموع أمي ومن بسماتها أيضا من زمان فها أني أتذكر دموعها على مسارب وجهك يا عمتي.. فتجهش العمة في البكاء أكثر وتكاد تنتحب، وهنا يبكي الطفلان أيضا لبكائها ويأتي بقية الصبية فيبكون.» [3]

وتمضي عدة أيّام على الطفل صالح وهو برفقة صديقه لونيس الذي كان له نعم الأنيس والرفيق. إلاّ أنّه في أحد الأيام يتذكر بلاد القبائل، ويلحّ عليه الشوق والحنين لوالده، فيدلّه صديقه على الطريق الموصلة إلى مقصده، بأن يتّجه أولا إلى مدينة باتنة ثمّ تيزي وزو وعندما«يصل إلى (باليسترو) أي الأخضرية، يبدأ في السؤال عن والده، لأنّ الأخضرية – أي باليسترو- هي من أكبر معاقل الثورة في

---

[1] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص149،150.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص150.

[3] - المصدر نفسه، ص153.

المنطقة وفيها كثير من مراكز المجاهدين، فيشكره صالح على ذلك.» [1] ويصل إلى المدينة ويتعرّف على أحد الأطفال الذين يبيعون الكاوكاو في شوارعها، وسرعان ما تربطهما صداقة حميمة، إذ«كانت الطفولة ولا تزال هي أخصب ميدان للصداقة السريعة الخالية من كل غرض أو طمع أو منفعة.» [2] ويبقى صالح مع صديقه الجديد يبيع الكاوكاو، ويظلّ يبحث عن أبيه حتّى وهو يعرض بضاعته ويغنّي: « قرمش تزهى بطل تنعس.»[3] وتستمر معاناة البحث عن الأب« ذلك أنّه لا يعرف أنّه يتيم.. أو بالأحرى لا يريد أن يعرف أنّه يتيم.» [4] إنّه شوق الأبوة، فالطفل لا يشعر بالسرور ولا بطعم الحياة إذا افتقد أباه.

## 2-2- الطّفل الفقير الجائع:

قبل أن نخوض في الحديث عن القصص الجزائرية التي صوّرت ظاهرة الفقر لدى الأطفال، لابدّ لنا من الوقوف عند مصطلح الفقر، فماذا نعني به؟

***مفهوم الفقر**:

أ- **لغة**:« فَقُرَ: الفَقر والفُقر ضد الغنى، والفقر لغة الرديئة، الفقير الذي لا شيء له، والفقر: الحاجة وفعله الافتقار، والنعت: فقير.» [5]

**ب- اصطلاحا**: تتعدّد تعاريف الفقر وفقا لوجهات النظر نحو هذه الظاهرة، إلاّ أنّ أهم المفاهيم هو ذلك الذي يشير إلى أنّ الفقر هو«حالة من الحرمان المادي، تنعكس سماته بانخفاض الاحتياجات الأساسية من الغذاء وما يرتبط به من تدني الحالة الصحية والتعليمية، وتدني المتطلبات السكنية عن مستواها الملائم، فضلا عن فقدان الأصول الثابتة، سواء المتعلقة منها بالمتطلبات الحياتية أو تلك المولدة للدخل.»[6]

وبالرغم من الوضوح الذي يبدو في هذا التعريف، إلاّ أنّ الغموض أو التعقيد يرتبط بكيفية قياس هذا الفقر، وما هي المعايير التي اعتمدت للقياس، ومن ثم تحديد الفاصل الذي يعد بعده الفرد فقيرا. لكن

---

1 - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص154.

2 - المصدر نفسه، ص155.

3 - المصدر نفسه، والصفحة.

4 - المصدر نفسه، والصفحة.

5 - ابن منظور، لسان العرب، مج12، ص60.

6 - بلقاسم سلاطنية، سامية حميدي، العنف والفقر في المجتمع الجزائري، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2008م، ص120.

يمكننا بصفة عامة تعريف الفرد الفقير بأنّه«الفرد الذي يعجز عن إشباع احتياجاته الضرورية من الغذاء والكساء.»[1]

وثمّة مقولة ترى«أن وقع التخلف – في المجتمعات المتخلفة – على الرجل كبير، وعلى المرأة أكبر، ذلك لأن المرأة تعاني مرتين: مرة من تخلف المجتمع نفسه، ومرة من تخلف الرجل عليها، لكن وقع التخلف على الطفل يكون أكبر من وقعه على الرجل والمرأة، ذلك لأن الطفل يقع عليه تخلف المجتمع وتخلف المرأة مجتمعين.»[2] وهنا لا يأخذ الطفل معنى البراءة، وإنّما معنى الشقاء والحرمان. إنّه ببساطة يحمل معنى الفقدان، والفقدان سمح لهذا الطفل بأن يظهر في الواقع كفرد يعاني من الفقر، والضياع، والتشرد، والمرض، وأحيانا الموت.

إنّ المجتمع الجزائري – سواء في فترة الاستعمار أو ما بعد الاستقلال- ظلّ يئن من كابوس الجوع والفقر، من«غلاء المعيشة... مستلزمات الحياة فاقت طاقة الفرد.. أصبح الوضع كابوسا لا يطاق... ما يتقاضاه العامل لا يسدّ الحاجة... الوضع رهيب تخاله كالتنين فاغرا فاه يبغي الابتلاع... والأجير بين المطرقة والسندان.»[3] ولم تستثن الحالة الاجتماعية المزرية هذه حتى الأطفال، الذين يعتبرون الرأسمال لبناء المستقبل، وكانت فئة الأطفال على رأس قائمة الفئات الاجتماعية التي تأثّرت بظاهرة الفقر. وهو ما حاولت بعض القصص الجزائرية التعبير عنه.

وأوّل ملاحظة يمكن أن نقف عندها عند حديثنا عن حضور الطفل الفقير في القصة الجزائرية المعاصرة، هي أنّ معظم القصص- إن لم نقل كلّها- قد احتفت بتصوير الطفل الفقير، وإن ذكرت هذه الصفة (الفقر) كمعلومة جانبية غير محورية في القصة، إلاّ أنّ لها- دائما- تأثيرا على موضوع القصة الرئيسي.

ومن القصص التي كان موضوع الطفل الفقير محورا رئيسا فيها نذكر قصة " **تباريح**" **لبشير خلف**، إذ يدفع شبح الفقر" لطيفة" التي لم تتجاوز سن الثامنة إلى اللجوء للعمل في سن مبكرة، فتضطر إلى تقسيم يومها بين العمل والدراسة، وتحمُّل مصاعب الحياة وقسوتها وحدها، وهي تبيع الأكياس في جوّ شتائي بارد، حيث«مدّت البنية يدها الصغيرة التي ألهبها الصقيع. كانت تمسك بأطراف أصابعها كيسا

---

1 - بلقاسم سلاطنية، سامية حميدي، العنف والفقر في المجتمع الجزائري، ص74.

2 - منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، ص201.

3 - بلقاسم الأطرش، الطفل الكبرياء: الإعصار... والأمل، دار هومه، دط، الجزائر، دت، ص35.

أسود تلوّح به يمينا يسارا.. أعلى أسفل.»[1] كانت حالتها تنبئ على عيشها الصعب، وذلك هو الذي كان «يدفعها إلى امتهان البيع في هذه السن وهي طرية العود؟ كيف توفّق بين هذا والدراسة؟»[2]

إنّ الدافع الوحيد لامتهان الطفل البيع أو غيره من الأعمال الشاقة هو شبح الفقر وخطره، فقد اختارت لطيفة بيع الأكياس من أجل تأمين لقمة الخبز لأسرتها، بينما اختارت الدراسة فلربما تصبح طبيبة تعالج أمها المريضة:«أنا أدرس حتّى أتعلّم ولمّا أكبر أعمل لأعالج أمي المريضة. أبيع الأكياس حتى أشتري الخبز لإخوتي الصغار.» [3]

وتلجأ الأم في قصة " **طفلة في الميلاد**" **لزليخة السعودي** إلى العمل طوال اليوم، علّها توفّر كسرة خبز تسكت بها صراخ ابنتها الجائعة، فتظلّ الأم« كعادتها تائهة في حس "المكينة" تدير عليها قطعا من ثياب الجيران الذين رأفوا بها فعهدوا إليها بملابسهم تخيطها تقيّم بثمنها وأدها ووأد الصغيرة التي جاءت بها إلى الحياة وأبوها يلفظ آخر أنفاسه.. وهي تقاوم أوجاعها لتنظر إليه نظرة الوداع الأخيرة.. وأسلم الروح إلى خالقها.. وأسلمت طفلتها للوجود.. وقاومت لأجلها كل ما لقيت من عقبات ومشاكل.»[4]

ومن هنا تبدأ معاناتها على جميع المستويات المادي والنفسي والاجتماعي، مع معاناة الابنة، لذا تختار الأم حياة الصراع مع الواقع المتأزّم ومواجهة مصاعبه، لأجل ابنتها الوحيدة.

وقد تعدّدت المفردات المستعملة الدالة على حالة الفقر لدى هذه الأسرة الصغيرة مثل: المسكينة، رأفوا، وأد، الخروق، المخزية، كسرة خبز، ممزق، قاومت... كلّها تصبّ في حقل دلالي واحد هو المعاناة.

وكثيرا ما أثّر الجوع على الأطفال، وكان سبب هزال أجسامهم، بل أحيانا أغمي عليهم، وكان سبب معاناتهم في دراستهم، وهذه الصورة نجدها في قصة "**الطفل الكبرياء**" **لبلقاسم الأطرش**"، حيث أغمي على الطفل "باسم" في قاعة الدراسة بسبب الجوع، ولأنّ هذا الطّفل يتمتّع كالكبار بعزة النفس والأنفة والإباء، فقد دفعه كبرياؤه إلى عدم التصريح بفقره أو احتياجه إلى عطف وشفقة الآخرين، والتكتم عن أستاذه ورفاقه في المدرسة عن سبب إغمائه، وعدم البوح بأنّه لم يذق وجبة الفطور ذاك الصباح وأنّ

---

[1] - بشير خلف، تباريح: ظلال بلا أجساد، دار الكتاب العربي، دط، الجزائر، 2007م، ص109.

[2] - المصدر نفسه، ص112.

[3] - المصدر نفسه، ص116.

[4] - شريبط أحمد شريبط، الآثار الأدبية الكاملة للأديبة زليخة السعودي 1943 -1972، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2009م، ص139.

الجوع هو سبب سقوطه و« وجهه مصفر وممتقع.. تخاله كحبة ليمون.» [1] لأنّه لم يذق هو وأسرته الطعام منذ ثلاثة أيام، ويتجلّى البؤس والحرمان بكلّ معانيه ومفرداته في هذه الأسرة.

ولقد أصبح الفقر محل اهتمام المنظمات العالمية لأنه أصبح يُسبب مشكلات الصحة العالمية التي تصيب عديدا من أفراد المجتمع،«ولسوء التغذية أثار كبيرة وضارة على الأطفال، وقد وصل الأطفال دون سن الخامسة والذين يعانون من أمراض سوء التغذية الحادة إلى 10ملايين طفل عام 1981، أما من يعانون من سوء التغذية بشكل حاد فبلغ عددهم 40مليون طفل في العالم أي 20% من أطفال العالم.»[2]

وكنتيجة حتمية أولى يفرضها انتشار ظاهرة الفقر استفحال ظاهرة أخرى أكثر مساسا بالطفل هي ظاهرة أو أزمة الجوع. وقد جسّدت القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة الطفل الفقير الجائع الذي يكد من أجل لقمة العيش، والذي يساعد أباه من أجل تأمين لقمة الخبز، والحصول على العيش الكريم، فرغم صغر سنه فهو يمارس الأعمال التي يمارسها الكبار، إنّه مشغول كالكبار بسعيه وراء لقمة العيش، وقصة "**موسم الجوع**" للقاص "**محمد شنوفي**" تصوّر معاناة الرجل العجوز صحبة ابنه إبراهيم، وهما يصارعان مأساة الجوع، يتحدث الطفل عن حالة الفقر التي يعيشها بقوله:« الجوع يأكل أمعائي وليس في بيتنا، عادة، ما يؤكل في مثل هذا الوقت. تركت حلقة الأطفال في ساحة العم.. وعرجت على جنان لوز لنا. صعدت شجرة. حبات من اللوز ثقيلة، لذيذة تشد من جوعي.»[3]

وهذه الوضعية – الجوع - نتيجة حتمية خلقها الاستعمار الفرنسي في الجزائر الذي نهب ثروتها الزراعية وجعل أبناء الجزائر يعانون الفقر الشديد، ما أدى بالمزارعين – ومنهم أبو إبراهيم- إلى الحصاد ليلا رفقة ابنه الصغير قائلا:«لا يمكن الانتظار أكثر فموسم الحصاد يوشك أن ينتهي ولم أقطع سنبلة واحدة.. كثير من الفلاحين يحصدون بالليل! (...) نحصد ساعة كل ليلة.. يذهب معي إبراهيم، يجمع من حولي الأغمار ويخفيها أمامي في الزرع فلا حيلة في نقله، آذان الليل مرهفة ثم أين نضعه من العساكر التي تفتشنا كل يوم؟ لم يطل سهرنا، نظر أبي في ساعته ودفع بي إلى الفراش: اذهب فارتح قليلا! .. لم يكن بي تعب ولا نعاس. وملأني قلق مفاجئ! ربما لأول مرة أحس بخطر حقيقي على حياة أبي...»[4]

---

[1] - بلقاسم الأطرش، الإعصار... والأمل، ص35.

[2] - محمد مصطفى أحمد، الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية المعوقين، ص94.

[3] - محمد شنوفي، موسم الجوع: حين يعلو البحر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1985م، ص53.

[4] - المصدر نفسه، ص54.

ثم يواصل الطفل قائلا:« كان أبي ينتظرني.. وكنت لا أريد أن أنتزع فجان القهوة من بين شفتي، أريد أن أستمتع مدة أطول بالدفء والأمن. وتغلب حيائي على خوفي فتركته.»[1] وقد كان الأب هو الآخر تعبانا، منهك القوى، إلاّ أنّ«شبح الجوع كان في رأسه أكثر فزعا من الموت نفسه.»[2] والأدهى من ذلك أنّ التربة لم تكن جيّدة ولا المحصول كذلك. وما زاد في بؤس الناس هؤلاء جميعا«أنّ آليات العدو تمر كل يوم في الحقول، عمدا، ملحقة بها أضرارا لا تعوض، والحق أنهم كانوا يدوسون على قلوب الناس.»[3] وكانوا يقومون بحرق المزارع والبساتين، هذا عدا ما اقترفوه من مجازر في حق المواطنين الجزائري، وحرمانهم من أراضيهم وخيراتها،«فالأرض هي رمز بقاء وعزّة، وهي حلقة وصل العشيرة، واغتصابها معناه سحق لكل هذا، فضلا عن التشريد والفقر اللذين يعاني منهما من اغتُصبت أرضه وهجّر منها.»[4]

وتبدو صورة الطفل هنا ذات طابع واقعي اجتماعي تراجيدي يصدر عن رؤية إنسانية اتجاه ما يعانيه الابن في عمله اليومي من أجل الحفاظ على كرامة الذات وشرف الأسرة، وهو الأمر الذي يعانيه الأب كذلك ويكدّر صفوه، من خلال قوله لابنه:«أنا لا أخاف على نفسي ولكني أخاف عليكم بعدي!، ولم يضف شيئا، ربما تنبه إلى أنّ هذا الكلام أكبر مني أو هو يقال في غير ساعته.» [5]

وتدفع أزمة الجوع الطفل حميمد أيضا إلى العمل في سن مبكرة كما هو في قصة "**حميمد.. بيّاع الكاوكاو**" الذي يدور الشوارع وهو ينادي:«- كاكاو.. أيا كاوكاو سخون! »[6] وهو يكابد«البرد القاسي الذي يفتت العظم، وينغز اللحم.»[7] ويتّجه حميمد دائما ككل يوم إلى إحدى الحانات ليبيع سلعته، لكنّ رب الحانة يطرده ويصرخ معه، ثمّ « يخرج ذليلا.. البرد.. البرد..البرد.. ولا بد له أن يبيع.. أمه تنتظر قرني الخبز.. يحس بالجرح والوحدة.. وسط شوارع هذا العالم.. آه من هذه المدينة يا حميمد!»[8]

ويرمز صاحب الحانة إلى الظلم وقساوة القلب، بحيث يطرد الطفل العامل "بيّاع الكاوكاو"– إن صحّ التعبير - من باب الرزق الحلال، ويطلب منه المال، إنّه الجشع والطمع في اللآشيء.

---

[1] - محمد شنوفي، حين يعلو البحر، ص55.
[2] - المصدر نفسه، والصفحة.
[3] - المصدر نفسه، ص54.
[4] - نور سلمان، الأدب الجزائري(في رحاب الرفض والتحرير)، دار العلم للملايين، دط، بيروت، لبنان، دت، ص27.
[5] - محمد شنوفي، حين يعلو البحر، ص55،56.
[6] - عمار بلحسن، الأصوات، ص189.
[7] - المصدر نفسه، والصفحة.
[8] - المصدر نفسه، ص190.

ولمّا كان حميمد«عند باب الحانة.. يحسّ بالغصّة: " يما.. يا يما.. الزمان.. ذئب ! "يتذكر.. سخرية أولاد الحارة : -حميمد ! حميمد.. بائع الكاكاو.. وأمّه.. يحس بالغصة.. يحمل طبقه.. ينادي: - كاوكاو.. أيا كاوكاو.. سخون ! يظهر رب الحانة.. صارخا: - كم من مرة قلت لكم.. زد فيه.. يا ولد.. القحبة.» [(1)] وتملأ الغصّة قلب حميمد، ولا يتحمّل سخرية أولاد الحارة منه ولا شتم رب الحانة له، ما يضطره إلى أن«يمسك قنينة.. يتجه صوب رب الحانة.. ثم.. لم يعرف كيف.. الدم.. الدم.. الدم.. وجهه.. الدم.. الدم.. يهرب.. يمسكونه.. الحانة تختلط. تأتي الشرطة.. تهزه.. إلى المركز.. يغيب داخل جوف السيارة السوداء.. ثم.. تنهمر دموع السماء مطرا على المدينة الهمجية! »[(2)]

هكذا يتألم حميمد من قسوة البرد ومرارة الحياة، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، كل ذلك من أجل توفير لقمة العيش لأمه المريضة التي ضحّت بشرفها مقابل لقمة خبز، عن طريق بيع الجسد والارتماء في أحضان الدعارة، والتي كانت تقول له كل مساء«وهو تحت اللحاف البارد.. الرطب:

- صرت رجلا يا حميمد! »[(3)]

ولعل هذه الصور تبيّن نظرة العالم العربي والمجتمع الجزائري كذلك إلى الطفل القائمة على« فكرة أنّه "رجل صغير"، فرغم أن الدراسات العلمية صححت هذا المفهوم، إلاّ أن اعتقادنا لا يزال قائما على هذه النظرة.» [(4)] ويعني هذا أنّه يجب توفير الجو الملائم الذي يساعد الطفل على الحياة كطفل لا كرجل، كرجل، ويجب أن تكون هذه الحياة غنية نشيطة سعيدة في مرحلة الطفولة، ليكون مستعدا بعدها لحياة الراشدين والكبار بجدارة ودون مشاكل.

ونستخلص هنا أنّ إهمال الوالدين – أب ميت وأم مريضة- أدّى إلى انحراف الطفل وارتكابه جريمة بشعة في حق المجتمع، وأنّ شدّة الجوع وسوء المعاملة يبرّران لجوء الطفل إلى القوّة والقتل، أي أنّ الغاية تبرّر الوسيلة.

ويسبّب الفقر مرة أخرى مشكلة الخبز أو الجوع في قصة " **الذيب" لـ أحمد منّور**، حيث يرمز المؤلِّف عن طريق الحيوان إلى الإنسان أو بالأحرى إلى الطفل اليتيم المسمّى "الذيب"، وتأتي القصة على لسان الطفل ذاته«اسمي الذيب، والكل يناديني بهذا الاسم، وأهل الحي كلهم يكرهونني ويخافون منّي إلاّ الكلاب والقطط. مع أني لم أكن أكره أحدا، وكنت صغير السن نحيل الجسم، لا قدرة لي إلا على الخطف

---

[1] - عمار بلحسن، الأصوات، ص191.

[2] - المصدر نفسه، ص191،192.

[3] - المصدر نفسه، ص191.

[4] - سليمة عكروش، صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر، ص6.

والجري. كانت الشوارع تتعب من رجلي ولا تتعب رجلاي من الشوارع (...) لقد ورثت من الذيب كل صفاته – ما عدا أكل لحم البشر - ولكن بطني دائما جوعان.» (1)

فصورة الذئب تعني الهيئة التي كان عليها الطفل، والتي أوحت عن حالته، فالذئب هنا جاء تعبيرا عن هيئة وحالة غير عادية. وشخصية الذيب/ الطفل تمتاز بالخفة وسرعة الجري، ونراه يسطو على غيره للحصول على الخبز«وجدت نفسي مرة أخرى – دون أن أشعر - أمام مخبزة الحاج صوفة، أنظر إلى الخبز بشهية، وأغمز له بعيني...وفكرت، لا بدّ من حيلة أحصل بها على الخبز... ووجدتها. فتقدمت ويدي تشير إلى رجل منضدة الخبز. عمي الحاج..هناك ورقة نقدية مرمية على الأرض. ولخوفه مني على الورقة النقدية، دس رأسه بسرعة تحت المنضدة، وراح يبحث في لهفة وقد صدق قولي، وبسرعة الذئب اختطفت خبزة سمينة، وانطلقت أعدو في الشارع.» (2)

فالربط بين الإنسان والحيوان هو رمز للإنسان المشرّد مثل الذئب أو الكلب الجائع الضال، فكلاهما يبحث عن رزقه بطريقة لا تكاد تختلف سوى في أنّ ما يأتيه الإنسان يعدّ سرقة، بينما ما يفعله الحيوان لا يسمّى كذلك. أمّا صاحب المخبزة "الحاج صوفة" فيرمز إلى الجشع وإلى قسوة القلب، بحيث يرضى بأن يدفع بهذا الصبي الصغير إلى السجن بسبب كسرة خبز، فما بالك لو كانت قطعة لحم مثلا؟ يحدثنا الذيب/ الطفل عن قساوة الخبّاز قائلا:«بينما كنت منشغلا بأكل الخبز وتوزيعه، إذا بقبضة قوية تمسك بذراعي، وإذا بأخرى تنزل على وجهي، قوية عنيفة، كادت تفقدني وعيي، كانت قبضة الحاج صوفة طايرة. - أتخطف مني الخبز لتوزعه على الكلاب والقطط يا بن الحرام، قسما بالله لتدفعن ثمنه سجنا، هيا معي إلى الشرطة. لم أشأ أن أتوسل أو أقاوم، فقادني ذليلا مهانا.» (3) فالطفل رؤوف لطيف حتى على الحيوان ببراءته، فقد كان يوزّع الخبز الذي يسرقه من الآخرين على القطط والكلاب الذين يعيش معهم، فهذه هي حالة الشارع وحياة التشرد.

والتشرّد هنا موت معنوي آخر يمثل اللآوجود للطفل داخل زحم الحياة الظالمة، حيث لا بيت ولا مأوى، وفي هذه القصة يفقد الطفل حصنه المنيع"بيته" بعد وفاة أمه وعمره لا يتجاوز الثالثة عشر، ليفقد معه ألفة العيش في البيت، فتتحوّل هذه الألفة وهذا الحصن إلى فضاء مكشوف يتعرّى فيه الطفل ويحسّ بتميّزه عن الآخرين، وهو ما يتجلّى من خلال هذا الحوار بين الذيب/ الطفل والشرطي:

---

1 - أحمد منّور، الذيب: الصّداع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1979م، ص11.

2 - المصدر نفسه، ص13.

3 - المصدر نفسه، ص14.

« - أين تسكن؟

- ليس لي سكن.

- أنت تكذب عليّ؟

- أؤكد لك يا سيدي، ليس لي سكن.

- هل لك أهل؟

- بعدما ماتت أمي منذ ثلاث سنوات، لم يبق لي أهل.

(...) لماذا اختطفت الخبز؟

- لأنني كنت جوعان.

وهزّ الضابط رأسه، وأشار لمساعده قائلا: - أحجزه حتّى نبحث في أمره.»[1]

فرضي الطفل بالسجن، لكنّه في الواقع رضي به مرغما لأنّه جائع، ومادام الخبز متوفّرا في السجن فليذهب إليه«إذن أفضل أن أبقى في السجن مادام الخبز متوفرا.»[2]

وفي هذه القصة تتبدّى صورة الطفل معذّبة مؤرّقة، فالصورة ترتكز على فكرة "الطفل" الذي فقد الأهل والذي يواجه مصاعب الحياة وقسوتها بلا نصير، فيلجأ إلى السرقة للحصول على قوته، وللحفاظ على الحياة، فيتعرّض بسبب ذلك لأشد أنواع القسوة "الضّرب، السّجن". وتحمل القصة دلالة أخرى هي السخط على أولئك الذين لا يرحمون مثل هذا الطفل المحتاج، فالقصة تثير في المتلقين هذا السخط، وتدفع إلى ضرورة الاعتناء بفئة الأطفال التي لا حول لها ولا قوة.

إنّ الطّفل الجائع« قد يسرق ليسدّ الرمق ويشبع دافع الجوع لديه، وتكون السرقة هنا منصبة إمّا على نوع من أنواع الطعام، أو على النقود التي ينفقها لشرائه.» [3]

وقد صوّر القاص" **مرزاق بقطاش**" الطّفل السّارق الذي دفعه الفقر والجوع إلى مدّ يده إلى ما ليس له في قصة "**قطّاع الرجل**"، حيث يقوم الطفل وهو في السوق بسرقة قبضة من الزيتون اشتهى أكلها ولم يكن له ثمن شرائها، فما كان نتيجة ذلك إلاّ أن«تلقى صفعة من صاحب الطاولة.»[4] أسالت الدم من أنفه.

---

[1] - أحمد منّور، الصّداع، ص14،15.

[2] - المصدر نفسه، ص15.

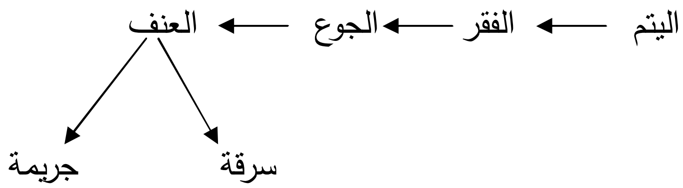
[3] - وفيق صفوت مختار، مشكلات الأطفال السلوكية، الأسباب وطرق العلاج، دار العلم والثقافة، ط1، القاهرة، 1999م، ص144،145.

[4] - مرزاق بقطاش، قطّاع الرجل: كوزه، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م، ص74.

إنّ القصص التي أوردناها سابقا إنّما تصف الحياة الاجتماعية الصعبة والأوضاع الاقتصادية المتردّية التي عاشتها الجزائر سواء في مرحلة الاستعمار كما تبرزه قصة موسم الجوع، وقصة قطّاع الرجل، أو في مرحلة ما بعد الاستقلال إلى اليوم كما يبدو في قصة تباريح، وقصة طفلة في الميلاد، وقصة الطفل الكبرياء، وقصة حميد بيّاع الكاوكاو، وقصة الذيب. إنها قصص تصف السياسة الاستعمارية تجاه الجزائريين، تلك السياسة التي خلّفت انعكاسات سلبية على المجتمع الجزائري، حيث انتشر الفقر والجوع بشكل رهيب، وكان الأطفال الأبرياء الضحية الأولى لهذا الوضع.

وهذا يدلّ على التأثيرات الاقتصادية في الجزائر بفعل الاستعمار، وانعكاسها على الجانب الاجتماعي بعد ذلك، كونها«أدّت إلى انهيار المداخيل لكثير من الفئات والأسر التي أحدثت بدورها انتشار رقعة الفقر حتىّ في صفوف الأطفال الأبرياء، وما سينجرّ عن ذلك من انتشار للعنف بمظاهره المختلفة، نتيجة تعرّض عائلاتهم للبطالة والفقر.»[1] وانتشار الفقر أدى بدوره إلى بروز ظواهر سلبية جديدة، منها العنف في مختلف صوره، بدء بالسرقة، وصولا إلى الجريمة.

وما نستنتجه من خلال هذه القصص أيضا هو وجود علاقة تلازمية بين اليتم، والفقر، والجوع، والعنف ( سرقة/ جريمة )، والتي يمكن تمثيلها في المخطط التالي:




## 2-3- الطّفل المريض والمتهوّر:

عكست القصة الجزائرية المعاصرة مجموعة من الصور الإيجابية والمؤلمة للطفل، وخاصة أولئك الفقراء الذين لا يملكون ما يدفعون به آلامهم، ومن بين هذه الصور الحزينة نجد صورة الطفل المريض، كما في قصة "**وتهب الرّيح...**" لـ"**خثير عبد الكريم**"، وموضوعها طفل صغير يعاني الفقر والمرض معا، فـ«رجله اليسرى، هذه التي جمدت منذ قليل ببطء مصابة بمرض الدوالي حيث يعسر سريان الدم في مجراه إلى أعلى، أين تعاد تصفيته على مستوى قلبه، فيتجمّد ويتجلّط على جدران الأوعية، فتنتفخ لحدّ فظيع.»[2] والطفل لم يكن يعرف ولم يجد من يعلمه«أن هذا الانتفاخ في الأوعية المؤلمة سيزحف إلى

[1] - بلقاسم سلاطنية، سامية حميدي، العنف والفقر في المجتمع الجزائري، ص138.

[2] - خثير عبد الكريم، وتهب الرّيح... : ظن خائب، منشورات أهل القلم، ط1، الجزائر، دت، ص12.

أعلى الفخذ بسهولة، وستصاب الرجل اليمنى بأسهل منه، وأن هذا الضعف في رباط الفقرات سيمتدّ إلى باقي المفاصل، وتحدث الروماتيزم.»[1] وفجأة راح يتلمّس «صدره بظاهر كفّيه الصغيرتين جيّدا في ذهول، وعيناه الضيّقتان مليئتان تيها وحيرة وحزنا ذبيحا بصمت.. نتف شعره.. جذب ثيابه المتلاصقة بجلده.» [2] فعل ذلك بعد أن اكتشف أنّ الورقات الثلاثة التي قدّمها له الطبيب«كانت وصفتين وتحليل دمّ، وصفة دواء للقلب وأخرى للأعصاب والتحليل كان تحليل سكّر، وأن جميع هذه العلل قد سكنت كيانه الصّغير دفعة واحدة.»[3] لقد استسلم للأمر الواقع لأنّه عاجز عن دفع مصاريف العلاج، وقد أصبح قاب قوسين أو أدنى من الموت.

أمّا في قصة "**ولدي يحي**" فيحدثنا القاص "**محمد الصديق معوش**" عن إصرار الطفل المريض (يحي) على اللّعب رغم خطورة مرضه وخطورة ذلك على صحته، ورغم نصائح والديه المتكررة بعدم اللعب، كونه يعاني ضيق التّنفس، فإنه لم يأبه وأصرّ على أن يلعب الكرة في الشارع، فتزداد مخاوف الأم وتتساءل في حيرة:«- كيف لإنسان يعاني ضيق التّنفس يلعب الكرة في هذا الطقس والغبار يملأ الشوارع؟!»[4]

والقصة تصور تهوّر بعض الأطفال وعنادهم وممارستهم ألعابا خطيرة رغم مرضهم، والتي قد تؤدي أحيانا إلى ما لا يحمد عقباه، ومثل هؤلاء بعض المشاغبين الذين يجهلون ما ينجم عن قيامهم ببعض السلوكيات المشينة، فمن هؤلاء الفتى الذي راح مع بعض«الصبية المشاغبين يتسلّقون سور الملعب، ومن حين إلى آخر يتعرّضون لبعض المطاردات من المنظمين... يسقط يحي من على سور الملعب فيتعرّض قدمه إلى وعكة في الكاحل، يكتم أمره عن أهل البيت دفعا للوم والعتاب... تتعاقب الأيام ويزداد الألم حتى ليكاد يعجز عن الحركة.» [5]

فيكتشف الأب ذلك الأمر ويأخذه للطبيب الذي يخبره بخطورة الوضع، والسرعة في إجراء عملية له، كانت نتيجتها فقدان الولد، أي وفاته.

---

[1] - خثير عبد الكريم، ظن خائب، ص12.

[2] - المصدر نفسه، ص13.

[3] - المصدر نفسه، والصفحة.

[4] - بادي عبد الرزاق وآخرون، ولدي يحي: أنين المدينة، مطبعة مزوار للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2007م، ص115.

[5] - المصدر نفسه، ص116.

ومع حلول الصيف وبداية لفحات الحر الملتهبة، وفي غياب بديل، تتحول الكثير من البرك والسدود والأودية إلى أماكن للاستجمام، يجد فيها الأطفال والمراهقون خاصة أبناء القرى والمدن البعيدة عن البحر، ضالتهم لإطفاء وهج أجسادهم. غير أن هذه المتعة سرعان ما تتحول إلى مأساة يكون ضحاياها هؤلاء الأطفال، لقلة وعيهم بمخاطرها لتنقلب هذه الأماكن من نعمة إلى نقمة، إذ تشير الأرقام المسجلة إلى العشرات من حالات الغرق المميتة أو الإصابات الخطيرة، سواء لغياب الحراسة أو لخطورة هذه الأماكن، فقد«سجلت إحصائيات الحماية المدنية والمرافق الاستشفائية بولاية الطارف هلاك 103 أطفال غرقا خلال الـ5 سنوات الأخيرة؛ في الوديان والسدود والبحيرات والأحواض والبرك المائية التي أضحت تنعت حاليا بخنادق الموت.»[1]

وكثيرا ما شكلت هذه الوديان خطرا على حياة الأطفال، مثل حادث السباحة الخطير الذي تعرّض له الطفل "حامد" في قصة "**العوم**" لـ "**الشريف الأدرع**" إذ أنّ أوّل ما يفعله الأطفال في قرية حامد هو الذهاب إلى المرعى أولا ثمّ السباحة في النّهر، يقول الطفل/ الراوي:«أول ما يفعل الطفل الدارج عندنا بعد الذهاب إلى المرعى يسبح في النهر. حتى إذا صار عفريتا في السباحة ترك الوادي للبحر. وتيار وادينا جارف يخاف منه على الصغار.»[2] لكنّ حامدا لم يأبه لذلك، وأراد خوض المغامرة حتّى يصبح مثل أترابه الأطفال سبّاحا ماهرا، فكانت النتيجة أن أصيب رجله بجرح«غائر مستطيل. الدم أحمر، شديد الحمرة. ينزف منه. يتجمد بمجرد خروجه. ذبل وجهه، ذعرت، كدت أبكي. أشهق حزينا.»[3] لأنّه وهو يسبح ضرب رجله بسلك شائك، أحدث جرحا عميقا في رجله، ونزف الدم غزيرا، فاشتدّ ألمه أكثر، ثمّ غشي عليه.

وتُعد حوادث المرور وتنامي معدلاتها من أخطر المشاكل التي دقّ عليها ناقوس الخطر في وسائل الإعلام خاصة، وذلك لما تسببه من مشكلات لا تقتصر آثارها على الفرد وحده، وإنّما تمتد إلى الأسرة والمجتمع بصفة عامة، وأكثر الفئات عرضة لمثل هذه الحوادث هي فئة الأطفال، حيث يتعرض الأطفال إلى حوادث السير وصدمات السيارات أثناء عبورهم الطريق أو ركوبهم الدراجة، والتي قد تؤدي إلى موتهم، وهو ما تعالجه قصة " **في انتظار عثمان**" لـ "**الحبيب السائح**"، وموضوعها موت عثمان ذا الثانية عشرة من عمره، إثر تعرّضه لحادث مرور خطير، وهو يركب دراجته متّجها نحو المدرسة في

---

1 - www.akhbarelyoum-dz.com/

2 - الشريف الأدرع، العوم: صاحبة الحسن كلّه، دار الأوراس، دط، الجزائر، 2007م، ص5.

3 - المصدر نفسه، ص14.

أقصى سرعة:«آه، دراجتي الحبيبة إلى الإكمالية طيري بي. ربع ساعة باقي لي. شمس الصباح في عيني. نسيت قبعتي. أيتها المحفظة، بغيت سلة خلفي. لا تؤرجحيني. أنت ابقي مستقيمة بين يدي. ألحق بمن هم أمامي. لماذا ليس للدراجات رواق في الطريق؟ وهذه الشاحنة..تمشي كما الفكرون. أتجاوزها من هنا. في الدورة الأخيرة أسبقها. ساعتي؟ سبع دقائق. آه، محفظتي..دراجتي، وهذه الشاحنة مالها؟ رأسي، آه راسي. أنا؟ دهستني الشاحنة؟ ولكن لا أرى وجهي. لا أحس راسي. مالي لا أتكلم. لا أتحرك.»[(1)]

وقد جعل القاص هنا قصة موت البطل على لسان الطفل نفسه، فجعله يستيقظ بعد موته ليحكي لنا الحادثة، حتّى تكون الصّورة مؤثّرة، وأكثر تعبيرا لأنها تروى على لسان الشّخص ذاته، والقصة فيها كثير من الرّمزية والغموض، ما زادها تشويقا وتأثيرا فينا كمتلقين، فمثلا لم يصرّح القاص بموت البطل مباشرة، بل استعمل لفظة "تمت" للدلالة على فنائه:«حسبتموني نمت في الطريق حتى أخوف السيارات.»[(2)] ثمّ أردف قائلا:« يكون النوم أخذني. أنا حيث تركتموني أمس. لا أعرف ما كنت أصنع تحت تلك الشاحنة ما أقبحها! لا تزال متوقفة؟ »[(3)].

## 2-4- الطّفل المظلوم:

قد يتعرّض الطفل في حياته إلى أنواع متعددة من الظلم والقسوة: كظلم الأهل، وظلم الأصدقاء، وظلم المعلم(العقاب)...، وهذا الظلم كثيرا ما ينجم عن الفقر، أو بسبب التقاليد الجائرة، وهو ما عالجته العديد من الأعمال القصصية.

ومن بين هذه القصص نجد قصة "**مظلوم**" وهي تشير إلى حالة الفقر التي يحياها هذا الطفل «هو كاسمه، مظلوم من يوم أن رأت عيناه النور في قرية بئر الباجي الجبلية، إلى أن أصبح كهلا تتعثر خطاه في العواصم الكبرى ويلف الوهن قواه، ويغتصب الشيب مساحات كبيرة من رأسه ووجهه (...) فهو عندما رزق الله به والديه منذ نصف قرن لم تستلمه القابلة في مستشفى الولادة، ولم تحتضنه الأسرة البيضاء النظيفة والملاحف القطنية الدافئة، قبل أن يضمه صدر أمه وتحمله أيدي الأهل والزوار المملوءة

---

[1] - الحبيب السائح، في انتظار عثمان:الموت بالتقسيط، اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومه، ط1، دب، 2002م، ص111.

[2] - المصدر نفسه، ص108.

[3]- المصدر نفسه، والصفحة.

في الوقت نفسه باللعب والهدايا، وإنما ولد في منزل متواضع بل كوخ صغير، فراشه التراب وحصيرة الحلفاء وبعض (الحنابل) الصوفية الخشنة، وسقفه الديس الشائك وخشب البلوط أو الزيتون.»[1]

فعنوان القصة يكشف أنّ الطفل مظلوم ينتمي إلى عائلة فقيرة، ويدلّ اسمه على مسمى أي أنّ الظلم وقع عليه، كون اسمه "مظلوم": اسم مفعول من الفعل ظلم،« فكان مظلوما من يوم مولده إلى ما شاء الله.»[2]

يلتحق الطّفل الجزائري مظلوم بالكتّاب القرآني ليدرس كأقرانه العديدين، وهو المكان الذي يتم فيه حفظ القرآن الكريم، يسيّره فقيه من حفّاظ القرآن يلقب بـ" الشيخ الفقيه"، وهي طريقة تعليمية قديمة، مازالت تمارس في القرى والبوادي وبعض الزوايا العتيقة. وهذا المكان يعطينا صورة لكتّاب الخمسينيات والستينيات، والذي كانت تعتبره الأسر مرحلة ضرورية في تعليم صبيها وتأديبه، لذلك كان الأب حين يأخذ ولده إلى الكتّاب يوصي الفقيه بأن لا يكون رحيما بولده، ولا تأخذه به رأفة، ويتم التعاقد فيما بينهما عن طريق الشرط والجزاء، فالشرط ما يجب على الأب تأديته من واجبات للفقيه، إكراميات وهدايا ونقود. ولكن مظلوما كان«من الأذكياء الناجحين في (الكتاب) عندما يحفظ (لوحته) في كل يوم وينقل كل ما يتلفظ به معلمه الشيخ الفقيه، ولهذا فإنّ معلمه نفسه كان يظلمه ويعاقبه أكثر، حتى يحفظ أكثر، وحتى ينهال على المعلّم إثر كل(ختمة) المزيد من الهدايا والمكافآت ولو كانت حبات من الطعام أو دراهم معدودة.»[3]

ويرى بعض المربيّن الإسلاميين – قديما - أنّ العقاب في التربية والتعليم أمر ضروري لأنّه يطهّر النفس من العيوب، من بينهم الإمام الغزالي الذي يرى أنّه لا يصحّ تعلّم العلم إلاّ بعد طهارته من خبائث الأخلاق، ونجاسات الصفات، بل ويوصي بزجر المتعلّم، لأنّ«الزجر بالتعريض من دقائق صناعة التعليم الذي لا بد للمعلم من أن يلم بها كل الإلمام.»[4] شرط ألاّ نتّخذ العقاب منهجا حادا وعاما لكل أنواع الأخطاء التي يقع فيها الطفل، وألاّ يكون العقاب قاسيا والضرب شديدا، وأن يؤخذ الطفل بالتلطّف لا

[1] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص205.

[2] - المصدر نفسه، ص207.

[3] - المصدر نفسه، والصفحة.

[4] - بدوي طبانة، إحياء علوم الدين للإمام الغزالي مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي وفلسفته في الإحياء، ج1، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا، دط، دب، دت، ص57.

بالعنف (العقاب)، لأنّ العنف نتائجه وخيمة، و«كلّما ازداد تكرار العقاب كلّما قلّ تأثيره على الطفل، بل إنّه يؤدي إلى العصيان وعدم الاستقرار أكثر فأكثر.»[1]

وغالبا ما ينجم عن الضرب كره الصبي للفقيه، أو يؤدي إلى هروبه من الكتّاب أو من المدرسة الفرنسية في الجزائر – فترة الاستعمار - تحت دافع العنصرية، وهو ما حدث لمظلوم«عندما يجد نفسه في المدرسة الفرنسية التي تديرها وتعلم بها آنسة فرنسية عانس مصابة بالشذوذ والانحراف، والتي كانت دائما تحدجه بنظراتها الغريبة المخيفة دون غيره، وتسلط عليه عقابها ظلما وعدوانا، فتحجزه على الدوام في القسم بأثناء فترة الظهيرة وتطلب من شقيقه أن يأتيه بطعامه إلى القسم فتأتي هي لتأكل طعامه من دون دعوة أو استئذان، كما أنها كثيرا ما كانت تستولي على صحن الطعام نفسه مدعية بأنّها لم تر مثله زخرفة وجمالا كما كانت (تلاعب) الصبي بطريقتها الخاصة...»[2]

فالمعلمة الفرنسية العانس المصابة بالشذوذ تضايق الطفل وتستغله، وتحاول إشباع غريزتها الجنسية بطريقتها الخاصة، وتعامله معاملة سيئة. هنا تبرز علاقة الاضطهاد والسيطرة بين المعلّم الفرنسي والتلميذ الجزائري، بين مستعمِر ومستعمَر، وهذا الظلم هو ظلم عنصري ناجم عن كره وحقد دفين، كون الطفل جزائريا لا فرنسيا، وقد أدّى استمرار العدوان على هذا الطفل إلى أن«يكره مظلوم المدرسة الفرنسية والمعلمة الظالمة، الغريبة الأطوار ويتمنى من كل قلبه مفارقتهما إلى الأبد...وعندما تتكرر عملية العقاب، ويتواصل الحبس في كل ظهيرة، وتتوالى أطباق الكسكسي على المدرسة، يثور عليه والده بالطبع، فيعاقبه بدوره ويشبعه ضربا مبرحا، فيضطر الطفل لذكر الحقيقة ويفضح المعلمة التي كانت تتعمد حبسه لتأكل طعامه وتسرق صحونه الجميلة إلى آخره.. فيتأسف الوالد على ما بدر منه إزاء مظلوم ويكاد يعتذر له ولكن بعدما سبق السيف العذل.»[3]

إنّ المعاملة القاسية التي تنتهجها المعلمة ضد التلميذ جعلته يكرهها ويكره المدرسة والتعلّم، ويتمنى تركها للأبد«ذلك أنّ إرهاف الحدّ في التعليم مضرّ بالمتعلّم، سيما في أصاغر الولد. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلّمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيّق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحُمل على الكذب والخبث.»[4] ونجم عن ذلك أن ترك

---

[1] - نبيه الغبرة، المشكلات السلوكية عند الأطفال، المكتب الإسلامي، ط3، دمشق، دت، ص60.

[2] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص208.

[3] - المصدر نفسه، والصفحة.

[4] - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 2000م، ص538.

مظلوم المدرسة الفرنسية، أما الأب فقد ثار على المعلّمة وأقسم«بأغلظ الإيمان أن لا يدخل أبناءه جميعهم في أية مدرسة فرنسية كانت، سواء في القرية أو في غيرها ولو كانت في هذه المدارس جنة الدنيا والآخرة. وهكذا يظلم مظلوم وإخوته في هذه المرة من طرف والدهم الذي حرمهم في ساعة غضب من تعلم هذه اللغة التي كانت وما تزال هي المفتاح السحري أو خاتم سليمان، لكل من يريد أن يطرق أبواب المناصب، ويشق طريقه الشائك في هذه الحياة التي تتحكم فيها بهذه البلاد دولة أجنبية فرضت لغتها وسلطت سيفها على رقاب الجميع.» [1] والعنف الذي تعرض إليه الطفل هنا هو عنف عنصري بغيض وليس تربويا.

ونتيجة ما عاناه الطفل من المعلمة الفرنسية قرّر العودة مرة أخرى إلى الكتّاب، ومواصلة حفظ القرآن الكريم وحفظ بعض متون الفقه والنحو والبلاغة والمنطق.[2]

ومن التقاليد العائلية الجائرة التي عرفها المجتمع الجزائري نجد ظاهرة تزويج الأطفال في سن مبكرة، حيث يستغل الأب سلطته وولايته في تزويج أبنائه وإرغامهم على ذلك، ولخطورة هذه الظاهرة جاء تقرير صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة الذي يدعو إلى وضع حد لزواج الأطفال لاسيما بالنسبة للفتيات، مبينا النتائج السلبية المترتبة عن الزواج المبكر الذي لا يزال يستند إلى التقاليد القديمة، حيث يقضي على مئات الأطفال الصغار بالبؤس والألم، ويسبب لهم آلاما بدنية ونفسية رهيبة، ويحرمهم من التعليم، وتُنتهك حقوقهم في الحرية الشخصية، وكذا زيادة حالات الطلاق، ولذلك وجب وضع استراتيجيه لمواجهة هذه الظاهرة.[3]

فما إن بلغ الطفل مظلوم سن السادسة عشر حتّى يظلم مرة أخرى حين قرر الأب تزويجه«بلف امرأة كاملة حول عنقه وبإلقاء مسؤولية ثقيلة على كاهله، وهو ابن السادسة عشرة سنة، لا يفرّق بين كوع الحياة وبوعها، ولا يعرف وسيلة لكسب العيش له ولعائلته وعروسه، إلا الاعتماد على والده أو في أحسن الأحوال، فتح (كتاب) في القرية لمنافسة الشيخ الفقيه بن جبار.»[4] فليس الطفل هو من اختار الزواج ولا الزوجة بملء إرادته، إنّما وجد نفسه تحت الأمر المحتوم عليه من طرف والده – السلطة العليا- دون أن ينبس بكلمة، وهنا نتساءل كيف يمكن لطفل في مثل سنه أن يتحمّل مسؤولية الزواج وهو لم يستكمل مرحلة الطفولة بعد؟ فأنّى له بالزواج؟ لكن ماذا يفعل العبد في يد جلاّده؟

---

[1] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص209،210.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص210.

[3]- www.childinfo.org/files

[4] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص213.

ومعلوم أنّ الدراسات العلمية تشدّد على حق الطفل في الاختيار، كاختيار الزوجة وأوان الزواج دون ضغط أو إكراه، فضلا أنّ الطفل« كان ولا يزال ملكا ماديا ونفسيا لأبويه، ملكا ماديا بحكم تبعيته البيولوجية لهما، وملكا نفسيا لأنه امتداد لهما ودلالة على وجودهما واستمراريتهما في الحياة. لذلك– غالبا- ما يعتمد الأباء في تربيتهم على أصول تربوية تلقوها هم.»[1] وفي هذا يقول"علي ماضي" باحث في علم التربية:«لا نزال نعتقد أنّ الأبناء يجب أن يعيشوا كما كان يعيش أباؤهم وأمهاتهم، وفاتنا أنّ أولادنا إنما خلقوا لزمان غير زماننا.»[2] يقول إمر سن:«احترم الطفل ولا تغل في أبوتك ووصايتك، ولا تنتهك حرمة عزلته.»[3] وكأنّ الابن في مجتمعنا فقد فرديته وانسجامه، وعاش تحت سلطة الأب والأسرة حتى وهو كبير«فالإنسان يجب أن يكون ذاته قبل أن يكون فردا في عائلته، أو صاحب مهنة أو مواطنا في وطن أو عضوا في المجتمع الإنساني.»[4]

وكانت نتيجة ظلم الأب لابنه، بتزويجه في سن مبكرة، وإرغامه على ذلك، أن صار هذا الطفل أبا قبل الأوان، ثم«غدا أبا لخمسة أطفال بالتمام والكمال، ويكون قد تخطى العشرين ربيعا.»[5] فأيّ طفولة هذه؟ إنها حياة الشقاء وتحميل الطفل الصغير متاعب الحياة التي ما زال لم يقو على تحمّلها بعد.

## 2-5- الطّفل المجاهد والشهيد:

يحضر الطّفل في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة بصور عدة، ومن أهم هذه الصور صورة الطفل المجاهد الثّائر على المستعمر وعلى الأوضاع المزرية التي سبّبها في المجتمع الجزائري.

ولقد غدا واضحا أنّ الثورة التحريرية في الجزائر شكّلت نقلة نوعية في حياة المجتمع الجزائري، هذه الثورة التي لم تكن ذات طابع عسكري بحت، كما يظنّ البعض، بل شملت مختلف ميادين المجتمع الجزائري.[6] ولقد أولى القصاصون الجزائريون اهتماما خاصا- في قصصهم- بموضوع الثورة، وسجّلوا بعض أحداثها، وثمّنوا تضحيات أبطالها كبارا وصغارا، حيث نجد نضال الأطفال حاضرا فيها، ويقومون أحيانا بأدوار مثيرة لا تقل عن دور الكبار على غرار الأدوار الأخرى، كدور المرأة أو الرجل أو الفلاح أو

[1] - سليمة عكروش، صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر، ص6.

[2] - علي ماضي، فلسفة في التربية والحرية، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1979م، ص21.

[3] - سليمة عكروش، صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر، ص5.

[4] - المرجع نفسه، ص7.

[5] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص215.

[6] - ينظر: عبد الله ركيبي، القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، مصر، دت، ص51.

العامل، وغيرها من النماذج التي نجدها تشكّل ملمحا من ملامح الشّخصيات البطولية الثورية في القصة الجزائرية المعاصرة، فلم ينس القاص الجزائري البطولة والنضال والتّضحية التي أبداها الجزائريون، وخاصة الأطفال، هذه الفئة التي أسهمت كذلك في تلك البطولة وفي حركة النضال الوطني، ونموذج ذلك دور شخصية الطفل عمر في فيلم معركة الجزائر على سبيل المثال.

صحيح أنّ الطّفولة«من حيث هي مرحلة سنية تنم عن الضعف واللين، لكنّ المؤلف يجعل منها عن طريق الإرادة والعزيمة رمزا للقوة والبأس.»[1] إنّ سعيدا في قصة "**ويكبر الصغار في وطني**" **لمحمد بن عجال**" ينجح بإرادته وعزيمته في فعل ما عجز عن تحقيقه من هم أكبر منه بكثير، فهو ينجح في أداء عمل ثوري لا يقدر عليه إلاّ رجل ناضج وشجاع، وهو قتل قائد فرنسي كان رفقة أصدقائه، حين وضع سعيد قنبلة في حديقة القائد الفرنسي، أين كان يعمل بعد خروجه من الكتّاب أو الجامع، يقول سعيد:«لقد أخرجني والدي من "الجامع" بطلب من مسيو فرانسوا، لكي أرعى له غنمه وأبقاره.»[2] ذلك الفرنسي الذي كان يضربه دائما ويمطره بوابل من الشتائم والإهانات فيناديه: (القذر، الكلب...)، وكم كانت فرحته كبيرة حين التقى بمجموعة من المجاهدين أثناء رعيه الغنم في الغابة، إذ « تشبّث سعيد بقائدها، وهو يقول بلسان الحازم: - عمّي.. عمّي..أريد أن أقتل موسيو فرانسوا..فوقعت هذه الكلمة وقع الصاعقة على سمع المجموعة، وبقوا جامدين في مكانهم عقدت الدهشة ألسنتهم..وبعد فترة صمت، قال له القائد: - يا بنيّ.. هذا عمل خطير بالنسبة لك، فأنت صغير.. دع هذا الأمر لنا.

- أنا صغير نعم.. ولكن صغري ليس دليلا على ضعفي.. والرجولة لا تعني الكبر أبدا.. سأقتله. فكر القائد، وأجهد نفسه في التفكير.. وبعد أن تيقّن من عزم سعيد وعناده، تفاهم معه على أمر خطير.»[3] وهو القضاء على مسيو فرانسوا وأصدقائه أثناء سهرهم بالليل في الحديقة ككل مرة ، وقام بعملية قتل القائد الفرنسي بشجاعة نادرة، فهنّأه قائد المجاهدين قائلا:«لقد سجّلت حضورك في ساحة القتال..فأنت أصغرنا سنا وأكبرنا عزما وهمة... فالاستعمار يا بنيّ كتم أنفاسنا، وأزهق أرواحنا.. وسرق البراءة من عيون أطفالنا.. واستنزف خيراتنا.. فلما ثرنا وتمردنا على الظلم والطغيان ودافعنا عن عزتنا وكرامتنا، وماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.. قالوا عنا أنّنا إرهابيون.. لصوص.. قطاع طرق.. خارجون عن القانون...

---

[1] - منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، ص197.

[2] - محمد بن عجال، ويكبر الصغار في وطني: يوميات رجل نبيل، مطابع عمار قرفي، ط1، الجزائر، 1992م، ص36.

[3] - المصدر نفسه، ص37.

فقال سعيد والبراءة تغلف وجهه الطفولي المرح:- إذا ما تعلق الأمر بوطني.. فأنا إرهابي.. نعم أنا إرهابي.» [1] فالطفل لا يعتبر نفسه إرهابيا، بل إنّ ما قام به هو جهاد وكفاح مشروع.

إنّ كلمة "الإرهاب" لا تطلق على كل أعمال العنف وإن كان قتلا، لأنه قتل مبرر لأنه عدو ظالم«فليس كل استخدام للقوة أو العنف يعد إرهابا، حيث هناك من الجرائم ما يتضمن استخدام القوة أو العنف ولا يعد إرهابا، وإنّما الإرهاب هو نوع خاص من العنف واستخدام القوة فيه يهدف إلى خلق جو من العنف والرعب والترويع والذعر بين أكبر عدد من الأشخاص المدنيين، فالمقصود ليس فقط الضحايا لأنّهم قد يكونون أبرياء، بل المقصود هو الوصول إلى خلق حالة من الهلع والذعر وليس بالضرورة تحقيق هدف معين.»[2]

إنّ الإرهاب الحقيقي هو تقتيل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، وتدمير وتخريب الممتلكات عامة كانت أو خاصة، بغية بث الرعب والفزع في نفوس طائفة من الناس أو الشعب كافة، فهذا يدخل في باب الجرائم التي يستحق صاحبها العقاب. أمّا إذا ما تعلّق الأمر باسترداد الوطن الضائع، واسترجاع الحق المهضوم فهذا لا يعدّ أبدا إرهابا، وإذا ما اعتبر كذلك فسعيد يقول:«نعم أنا إرهابي.»[3] وهنا يبرز حب الوطن لدى الطفل، وتصبح الطفولة رمزا للجهاد وللقوة والبأس مثل تلك التي يمتلكها الرجال.

إنّ الطّفل الجزائري قد تعرّض لظروف معيشية قاسية، أرغمته على العمل وهو لم يقو بعد على ذلك، وتحمّل قسوة العدو وشتى أنواع العذاب من أجل توفير لقمة العيش. الشيء الذي غرس في نفسه النقمة، لتصبح الطفولة رمزا للنضال والجهاد والدافع الأساسي للتحدّي، وللتخلص من الطاغي الأجنبي.

ومن القصص التي صوّرت الطفل المجاهد قصة "**عندما يحين الوقت**"، وقصة "**سرّ الرصاصة**" لـ "**محمد الأخضر عبد القادر السائحي**"، وبطلا القصتين طفلان لم يتجاوزا سن السادسة عشر، هما: "حسان" و"عبد الحميد" على التوالي، فحسان«الفتى الذي لم يتجاوز السابع عشرة سنة بعد.» [4] أمّاعبد الحميد فهو« شاب جزائري لم يتجاوز السادسة عشر من عمره.»[5] وأبطال هذه القصص أطفال تتراوح أعمارهم ما بين العاشرة والسادسة عشر، وقرّرا هما كذلك الالتحاق بصفوف المجاهدين، كون التّصدي

---

1 - محمد بن عجال، يوميات رجل نبيل، ص38.

2 - بلقاسم سلاطنية، سامية حميدي، العنف والفقر في المجتمع الجزائري، ص154.

3 - محمد بن عجال، يوميات رجل نبيل، ص38.

4 - محمد الأخضر عبد القادر السائحي، عندما يحين الوقت: أمدغ، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م، ص50.

5 - المصدر نفسه، ص91.

للمستعمر والتّمرد على سلطته«الميزة المقدسة عند أبناء البشرية عامة.»[1] وقد كان الجهاد بالنسبة لحسان حلما يريد تحقيقه منذ الصغر، وهاهو قد«أصبح يسيطر على مشاعره ولا يفارق ناظريه لحظة واحدة من لحظات يقظته، ولربما حلم به في الليل عندما يكون راقدا أيضا.» [2]وتمضي الأيام، ويحقّق حسان حلمه بعون صديقه المجاهد مسعود، ويصبح مثله « ثائرا دون أن يدري من أين ذلك إذ ما كاد يخرج مع مسعود ورفاقه في الصباح الباكر حتى وجدوا أنفسهم وجها لوجه مع القوات الفرنسية، فكانت المعركة وكان حسان أحد أبطالها وهو يردد في نفسه قولة مسعود: "عندما يحين الوقت تجد نفسك في المعركة دون أن تدري".»[3]

وكان حسان قبل أن يلتحق بالثورة تلميذا في المدرسة، أمّا عبد الحميد في قصة "**سرّ الرصاصة**" فإنه التحق مباشرة بالثورة، بعد أن تملكته رغبة جامحة في ذلك، ليصبح رغم صغر سنه أحد مناضليها الشجعان، يقول وكله حماسة واندفاع للجهاد:«إن حياتنا التي وجدنا فيها لا تدع كبيرا ولا صغيرا فأنا كنت "حمالا" أرفع الأثقال التي تزنني ثلاث مرات، بل أكثر، أليس هذا من عمل الكبار؟ فأنا كبير إذن (...) ادفعوني إلى أي عمل أردتم، حتى الموت، لأني أعتقد أن الموت في سبيل التحرر شرف، وأي شرف»[4] وبعد أن استكمل التدريب على السلاح أصبح جاهزا لأداء المهمة على أحسن وجه، والتي تتمثل في قتل صاحب إحدى الحانات، بعد أن حكمت عليه الثورة بالموت، نعم عندئذ« تهيج الحانة صراخ*: فلاق فلاق فلاق، فلاق صغير. لا. ليس هو. من أين جاء الرصاص يا للسماء في النهار يقتل الرجال. يا للفظاعة، النجدة. النجدة. النجدة. أمسكوه أمسكوه. إنّه يريد أن يفلت (...) لا يعقل صبي صغير يتجرأ على المسيو جورج.» [5]

إن صورة الطّفل هنا نموذج للطفل الواعي الفدائي المقاوم، الذي يرفض الاستعمار والاستغلال والظلم. وتتحوّل الطّفولة هنا من معناها المألوف الذي يعكس العجز والضعف، لتصبح رمزا للبأس وللقوة

---

[1] - فاطمة الزهراء زيراوي وآخرون، صورة المثقف في القصة القصيرة الجزائرية، جامعة الجزائر، دط، الجزائر، دت، ص123.

[2] - محمد الأخضر عبد القادر السائحي، أمدغ، ص51.

[3] - المصدر نفسه، ص55،56.

[4] - المصدر نفسه، ص92.

* الصواب: صراخا.

[5] - محمد الأخضر عبد القادر السائحي، أمدغ، ص97،98.

والشجاعة والجسارة، والكاتب هنا يحرص على تأكيد أنّ العمل لا يكتمل إلاّ بتوافر عنصري الإرادة والعزيمة.

ويحيل عنوان قصة "**الطفل المجاهد**" لـ "**أحمد الطيب معاش**" مباشرة إلى الصورة المدروسة أي صورة الطفل المجاهد، فبطل القصة« (الجهاد) طفل صغير دون المراهقة يسكن مع والديه وجديه وإخوانه وأخواته التسعة، في كوخ كبير فيه غرفة نوم كبيرة، ينامون فيها على فراش واحد هو حصير الحلفاء(...) وكان (الجهاد)–بأل- التعريف هو أذكى إخوته وأخواته وأكثرهم نشاطا وحيوية وبالتالي كان على كل لسان:أخرج يا الجهاد شوف من ينادي..قم يا الجهاد افتح باب الزريبة على العنزات. اطلع يا الجهاد إلى الجبل وهات الحطبات..خذ يا الجهاد النخالة وعشي الكلاب..وكان(الجهاد) في كل ذلك لا يمل ولا يكل وهو يلبي جميع الطلبات ويجيب:فرحيك يا جدتي وسمعا وطاعة يا أمي وسعديك يا أبي.»[1] ولأنّه كان يوصل المؤونة للمجاهدين في الجبال فقد اعتقله الجنود الفرنسيون«وعندما وقف الطفل(الجهاد) وجها لوجه أمام الضابط الكبير قائد المركز، بادره هذا بقوله:إنّك يا(الجهاد) متهم بالجهاد! فيجيبه الطفل الرجل: والله يا(سي الحاكم) إني لم أقم إلا بأقل القليل فقد أوصلت عدة مراة* الماء والحليب والطعام إلى القمة لبعض الضيوف..وزرعت مرتين أو ثلاثا ألغاما صغيرة في طريق العسكر..هذا كل ما في الأمر يا سي الحاكم ثم إني لم أقصد بذلك قتل العسكر لأني لا أحب القتل، وإنّما أردت فقط تخويفهم فهم بالفعل لم يموتوا بألغامي الصغيرة ولكن من(الفجعة)!»[2] وتبدو صورة الطفل هنا على أنّه رجل شجاع عظيم إذا ما نظرنا إلى إنجازاته البطولية، وأعماله الشجاعة والجريئة التي قد تصعب على الرجل في حد ذاته. وهكذا تصبح الطفولة الهشة طفولة فاعلة ومؤثّرة، وتغدو رمزا للقدرة على تحقيق الأفعال الصعبة.

وتتكرّر الصّورة نفسها أيضا في قصة "**مرزاق في الجبهة**" لـ "**فريدة حنيفة**" ولا تكاد تختلف أحداث القصة عن القصص السابقة، فمرزاق ابن الثالثة عشرة سنة، حلم منذ صغره بأن يصبح مجاهدا، وقد تحقّق له ذلك، حين التقى بأحد المجاهدين وخبّأ سلاحه عن أنظار العدو، وساعده في الوصول إلى أحد المناضلين«وهكذا أنقذ مرزاق الرجل. بعد أيام، اتصل به قادة جبهة التحرير الوطني. فبدأ بتوزيع

---

[1] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص27.

* الصواب: مرات.

[2] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص29.

المنشورات بعد ذلك رسائل لعائلات المجاهدين الفارين أو المبحوث عنهم من طرف الجيش الفرنسي. وهكذا كان نشاطه في هذه المنظمة يكبر ويتغيّر.»[1]

وتستمر أحداث الجهاد في القصة على شكل حلقات، كل حلقة تروي بطولات مرزاق وأفراد عائلته المجاهدة وأصدقائه، وتصوّر الحلقة السابعة وهي الأخيرة فرحة الاستقلال، واحتفال الشعب الجزائري أطفالا وكبارا بالنصر والحرية.

في هذه القصص التي صوّرت الطّفل في صورة مجاهد يتحوّل الأطفال الثائرون إلى رمز الأمل الذي يغيّر الحاضر التعيس، إنّهم الجسر الممتد إلى تحقيق الحرية وانقشاع الظلام.

وعلى العموم، فإنّ علاقة الطّفولة بالثورة ليست علاقة بطولية كما تبدو في الظاهر، لأنّ العمل الثوري الذي أقحم فيه الطفل لم يشكّل منفذا حاول الطفل الجزائري من خلاله الخروج من أجواء الواقع الخانق، وإنّما هي تعاسة أخرى سقط فيها الطفل مرغما جرّاء الظروف المحيطة به التي كان وراءها الاستعمار.[2]

ومن أبرز إفرازات الثّورة هو تحوُّلُ الحياة إلى سلسلة من المعاناة، يصحبها شقاء وحرمان، يتحوّل في ظلّها فضاء الطفل إلى مسرح دموي واضطهاد جسدي، ومشهد مأساوي، يقطّع أحشاء الأم بالدرجة الأولى. وإن كان للطفل دور في صناعة الثورة، فإنّ معاناته هنا هي تعبير عن نيّة الرفض، وبالفعل تحوّلت الحياة لديه إلى قضية يدافع عنها ويناضل من أجلها، وتحوّل واقعه إلى مساحة ملغّمة بالعذاب والدماء، فيرسم القصاصون صورا تعكس وجه الثورة الحقيقي ووجه الطفولة إبان هذه الثورة، إنّها صور يملأها العذاب والانكسار، ما تلبث أن تتلوّن بألوان الدم والموت المبرزة لصورة العدو الطاغية.

إنّ الطّفل الصّغير في قصة "**ممنوع قطف الأطفال**" للكاتبة "**حفيظة ميمي**" يسقط شهيدا بين أحضان أمّه، وقبل أن نغوص في أعماق هذه القصة لا بدّ أن نقف قليلا عند الغلاف الخارجي للمجموعة القصصية، الذي يحمل صورة طفلة لها جسد طفلة عادية، لكنّ رأسها عبارة عن زهرة، وتحيط بها مجموعة من الأزهار الطبيعية، وتحمل الطفلة بيدها اليمنى لائحة مكتوب عليها "ممنوع قطف الأطفال"، وبيدها اليسرى محفظة، هنا شبّهت الكاتبة الأطفال بالأزهار، لشدّة قيمة هذه الفئة، فكما أنّ الأزهار زينة وجمال في الدنيا، وتبعث الطمأنينة والراحة في النّفوس بمجرّد النظر إليها وتأمّلها، فكذلك الأطفال هم زينة الحياة الدنيا وبهجتها، فكيف نقطفها أي نقتلها بكل بساطة؟ كما أنّ طريقة تشكيل اللوحة تماهى مع

[1] - فريدة حنيفة، مرزاق في الجبهة: سلسلة قصص قصيرة، ANEP، دط، الجزائر، 2002م، ص92.

[2] - ينظر: سليمة عكروش، صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر، ص97.

مضامين المجموعة في ملمحها الجمالي، وفي براءة الطّفولة وعفويتها وصدقها، ما أحالنا على استنتاج بسيط لكنّه عميق مفاده كون ما سيطالعنا من نصوص هي نصوص احتفت بمحيط الطّفل وعوالمه بصفة عامة.

تبرز هذه القصة ذلك الرعب الذي كان يحدثه جيش الاستعمار في نفوس الأطفال، وهي تحكي هنا أنّ طفلا كان يعيش مع أمّه بعد أن التحق والده بالثورة، وذات يوم وبينما يقوم الجنود الفرنسيون كعادتهم بمداهمة البيوت الجزائرية، وبعد أن تأكدّت الأم من غلق باب بيتها بإحكام سرعان ما«ركله بحذائه العسكري الخشن ركلة عنيفة فانفتح طواعية عن آخره وكأنّها لم تشدد عليه.»[1] ثمّ اقترب من الأم وراح « يحاول مداعبة خدّها بمقدمة سلاحه، تنحت عنه، حاول ثانية أن يربت على شعرها الفاحم مقربا أنفاسه من رائحة الطهر في أسمى معانيه عندما يخضب بحناء الشرف، فباغتته اليد الصغيرة تصده، عندما أكبر سأدافع عنك يا أمي، أعدك، ووعد الحر دين عليه،! ثارت أعصابه، كيف لهذا العصفور الصغير الذي لم ينبت ريشه بعد أن يتطاول على جبروته؟ معادلة مضحكة جدا في ذهنه بل مستحيلة،! لكنّه تجاهلها مصمما على اقتطاف نور هذه الشمس التي بهرته بسحرها.» [2] ولأنّ المرأة ضعيفة، فإنّها تتعرض لأقسى المعاملات والإهانات من المستعمر، وقد اغتصبت كما اغتصب الوطن، وقد حاول عصفورها الصغير بما أوتي من قوة الدفاع عنها كون«الطفولة بالنسبة له هي الأم، والأم هي الطفولة. الطفولة والأم مرتبطان ارتباطا لا فكاك فيه. يقول غاستون باشلار Bachelard: "يتم سكون الطفولة دائما في العالم الأنثوي النسوي".»[3]

ويبدو الصغير في مشهد مؤثّر، إنه «يبكي متضرعا إليها وعيناه أيضا تمدان ذراعين يتضرعان إليها ألف تضرع وتضرع، ألم تكن هي مالكة أحلامه، وحلمه الآن ليس أكثر من حلم الزهرة التي ترفض أن تقتلع من جذورها، وجذوره الآن ليست إلا أمه، فهو لا يريد أن ينفصل عنها، لا يريد أن يخرج من نعيم حجرها، تمسكت هي الأخرى به، بكل قوتها تمسكت، وهل يعقل أن تتخلى عن مستقبلها الباسم، عن نصرها المرتقب،؟! قاومت بشراسة لبؤة من أجل شبلها الوحيد، ولكنّه غلبها، جذبه بقوة من يده الرافضة.»[4]

---

[1] - حفيظة ميمي، ممنوع قطف الأطفال، منشورات الأوراس، دط، الجزائر، 2007م، ص24.

[2] - المصدر نفسه، ص28،29.

[3] - بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، ص56.

[4] - حفيظة ميمي، ممنوع قطف الأطفال، ص29،30.

إنّه مشهد مأساوي، قلما عاناه أطفال آخرون. وإنّ الأم هنا إنما ترمز إلى الحياة عند الطفل، فهي التي تسهر على راحته، وتتألم إذا ما رأت أي مكروه يتربص به، فهي حلمه ومالكة أحلامه، لذلك كان لابدّ له من التصدي لمن يريد أن يقتلع جذور حياته – أمّه- إلاّ أنّ بطش الجندي الفرنسي حال دون ذلك، فقد«جذبه بقوة وأنفاسه تكاد تتقطع من شدة الصراخ والفزع، حاولت منعه، صدها بعنف، حاولت مرة أخرى، ركلها بحذائه الخشن(...) رفعت رأسها وحاولت من جديد، لم تيأس حاولت وحاولت وزادت مرات وحاولت وعافرت، لكنّه كان أسرع منها وأعنف، الظلم دائما هكذا أسرع وأعنف صب جام غضبه في الجسد البريء، أفرغ كل ما في جعبة آلة الموت في صدره الصغير، بكل وحشية فعل.»[1]

لقد سقط الطفل شهيدا أمام مرأى عيني أمه الحبيبة، فقد قاومت وحاولت بما أوتيت من قوة لكن دون جدوى، فما كان منها إلاّ أن نشبت أظافرها العشرة في وجه الطاغية، كمخالب القطط الشرسة، أظافر مطلية بالأحمر القاني لتقول بكل قوتها "لا" للذلّ والعبودية«وتتذكر ويؤلمها التذكر بل يدميها كسكين حامية، فهذا الذي يتقاطر من بين أصابعها صافيا يلمع كالنور، إن هو إلا بعض من صغيرها، بل هو صغيرها ذاته، فهي لم تكن بغافلة عنه، تعرفها دماؤه من صفائها وبراءتها شكلا ومضمونا.» [2]

وتُختتم القصة بمشهد دموي مؤثّر، يدمي القلب، وتقشعرّ له الأبدان، يكاد يسيل معه الدم بدل الدمع، أم ثكلى تكتب بدم الشهيد الصغير رسالة توجهها للعالم أجمع«وبأصابعها الملطخة بحبر الدم، دمه هو وحبرها هي، أو حبره هو ودمها هي، كتبت بخط ممزق مطعون لكنه مقروء، وحروف شاردة مبعثرة لكنّها سليمة، كتبت، بل صححت على اللوح الأبيض المغروس في الخضرة وبلون أحمر قان، أمام جميع أهل الدنيا وكأنّها تصرخ فيهم بلسان الألم: "ممنوع قطف الأطفال،!"»[3] وعبارة: ممنوع قتل الأطفال تعني: ممنوع قتل الأطفال وقتل البراءة بين أحضان أمّها.

وتتكرّر صور الوطنية في قصة **مصطفى فاسي**" بعنوان"**عندما تكون الحرية في خطر**" حيث يبدو أحمد متعطشا للنضال، وسرعان ما يهرع للدفاع عن الوطن لأنّه«كان مؤمنا إيمانا قويا بقضية وطنه، عندما التحق بإخوانه قبل أربع سنوات. لم يكن آنذاك قد بلغ من العمر ست عشرة سنة.»[4] ورغم ذلك أبى أن يترك وطنه للأعداء.

---

[1] - حفيظة ميمي، ممنوع قطف الأطفال، ص30،31.
[2] - المصدر نفسه، ص35.
[3] - المصدر نفسه، ص40.
[4] - مصطفى فاسي، رجل الدارين، ص35.

وكثيرا ما نعت أحمد الأعداء بالكلاب المفترسة الغادرة، لما يمارسونه من أفعال على المستضعفين:«هؤلاء الكلاب خطر على كل شيء، في بلادنا، لا بدّ أنه سيأتي يومهم، سيعرفون من نحن.»[1] ولذلك يرى القاتل في صورة "الكلب" الذي ينهش لحم الطفل«فهم يسحقون سواعد الأطفال، يقتلون الحياة فيهم، فيمنعونها من أن تسير مسارها الطبيعي.»[2] وقد شاع في مجتمعنا وصف العدو بالكلب، وهنا تنتقل صورة الكلب الذي يبحث في المزابل عن فريسة إلى العدو الذي يستبيح دم أحمد ويسقط شهيدا لا قتيلا، مخضّبا بدمه«وهو يقول: سيعرفون من نحن، لا بد أن يأتي يومهم، الوداع يا أبي، ادع لنا بالنّصر(...) الوداع الوداع يا أحمد لقد عرفت ثمن الحريّة، لأنّك كنت يا بني تتعشّق الحريّة، الوداع.»[3]

ومعاناة الأطفال من حيف الفرنسيين لم تقتصر على الذكور بل امتدت إلى الإناث، ولم تُستبعد الطّفلة/ الأنثى عن مسرح الدماء والتقتيل، فـ"رحيمة" كانت من بين الأطفال المستشهدين في مظاهرات ديسمبر1960م*، وبينما هي تحمل علم الجزائر«بين ذراعيها النحيلتين ورفعته عاليا، ازدادت تعنتا وتحديا، تحول صوتها إلى بركان يغطي على كل الموكب بنبراته الفتية الحادة فيضرم الحماس في الصدور، التف حولها بعض الشبان وتقدموا بها الموكب المزمجر العاصف بالغضب.» [4] لكن تقول زميلة رحيمة أنّه ما إن «اعتلى أحدهم بناية وأحرق العلم الفرنسي.. ثقبت آذاننا طلقات نارية فعلت صيحات غضب وإصرار وتحد..هزت رعشات سريعة صدر "رحيمة" فتهاوت على الأكتاف.. نظرت إلى وجهها فرأيته ينطق بالألم وقد غادر الفجر الوضيء عينيها.. ضمت العلم بقوة إلى صدرها فخضبه دمها..انحنى الشبان ليجعلوها تقف على قدميها، ولكنّها تهاوت بين أيديهم يتدفق الدم الفائر من صدرها النحيل فيبلل الشارع ويمتزج بالتراب..ودوت عيارات نارية أخرى تمزق الأجساد الفتية المتلاحمة فسقط شبان آخرون بجانبها.»[5]وقد مثّل استشهاد الطفل هنا تعبيرا عن فقد البراءة والنقاء، ويغدو تشوهه رمزا إلى تشوّه المستقبل.

---

1 - مصطفى فاسي، رجل الدارين، ص37.

2 - عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دب، 1983م، ص103.

3 - مصطفى فاسي، رجل الدارين، ص38.

* ينظر: الصفحة 97 من البحث.

4 - جميلة زنير، رحيمة: دائرة الحلم والعواصف، موفم للنشر، دط، الجزائر، 2008م، ص160،161.

5 - المصدر نفسه، ص162.

إنّ موت الأطفال هو رمز لموت المستقبل في ظل انهيار الشعور بالأمان والاستقرار والدفء، ويبدو هذا الرمز منطقيا في ظل ويلات الحرب ومعاناتها، في وطن يستبيحه الغازي المستعمر.

وإن اقتصرت القصص السابقة على تصوير مأساة الطّفل الجزائري في بلده الجزائر، فإنّ القاص "**محمد شنوفي**" يقدّم لنا في قصته "**الشهداء يفجرون قبورهم**" صورا من المآسي التي شهدها الطفل الجزائري في فلسطين في مواجهة إسرائيل. هي لوحة مأساوية أخرى تحكيها أم الشهيد "مبروك" تقول:«عندما أذكر"مبروك" أحس بخنجر يطعنني في القلب.»[1] كيف لا، وهو فلذة كبدها وعماد مستقبلها :«- أخاف عليك يا كبدي، الموت خدّاعة.»[2] فالعالم الجميل متحقق في الطفولة:«كان الولد الفارع يكبر كل يوم، وتكبر آمال المرأة معه كل يوم..أفراحها تكبر كل يوم..وحلمت بربيع يكسو كل الحقول والعيون(...) كنت أحلم بك رجلا محفوفا بامرأة صالحة وعشرة أبناء.»[3]

أمّا الشيخوخة – رمز الحاضر- فلا تحمل غير الحزن والأسى:«ومع الحاضر، تنهار كل جدارات الواقع الزائف.. مبروك استشهد والأرض ما تزال محتلة.»[4] فالطّفولة تمثّل العالم الجميل والبريء الذي تخلق في الزمن الماضي، وكان فضاء للأحلام، وذلك في مواجهة "الشيخوخة" التي ترمز إلى العالم القبيح، الذي يمثّل الزمن الحاضر، وفيه تدحض أحلام الطفولة وتتلاشى. وعلاقة الأم بابنها في الزمن الماضي كانت علاقة جميلة وممتعة، لتتحوّل فجأة في الزمن الحاضر إلى علاقة فقدان وبؤس وخوف.

## 2-6- الطّفولة المسترجعة:

ما أكثر القصص الجزائرية المعاصرة التي يستحضر فيها القاص طفولته الماضية عبر تقنية الاسترجاع أو الفلاش باك، فيستعيد ذكريات الطفولة، وهي كل ما اكتسبه الإنسان وهو طفل من تجارب تركت في نفسه آثارا بليغة«وإنّ عملية استدعاء الذكريات تقتضي تحديد ظروف اكتسابها في الزمان، وكلما زاد التحديد دقة وتعددت الظروف المستدعاة زادت الذكرى وضوحا وشدّة.»[5]

ولجوء القصاصين إلى استحضار الطفولة نابع عن ظروف استدعتها، قد تكون خارجية عامة، وقد تكون مكانية أو حادثة من الحوادث، أو دواعي نفسية معينة كالإحساس بالموت أو الغربة والضياع

---

[1] - محمد شنوفي، حين يعلو البحر، ص48.

[2] - المصدر نفسه، ص49.

[3] - المصدر نفسه، ص48،49.

[4] - المصدر نفسه، ص50.

[5] - يوسف مراد، مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، ط8، القاهرة، مصر، 1982م، ص253.

في هذا الزمان، أو المرض أو العجز. وهذه الطفولة لا تبقى مجرد ذكرى عابرة ثم تنطفئ دون تأثير، لأنّها ليست مجرد حركة يقوم بها القاص صوب الماضي، وإنّما هي حياة جديدة يحياها من جديد هاربا من الواقع المرير الذي يلتصق بالمراحل العمرية بعد فترة الطفولة المملوءة بالبراءة والنقاء، فينعدم بداخله الإحساس بالانفصال بينه وبين الذكرى فيتشكل بعد جديد لهذه المرحلة، ومن ثمّ يتم استرجاع وقائعها، حلوها ومرها، ليس لشيء سوى أنّها كانت أقوى.

ومن بين القصص التي يرتدّ فيها القاص إلى ماضيه الجميل نجد قصة "**من دفاتر الطفولة**" لـ"**بوعلي كحال**" كما تحيل إلى ذلك مقدمة القصة « ربّاه... ما شأن هذه الذكريات تزدحم في ذهني فتأخذ عليّ منافذ التفكير كلّها ولا تتركني.»[1]

وكما أشرنا آنفا فإنّ زمن الماضي يمثّل الطفولة السعيدة والعالم البريء، فهو«عالم أثيري عجيب ترتفع فيه البراءة والسذاجة كما ترتفع أزهار الياسمين في حديقة مورقة غنّاء...؟ إنّي لا أكاد أثوب إلى نفسي حتّى تشرد بي هذه الذكريات عن الوجود، ويضيء نور طفولتي جوانب روحي فأشعر بسعادة غامرة ليس إلى التعبير عنها من سبيل.» [2]

أمّا زمن الحاضر فيمثل الضياع ومحاولة الهروب من الواقع المرير، يقول بطل القصة:«ماذا أفعل الآن وفي هذه اللّحظات التي أخلو فيها بنفسي غير الكتابة أو الخربشة على أوراق حبلي باليأس مثخنة بما يسلّطه عليها الواقع من صنوف الاستفزاز وهي جاثمة على الطاولة ذاهلة متقوقعة على نفسها لا حول لها ولا قوة. لا أكاد أستيقظ من كوابيسي حتى أجد نفسي متقنطرا في هذه الغرفة الممسوخة منذ آلاف السّنين على هيئة صومعة أحد النّساك المعدودين المشهورين في تاريخ الإنسانيّة ممّن ضربت الدّنيا عنهم صفحا.»[3] تبرز هذه الصورة حالة الانطواء على الذات والتقوقع على نفسها في محاولة الهروب من المحيط الخارجي«والغوص في العالم الداخلي سعيا للاتصال بالعالم السامي، ذلك العالم الهارب، الذي تتوق له الروح، عالم البراءة والنّور والسّعادة.» [4]

إنّ ما يشدّ انتباهنا في هذه القصة هو شدّة تعلّق البطل/ الطفل بجارته خديجة لنعتقد كما يبدو في افتتاحية القصة ويظهر لأوّل وهلة أنّ هذا الارتباط العاطفي الذي يربطه بها هو علاقة عاطفية غرامية،

---

[1] - عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1994م، ص217.

[2] - المرجع نفسه، ص217.

[3] - المرجع نفسه، والصفحة.

[4] - المرجع نفسه، ص90.

لكنّ نهاية القصة تؤكّد أنّ هذه الحالة ليست إلاّ تعويضا عن نقصان، تعويض عن حنان الأمومة المفقودة. يقول البطل:« كنت في الثانية عشر من عمري عندما عرفت لأوّل مرّة خديجة، البنت الكبرى لجارنا عبد الله(...) كانت خديجة في سنّ الثلاثين وهي مع ذلك غير متزوّجة ولم أكن أعلم من أسباب ذلك شيئا، فهي في الحقيقة امرأة لطيفة حنون قبل أن تكون فتاة رائعة الجمال بالغة الأنوثة. وكانت رغبتها وحبّها للأطفال يكبر ويعظم كلّما تقدّمت في السّن، خاصة منهم من يقصد المدرسة.»[1]

أمّا المشهد الختامي للقصة فهو مشهد عناق بين الفتاة والطفل، حيث يصرّح الطفل بمشاعره: «(...) تذكرت أمّي في اللّحظات بالذات فما زادني ذلك إلاّ تمسّكا والتصاقا بخديجة، وقاومت عاطفة الأمومة الطّاغية ما وسعني المقاومة، ولكنّي استسلمت بسهولة غريبة فأجهشت بالبكاء، أي والله، انحدرت العبرات من عيني فابتلّ صدر خديجة وشعرت بأناملها الرّقيقة اللّطيفة تتخلّل خصلات شعري، فبعثت فيّ الحنان الجارف، فلم أدر بنفسي إلاّ وأنا أطوّق عنقها بذراعيّ القصيرتين النّحيلتين.»[2]

وللمكان صلة بمرحلة الطفولة ويمثّل أحيانا مصدر استرجاع الذكريات الماضية، وهو ما حدث لأحد أبطال قصة "**المأزق المحيّر**" لـ "**سعدوني بشير**"، فبمجرّد سماعه اسم مدينة "وهران" من أحد ركّاب القطار حين أخبره أنّه قاصد إيّاها، حتّى عادت إلى ذاكرته كل وقائع الماضي الطفولي، وكأنّه يعيشها الآن وقال لصديقه:«ذكرتني بمأساة أحاول جاهدا تناسيها.»[3]هنا تحدث المفارقة، فالزمن الماضي (الطفولة) لم يعد بالنسبة لهذا الشخص عالما للبراءة والسعادة، بل هو عالم للتعاسة والمعاناة، فلم يا ترى؟ يجيبنا هو بنفسه:«- نشأت هناك في وهران– كما ينشأ غيري من الأطفال المدللين. مستهترا، ضاربا عرض الحائط بكل القيم، وكانت أمي بدلالها المسرف لي وعطفها الزائد علي، وحنانها اللاّمحدود قد جعلت مني رجلا جاهلا، ضعيف الشخصية، مسلوب الإرادة اتكاليا.»[4]

ولا يتعلّق أسلوب التربيّة هذا – أسلوب التدليل- بطفل القصة فقط، بل هي حالة الطفل الجزائري بصفة عامة، والطفل العربي أيضا، فحسب علماء التربيّة والنّفس فإنّ«التدليل المبالغ فيه والإفراط في الحماية يؤديان إلى عصبية الأطفال وانفعالاتهم المرضية وتوتّرهم الدائم، ذلك لأنّ التدليل ينمي في شعور الطفل صفة الأنانية، ويجعله دائم التمركز حول ذاته، وكأنّ ذاته هذه هي محور الكون ومركز اهتمام البيئة، فيتعلّم ضرورة إجابة طلباته دون تأجيل، ويثور ويتوتّر إن لم تجب رغباته لأنه يحس- بوجدانه

---

1 - عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص218.

2 - المرجع نفسه، ص222،223.

3 - سعدوني بشير، المأزق المحيّر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986م، ص27.

4 - المصدر نفسه، والصفحة.

المريض- أن المجتمع كلّه يضطهده، والدليل في نظره أنه لم يحقق رغباته ومطامحه، دون أن يدري بالقطع أننا لا نستطيع تلبية جميع رغباتنا في آن واحد(...) مما يؤثر تأثيرا سيئا في شخصيته.»[(1)] ويغدو«رجلا جاهلا، ضعيف الشخصية، مسلوب الإرادة اتكاليا.» [(2)]

ويحكي بطل القصة لصديقه حادثة مضحكة وقعت له في صغره قائلا:«يوم سلمني المعلم دفتر الامتحانات وهرولت به مسرعا إلى أمي أخبرها أني أنجب تلميذ في الصف وأني تحصلت على أحسن مرتبة، رغم تغيبي المتكرر، وأنّه سيكون لي شأن وأي شأن حين أكبر ما دمت بهذا الذكاء الخارق للعادة. ولم تصدق بادئ الأمر فرحت أقسم لها بالله رب العالمين أن في قسمنا خمسة وأربعين تلميذا وأنني الخامس والأربعون، وكادت تزغرد حين أكد لها ابن جارنا صدق كلامي.»[(3)]

ما نستخلصه هنا هو أنّ الأم الجزائرية غالبا ما تكون أميّة، وهي أميّة فرضتها عليها ظروف قهرية، منذ فترة الاستعمار الذي حاول طمس الهوية ونشر الأميّة والجهل في أوساط المجتمع الجزائري، وفرحة الأم ليست في محلّها، إذ أردف الجار توضيحا لما قاله:«- (اعلمي يا خالة أن هاته أضعف درجة) وقرأ عليها ملاحظة المعلم:(تلميذ كسول، كثير التغيب)، ورحنا أنا وأمي، نفكر في كيفية الخلاص من هاته الورطة، كيف سنخبر أبي بالأمر، وهو الذي كان يعتقد أني سأكون نسخة منه، صورة طبق الأصل لاجتهاده ومثابرته، كم من مرة سألني عن دروسي واجتهادي فتجيبه أمي بدلا مني قائلة: -(المعلم دائما يشكره) بل أنها قالت له ذات مرة(لقد زرت معلمه فأخبرني بأنه أنجب تلميذ في القسم) ولما رأته قد سر سرورا لا يوصف أردفت قائلة:(وأعلمني أيضا بأنه وحيد زمانه).»[(4)]

إنّه وحيد زمانه في الكسل والتغيّب، وليس مثل أبيه. فليس الأبناء صورة طبق الأصل لآبائهم كما كان يظنّ الآباء ولا يزالوا إلى يومنا هذا، في بعض المناطق، وهذه الفقرة تبيّن نتيجة تدليل الأم لابنها، وتستّرها المستمر عن أفعاله ولامبالاته، ما يفقّم المشاكل ويضاعف العقاب فيما بعد.

وإن وقعت الحادثة في الصغر، فإنّ آلامها وآثارها السلبية برزت في الكبر، فما إن راح البطل يسرد تلك الحادثة حتّى«اغرورقت عيناه، وتوقف عن الكلام لحظة راح خلالها يجفف دموعه.» [(5)]

---

[1] - وفيق صفوت مختار، مشكلات الأطفال السلوكية، ص24،25.

[2] - سعدوني بشير، المأزق المحيّر، ص27.

[3] - المصدر نفسه، ص28،29.

[4] - المصدر نفسه، ص29.

[5] - المصدر نفسه، ص28.

ويُذكّر المكان الشخص بعالم الطفولة الماضية، ذلك ما تبرزه قصة "**الكوخ**" لـ "**محمد شنوفي**"، حيث يتذكر بطل القصة طفولته بمجرد أن«نظر صوب الكوخ. ولاحت له بقايا السوار عارية، متآكلة، تغرق في الحشائش كقبر قديم، منسي، (هذا الكوخ وجد قبل أن أوجد لكنه جزء مني.. امتداد واضح لملامح أبي القوية التي أحتفظ بها. كنا ثمانية بأبي وأمي ولم يضق بنا يوما، بل كان عالما رحبا لأحلامنا جميعا.»[1]

تُذكّر هذه الصورة بما شاع في العصر الجاهلي، من وقوف الشاعر على الأطلال والبكاء عليها، واسترجاعه الذكريات الجميلة والحزينة معا، واستحضار ذكريات الطّفولة، وتذكّر الأحبة الذين عمروا تلك الديار، وهي حال بطل هذه القصة.

والكوخ بالنسبة للبطل هنا هو الطّفولة ذاتها، فما يلبث يردّد:«الكوخ هو طفولتي، وليس في وسعي أن ألغي طفولتي، هو صوت أبي وأمي، صوت الطاحونة تهرش الفول، هو رزم البصل يرتبها أبي في السقيفة بكل عناية عند آخر الربيع، هو سعال أبي يجتاز عتبة الباب ليتوضأ لصلاة الفجر... هو تلك الدجاجة الكبيرة التي تحتال علي وتسرق من صحني حبة طعام في كل مرة، هو أبي الجليل بعباءته يحتل نصف الموقد في الأيام المثلجة، هو نور اللمبة يحاول أن يملأ أرجاء البيت. هو تلك الأشباح المتحركة، يرسمها النور المرتعش على الجدار وأخاف منها كثيرا، هو الثوب الأزرق الذي كانت ترتديه أمي أيام الفرح ويسرني لونه...»[2]

صحيح أنّ لا أحد منّا يستطيع أن يمحي أو يلغي طفولته، لكنّ«الراشد في مجتمعنا يتحاشى دوما الرجوع إلى ماضيه الطفولي خاصّة أمام ذويه أو أصدقائه، بل إنّه يعمد في كثير من الأحيان إلى محاولة نسيانها والتهرب منها. فالكاتب وحده الذي يحكي عن طفولته أكثر مما يرفض مواطنوه البوح به عن طفولتهم.» [3] والسبب في ذلك أنّ طفولة الراشد في المجتمع الجزائري غالبا ما تكون مأساوية، بائسة، مثقلة بالهموم، أو لنقل طفولة مفقودة، أجهضتها يد المستعمر في رحم أمّها، على عكس ما يعيشه الأطفال في المجتمعات الأوروبية، حيث يتمتعون بالعيش الزهيد والرفاهية، ما يمكّنهم من إشباع هذه المرحلة، وهم أحسن استعدادا لحياة الراشدين.

---

[1] - محمد شنوفي، حين يعلو البحر، ص41،42.

[2] - المصدر نفسه، ص42.

[3] - بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، ص49.

كما تعتبر العودة إلى زمن الطّفولة أحيانا أخرى تعبيرا عن الهروب وتعويضا عن الواقع المؤلم، فتكون الطفولة ملاذا يُروّح به عن أعباء الواقع، إذ أنّ بطل قصة "**العودة**" وهو يفكّر في العودة إلى وطنه تعود ذكريات الطفولة الماضية إلى مخيلته، وتترسّخ في نفس البطل ذكريات الأهل والأقارب، الذين كفّ عن رؤيتهم منذ أمد بعيد، فلم يعد هناك ما يربطه بهم إلاّ الذكريات القديمة التي تناوشه بين الحين والآخر، خصوصا أخوه "عز الدين"، يصرّح عن ذلك قائلا: «إنّ العودة إلى الوطن تشغل بالي أكثر من أي وقت مضى... إن العمر هنا ينقضي كالسراب، فالعام شهر، والشهر يوم، واليوم ساعة. ستة عشر عاما من الغربة والتمزق ... أخي عز الدين الذي تركته وهو ابن أربع سنوات صار اليوم عمره عشرين سنة!...إن سيلا من الذكريات يملأ علي الآن وجودي...ذكرى أبي الذي أكاد أراه الآن أمامي بوجهه الترابي الحزين، وقامته الطويلة واقفا، يسند ذراعه إلى حافة الباب وأمي تجلس قبالته في الركن.»(1)

فالمغترب حين يختلجه الحنين إلى الوطن الأم، يختلجه الحنين إلى ذكريات الماضي أو الطفولة القديمة، ومغامراتها الرائعة، فقد كان البطل في صغره طفلا متطفّلا على المقاهي، ويقصّ علينا كيف كوّن لنفسه«عصبة من الأصدقاء التعساء أمثالي، نلتف باللاعبين ونتابع اللعب باهتمام ! وكلما اكتظ المقهى يبادر الخادم إلى طردنا، نحن الأطفال، إلا أنا، لأني كثيرا ما كنت أبدي له نوعا من المساعدة... واكتسبت مكاني. وتحولت، مع الوقت، من متطفل إلى لاعب لا يبرح المقهى... وأقبل علي ربيع الثامنة عشرة ليجدني ما زلت شابا في جسم طفل نحيل. أذكر الآن بوضوح أمي مغمى عليها وأنا أغادر الخيمة بين شرطيين لأداء الخدمة العسكرية.» (2)

## 2-7- الرجل الطّفل:

إنّ تعلّق الإنسان بمرحلة الطّفولة ناتج عن قوة تأثيرها في حياته المستقبلية، حتّى ولو بلغ سن الثمانين، فالطّفل كما يقول الشّاعر الإنجليزي "وردز ورث"«هو أبو الرجل من الناحية السيكولوجية»(3) ومهما كبر الإنسان في حياته، لا بدّ وأن تكون طفولته حاضرة في حياته، لأنّ «كل فرد منا في حاجة إلى هذا الشيء القليل من الطفولة، التي يحتفظ بها تجاه نفسه، كما لو كانت أثمن كنز لديه. إنّ الرجولة الحقة هي أن يمارس الإنسان طفولته بخصائصها الحالمة. وبدون هذه الخاصية يعيش الإنسان حياة

1 - محمد شنوفي، حين يعلو البحر، ص7،8.

2 - المصدر نفسه، ص9.

3 - مصطفى فهمي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، دار مصر للطباعة، دط، مصر، 1974م، ص7.

متزمتة يابسة طوال عمره.»(1) فالطفولة باعتبارها حادثة قوية في حياة الفرد تجعله يتعلّق بذكرياتها وتجاربه فيها، وعلماء النفس أنفسهم يثبتون أنّ تركز عاطفة الشخص في شيء من الأشياء ناتج عن تعلّق قوي بالذكريات التي تركت في نفسه أثرا بليغا.

يتكرّر كثيرا حضور الطّفولة في قصة "**الجراد**" لـ "**عمّار بلحسن**"، حضور داخلي يفرض عليه العودة إلى ممارسة أفعال وتصرّفات تخصّ الأطفال، في محاولة منه إشباع بعض الرغبات والميولات التي لم يسعفه الحظ أو لنقل الواقع الطفولي على تحقيقها، يظهر ذلك من خلال العبارات الآتية: يستيقظ الطفل الذي يغفو في أعماقي يقول لي:ألا نملأ يومنا بالضوضاء؟، انتفض داخلي طفلي. قال بحدة، وأضحى الطفل- طفلي الذي يقبع في داخلي- يحادثني بقوة، تضبب عالمي واختفى الطفل فأحسست بكراهية فظيعة لأبي، نزلت راجعا إلى الغابة.. غابة طفلي، وشوش الطفل داخلي، هتف الطفل في أعماقي، نمت يا طفلي، استيقظ. (2) يؤكّد هنا فكرة أنّ الإنسان مهما كبر فإنّ ميولاته أو أحلامه التي لم يستطع تحقيقها في مرحلة الطفولة تبقى تلّح عليه وتقبع في أغواره الداخلية، وبالنسبة لكاتب مثل عمّار بلحسن « فالطفولة والحلم والحنين للقرية وللماضي وللطفلة/ المرأة تزخر بها كتاباته وتترجم عمليا في سياق انتقال هواجس النضال والحب من المدينة إلى الريف ومن مرحلة التكلس إلى مرحلة الذوبان والانغماس في أحضان الطفولة وحبها، والحب الطفولي الرقيق البريء.»(3)

## 2- 8- الطّفل والعنف:

نحن هنا لن نتطرّق إلى العنف الذي يمارسه الطّفل ضد الآخرين، وإنّما نعني به العنف الذي يمارسه الآخرون ضد الطفل، وما ينجم عنه من ضرر، سواء في البيت أو المدرسة أو الشارع.

- لكن ماذا نعني بالعنف؟

***مفهوم العنف:**

أ- **لغة:** تشير كلمة "عنف" في اللّغة العربيّة إلى:«كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم. وعلى هذا الأساس فإنّ العنف قد يكون فعليا وقوليا. أمّا في اللّغة الانجليزية فإنّ الأصل اللآتيني

---

[1] - مصطفى فهمي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ص10.

[2] - ينظر: عمّار بلحسن، الجراد: حرائق البحر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1981م، ص139 ومابعدها.

[3] - المصدر نفسه، ص9،10.

لكلمة Violence هو Violentai ومعناها "الاستخدام غير المشروع للقوة المادية لإلحاق الأذى والأضرار بالممتلكات، ويتضمن ذلك في معاني العقاب، الاغتصاب، والتدخل في حريات الآخرين.» (1)

**ب- اصطلاحا**: يُعرّف العنف على أنّه:«مجموعة من السلوكات تهدف إلى إلحاق الأذى بالنفس أو بالآخر، ويأتي بشكلين إمّا بدني مثل: الضرب، التشاجر، أو التدمير أو إتلاف الأشياء، والعنف اللفظي مثل:التهديد، الفتنة، الغمز، النكتة اللآذعة، وهو في الأخير يؤدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى إلحاق الأذى.» (2)

**1- العنف في البيت:**

إنّ البيت هو المحيط الأوّل الذي ينشأ فيه الطفل، وفيه تتشكّل السمات الأولى لشخصيته، فيكون للأب والأم ولكافة أفراد الأسرة تأثيرات كبيرة في تكوين شخصيته، خاصة فيما يتعلّق بتكوينه النّفسي، إذ تعتبر الأسرة المسؤولة الأولى عن أيّ تدهور في حالة الطفل النفسية والاجتماعية، لأنّ «الأسرة هي أهم معالم التنشئة الاجتماعية وهي أقوى تأثيرا في شخصية الفرد وتوجيه سلوكه، وأن الوظيفة الحقيقية للأسرة تتمثل في بناء وتكوين الشخصية الثقافية والاجتماعية للفرد في إطار جماعة صغيرة تتميز بأنّ أفرادها تجمعهم مشاعر وأحاسيس وألفة وتآلف.» (3)

وأكّدت الدراسات الحديثة« أنّ التباين في النمو النفسي والاجتماعي للأطفال يرتبط ارتباطا وثيقا بنوعية العلاقة أو التفاعل بين الوالدين.» (4)

وما نلاحظه من خلال القصص الجزائرية يظهر أنّ المحيط الأسري الذي ترعرع فيه الطفل كان سلبيا، وقهريا وصادما وعنيفا، تطغى فيه سلطة الأب وبحدّة على الأبناء والأم، وترتكز الأسرة «بجميع أعضائها على التبعية الكاملة للرئيس(الأب). فالأب هو السّلطة الإلهية المطلقة بين يدي كائن بشري، وتجد الطاعة المفروضة على مصدرها في الاستسلام لله. إنّ الأسرة المطبوعة بطابع العرف والتقاليد، تضع الأب في القاعدة: إنّه كل شيء وشخصيته هي التي تسيطر. ولم تعد سلطة الأب في مجتمعنا بحاجة إلى دليل، ويكفي أن نشير إلى أنّنا نعيش في مجتمع أبوي أصلا، بالرّغم من أنّ المجتمعات المتحضّرة الغربيّة قد تخلّت نهائيا عن الأبويّة منذ قرن أو أكثر.»(5) وتصوّر قصة **"كوزه"** لـ **"مرزاق**

---

[1] - بلقاسم سلاطنية، سامية حميدي، العنف والفقر في المجتمع الجزائري، ص7.

[2] - المرجع نفسه، ص8.

[3] - ألفت حقي، سيكولوجية الطفل، علم نفس الطفولة، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، الإسكندرية، 1996م، ص40.

[4] - المرجع نفسه، والصفحة.

[5] - بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، ص71.

**بقطاش**" هذا السلوك أي قسوة الأب واضطهاده لابنيه "كوزه" وأخيه، ما جعل كوزه ينعت أباه بالملعون والسكير حين قال لأخيه أثناء عودتهما إلى البيت:« ستختبئ، أنت وراء النخلة، وسأحاول أنا أن أنبه أمي حتى تفتح لنا الباب دون أن توقظ ذلك الملعون(...) السكير.»[1]

وبينما كان الطفلان يحاولان الدخول إلى البيت:«أفاق الملعون، صوت الأم يرتفع حادا. لكمات عنيفة تتوالى عليها. - إنّه يضربها... أخوه يتوقف في المسافة بين النخلة والبناية. "كوزه" ينهال على الباب بالمخطاف، ضرباته سريعة وقوية:- افتحي الباب.... سأقتله الليلة، صوت أمه يزداد حدة. تصرخ بصوت عال قبل أن يرتطم جسدها بالباب في الداخل: - اهرب يا "كوزه".... الجلبة ترتفع في الداخل، الجيران يقومون من فراشهم. "كوزه" يعلم أنه لن يجرؤ أحد منهم على التدخل.

- اخرج يا ابن الكلبة،،، سأبقر بطنك،،، أخوه يلتقط حجرا كبيرا قرب النخلة. يتقدم من الباب مسرعا ثم يطوح به بكل ما له من قوة: - يا ابن الكلبة، لن نركع لك بعد اليوم.» [2]

ثم يزداد "كوزه" حماسا ويخاطب أباه:«– سأبقر بطنك الليلة...الأضواء الآن في كامل البناية، صرخات أمه تتحول إلى نحيب.

- سأبقر بطنك أيها السكير...

- آه،، لعنة الله عليك يا دنيا،، سأطوعكما.

- اسكت أيها السكير،، "كوزه" وأخوه يتراجعان على مهل.

- الدنيا طويلة وعريضة،، سأطوعكما أيها الحقيران،،

- لن نركع لك بعد اليوم... "كوزه" ينظر إلى أخيه. السرور يغمره. - هيا، لننزل إلى الشاطئ... سنقضي الليلة في البيت البحري،،، إنّك ملاح حقا.» [3]

ففي هذه القصة تتجسّد بوضوح سيطرة الأب الظالمة على الزوجة/ الأم وعلى الأولاد وعلى الجيران، وعلى العالم بأكمله، كون«علاقات الرّجل بالمرأة في ظلّ الحضارة الأبويّة– التي هي حضارتنا-

---

[1] - مرزاق بقطاش، كوزه، ص51.

[2] - المصدر نفسه، ص52.

[3] - المصدر نفسه، ص52، 53.

كانت منذ ألوف السنين ولا تزال علاقات اضطهاد وسيطرة.»[1] وكون المجتمع الجزائري يتّصف بأنّه:«مجتمع يفتكّ به داءان عضالان: تخلف حضاري وعبودية نسويّة.»[2]

ولا يمكننا وصف سلوك الطفل كوزه اتجاه والده بالسلوك العنيف أو السيئ، لأنّه«لا يوجد أطفال سيّئون، ولكن يوجد أهل سيّئون، وأنّ الطفل ليس بحاجة إلى توجيه بل الأهل هم الذين بحاجة إلى توجيه. ولئن شكا الأهل مشكلة من المشاكل لدى طفلهم فإنّنا واجدون بالاستقراء مشاكل أخرى، وما ذلك إلاّ لأن الطفل يعيش في جوّ غير مستقر، ولأنه قد فقد الاطمئنان وأصبح يعاني القلق.»[3]

فالحرمان من الرعاية والعطف، وسلطة الأب ومعاملته القاسية، والتربية السيّئة هي التي جعلت الطفل "نبيل" - في سن الثانية عشر - في قصة "**الحلم الضائع**" لـ "**عز الدين جلاوجي**" كائنا يعاني القلق والاكتئاب والإحباط المبكّر، إذ تُستفتح القصة بشتم الأب ابنه:«"اخرج اخرج يا كلب وجدت الطعام حتى تطمع في غيره". واندفع خارجا من البيت كالصاروخ والكلمات تصك أذنيه صكا عنيفا، فتدمي قلبه كما أدمى جسده ذلك الحزام الجلدي. وتاه على وجهه في المدينة الصاخبة لا يعرف أين يقصد، ولا إلى أين يتجه... غاب عن الحياة... نسي كل شيء من حوله... نسي حتى نفسه... وراح يعيد لذاكرته كيف طلب من أبيه هذه الصبيحة دنانير معدودة لشراء كتب يكوّن مكتبة صغيرة كمكتبة سليم صديقه التي سمع عنها الكثير... وكيف انهال عليه أبوه صفعا ولطما وركلا حتى كاد يقضي عليه لو لم تتدخل أمه الحنونة في الوقت المناسب لتفسح له طريق الانفلات من مخالب هذا الوحش الكاسر، وتتحمل هي بعد ذلك بعض الضربات على رأسها وظهرها. مسح دموعه بيديه الصغيرتين.»[4]

هنا تتجسد أشكال العنف الأسري الموجه ضد الطفل كالعنف الجسدي" و"العنف النفسي"، ويتألف العنف الجسدي«من أفعال كالضرب والتشابك بالأيدي والتشاجر وإحداث العاهات والصفع واللكم والرفس، مما ينتج عنها الجروح أو الكسور أو الإعاقة أو القتل، حسب الطريقة المستعملة في العنف، التي تتراوح

---

[1] - جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، ط2، بيروت، 1979م، ص6.

[2] - المرجع نفسه، ص7.

[3] - نبيه الغبرة، المشكلات السلوكية عند الأطفال، ص7.

[4] - عز الدين جلاوجي، الحلم الضائع: لمن تهتف الحناجر، إبداع، ط1، دب، 1994م، ص30.

بين عنف اليد والرجل إلى استخدام الآلات الحادة كالسكين أو الحذاء أو السلاح القاتل.»[1] فقد لجأ الأب في هذه القصة إلى استعمال الصفع، واللطم، والركل، والضرب بالحزام الجلدي.

أمّا العنف النفسي فهو كل« فعل مؤذي لنفسية المعنَف ولعواطفه بدون أن تكون له أية آثار جسدية، إلا أن الآلام الناتجة عنه تكون في الغالب أكبر لاستمراريته في الغالب، ولكونه يحطم شخصية الإنسان، ويزعزع ثقته بنفسه، ويؤثّر على حياته في المستقبل، ومن مظاهر هذا العنف: الشتم والإهمال وعدم تقدير الذات والتحقير والنعت بألفاظ بذيئة والإحراج والمعاملة كخادم، وتوجيه اللوم والاتهام بالسوء وإساءة الظن والتخويف والشعور بالذنب، بالإضافة إلى التهديد.»[2] وقد استعمل الأب أسلوب التهديد والشتم(كلب، حمار...) ضد ابنه، فتتكوّن بذلك لدى الطفل فكرة الأب/ الإله الذي يسلّط العقاب على كلّ من سوّلت له نفسه معارضة أوامره، أو ردع نواهيه أو عصيانه.

إنّ سلطة الأب الظالمة سلطة مستمدّة من عوامل إحباط نفسي، ربّما تعرّض له هذا الأب في طفولته، فراح يسقطه على أبنائه، وهذه الظاهرة يمكن تعميمها على معظم الآباء في مجتمعنا، منذ القدم إلى يومنا هذا، وقد يكون الاستعمار هو سبب هذا الإحباط، لما خلّفه من رموز الإذلال والعبودية، كما قد يكون بسبب نظام التربيّة القاسية والمتزمتة التي وسمت حياته الطفولية، فأخذ يصبّها على أبنائه. [3]

وكثيرا ما نشاهد في الواقع حالات عديدة لأطفال تعرضوا لأعمال العنف الجسدي من طرف الوالدين، والتي أحدثت في معظم الأحيان عاهات على وجوههم وأجسادهم، وقد«أحصت وحدات الدرك الوطني فيما يخص العنف الجسدي ضد الأطفال بكل أشكاله عدة حالات يعتبر الطفل فيها أو القاصر ضحية منها 412 طفل ضحية الضرب والجرح العمدي في سنة 2007 ، و429 ضحية في 2008.»[4] وذكرت معظم تقارير الأخصائيين النفسانيين أن الإهمال العائلي وسوء المعاملة من قبل الوالدين وفشلهم في توفير الرعاية المناسبة من مسكن وملبس وغذاء وحب وحنان، والتربية والتعليم والتوجيه والرعاية الطبية وغيرها من الاحتياجات الأساسية الضرورية لتنمية القدرات الجسدية والعقلية والعاطفية، سبب في

---

[1] - كاظم الشيب، العنف الأسري، قراءة في الظاهرة من أجل مجتمع سليم، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2007م، ص45.

[2] - يامن سهيل مصطفى، العنف الأسري وعلاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين، رسالة ماجستير، قسم الإرشاد النفسي، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا، 2009-2010، ص54.

[3] - ينظر: جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، ص9.

[4] - sites.google.com

تشرد الطفل. فيما تبقى الرقابة أحسن طريقة لمتابعة خطواته لتنمو ثقة الطفل بوالديه ويشعر بالأمان والدفء والحنان، لينمو نفسيا وجسديا نموا سلميا يقيه من التعرض للمخاطر.[1]

وهو ما لم يوفّره الأب لابنه نبيل(قصة"الحلم الضائع) فتتحطّم بذلك صورة الأب المثالي العطوف على أولاده الصغار لدى نبيل، حتّى يعتقد أنّ كل الكبار ممن حوله يتّصفون بمثل هذا الظلم والجبروت، ثمّ تتبادر إلى ذهنه جملة من التساؤلات، تحيّره وتبعث القلق في نفسيته:« لماذا يعامله أبوه هذه المعاملة الوحشية، ألم يقولوا أن الأب يعطف على أولاده؟ لاشك أن أباه يكرهه، حقا الأسرة فقيرة وأفرادها كثر، والأب عامل بسيط يكدح الكدح المتواصل ليطعم العائلة من جوع ويكسوها من عري، وهو عصبي المزاج، إن اختلافه الدائم مع رب العمل زاد الطين بلة، ولكن هل ما طلبه شيء يبعث على الغضب؟ والأب ألا يبذر أضعاف ما طلب هو؟ إنّه يقضي معظم وقته في المقهى لا يكاد يفارق طاولة القمار... وهو شديد الإدمان على الدخائن يبتاعها بأغلى الأثمان، بل هو سكير لا يحل العشاء إلا ويعود إلى البيت في حالة يرثى لها، يثور ويفور ويرغد ويزبد ويكسر كل ما وجد أمامه، والويل ثم الويل للأم إن نطقت، وتذكر أمه...آه ما أشقى أمه المسكينة! ما أتعسها! إنّها تعيش صراعا مريرا مع الزوج.»[2]

تبدو هنا علاقة الطفل الجزائري بوالديه علاقة مضطربة، يسيطر عليها تعاطف كبير مع أم مقهورة بائسة، وحقد وكراهية اتّجاه أب عنيف، وليس للأم أمام غطرسة الزوج من حيلة سوى اللجوء إلى عالم السحر والشعوذة علّها تجد الحل،«ليس لها إلاّ الله تضرع إليه وتبكي، أو أولياء الله الصالحين وخدامهم من الدراويش والسحرة، حين تزور أولئك وتستغيثهم وتكسو قبورهم، أو حين تزور هؤلاء فيؤكدون لها أن هذه العقاقير كفيلة بإعادته إلى رشده، وأن هذه القراطيس ستجعل منه تابعا أمينا ورجلا صالحا.»[3] فتُصدّق الزوجة بطبيعة الحال ذلك. ولكونها أميّة غير متعلّمة، فهي تؤمن إيمانا مطلقا بهذه المعتقدات، وتأمل كل الأمل أن تُصلح لها حال زوجها وتحلّ مشاكل ابنها.

ويعقد القاص موازنة بين الصديقين، "نبيل" بطل القصة الفقير، وصديقه "سليم" الغني، أو بين طبقتين: الطبقة الفقيرة والطبقة الغنية من حيث نمط الحياة ونوع المعاملة، يمكن تلخيصها في الجدول الآتي:

---

1 - ينظر: يامن سهيل مصطفى، العنف الأسري وعلاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين، ص70.

2 - عز الدين جلاوجي، لمن تهتف الحناجر، ص31.

3 - المصدر نفسه، والصفحة.

| سليم | نبيل |
| --- | --- |
| - غني.<br>- يملك مكتبة ضخمة في البيت، ويشتري له أبوه دائما الكتب التي يريدها.<br>- يعطيه أبوه كل شهر عشرة دنانير.<br>- أبوه معتدل الهندام، حليق اللحية، يضع نظارة جميلة.<br>- اشترى له أبوه طائفة من الكتب التي أعجبته. | - نحيل الجسم، نحيف، فقير.<br>- ليس له مكتبة ولا حتّى كتبا، وحين يطلب من أبيه نقودا ليشتري كتبا يضربه.<br>- لا يعطيه نقودا.<br>- أبوه سكّير، غليظ الطبع، جاف المزاج، لا يداعبه ولا يلاعبه، ولا يسمع منه إلاّ التهديد والوعيد.<br>- سرق كتابا من المكتبة أعجبه كثيرا، لأنّه لا يملك نقودا. |

هكذا يظهر القهر الطبقي الذي يعانيه المجتمع الجزائري، ومرارة الواقع المعيش الذي تتحكّم فيه المادة، ويؤكّد قسوة الفرد الغني– والد سليم- الذي تذمّر من صديق ابنه كونه فقيرا، ولم يسمح لسليم بالبقاء مع نبيل ورفض صحبتهما، لأنّه يعتبر "نبيل" من الأولاد الطائشين، ولأنّ "نبيل"«في رثاثة ثيابه ونحالة جسمه لا يكون إلا من أولاد الأزقة الطائشين، ثم أخذ ابنه عنوة، وودع سليم صديقه بنظرة اعتذار وحرج. واضطربت نفس نبيل وبقي لا يدري ما يفعل ولا كيف يتصرف، أليس هو طفلا يحب أن يقرأ الكتب؟ لماذا لم يرزقه الله أبا مثل هذا؟»[1] فيترسّخ بداخله الشّعور بالنّقص والأسى لفقده الأمل في اقتناء الكتب التي يحبّها مثل صديقه سليم.

والنتيجة المتوقّعة هي أنّ الطّفل يفكّر مليّا في الأمر ليكون مثل سليم، فلا يجد سوى السرقة مفرّا ومخرجا، فَيهمّ بسرقة ما يحتاجه من المكتبة، حيث سرق نبيل كتاب "الكلب الوفي" الذي أعجبه كثيرا لأنّه كان مولعا بالكلاب الأليفة،«ونظر ذات اليمين وذات الشمال... تأمل البائع إنه مشغول في الحديث مع زملائه، ولاحظ الزبائن إنهم منصرفون إلى الكتب هذه إذن فرصة فلا يضيعها... وحمل الكتاب بحذر شديد ووضعه تحت قميصه وشده بيده الصغيرة وانطلق خارجا وقلبه يخفق كقلب عصفور مهيض الجناح يكاد الصياد أن يمسكه، ووضع رجله اليمنى عند عتبة الباب، ورمى باليسرى خارجه وما كاد يختفي إلى

[1] - عز الدين جلاوجي، لمن تهتف الحناجر، ص35.

اليمين حتى هوت على ظهره يد ضخمة أمسكته من كتفه وأعادته إلى الداخل. "سراق سراق لقد رأيتك... كنت متأكدا من أنك ستسرق... ولد الحرام".»[1]

إنّ "نبيل" وبسبب الفقر أصبح يعاني من شعور شديد بالنّقص، ويشعر دائما بأنّه دون مستوى أقرانه، وكان بالإمكان أن لا يكون كذلك لو وفّر الأب ما يمكنه توفيره من تلك الأدوات أو اللعّب، وهذه ليست معضلة على الإطلاق، فهي زهيدة الثمن إذا ما قورنت بما ينفقه الآباء على شراء التبغ مثلا أو ما ينفقونه من أضعاف مضاعفة على طاولة القمار وعلى مصاريف زائدة، حتّى لا يضطر الأطفال إلى السرقة، حيث لا يُجدي الاستعطاف مع صاحب المكتبة، ومع مجتمع قاس كمجتمعنا، فحين«تعالى صياح الصبي وعويله يسترحم الرجل ويطلب منه الصفح والعفو، ويقسم له بأغلظ الأيمان أنه لن يعود إلى فعلته. لكن الرجل لم يبال بكل ذلك، فنزع منه الكتاب، وهوى عليه صفعا ولكما وركلا، وما نجاه إلا زبون رحيم كان هناك، وما كاد يتخلص من مخلب النسر الكاسر حتى اندفع خارجا كالصاروخ وكلمات الشتم تصك أذنيه صكا فتدمي قلبه كما أدمى الصفع وجهه وأبكى عينيه الرماديتين.» [2]

وحين تضطرب علاقة الأب بالأم، ويحدث الطلاق بينهما، فإنّ الوضع هنا يتفاقم ويزداد تأزّما بالنسبة للطفل، الذي يعتبر الضحية الأولى للمشاكل العائلية التي تؤثّر تأثيرا سلبيا على نموّه النفسي والاجتماعي، وتؤثّر بدرجة كبيرة على شخصيته، خاصة في السنوات الأولى من حياته الطفولية. وما يزيد الأمر سوء في حالة الطلاق هو شعور الابن بفقدان شيء ما، وهذا الشعور ينعكس على مساره النمائي وعلى مساره التعليمي بشكل خاص، فيؤدي ذلك إلى فشل الطفل في الدراسة والتخلي عنها، وقد يصل الأمر إلى استخدام المسكرات والمخدرات للابتعاد عن هموم الأسرة، أو إلى الوقوع في بعض الأحيان في أحضان المتشردين الذين يقودونه إلى عالم الجريمة، وبذلك يضيع مستقبله.[3] وهو ما نلمحه بوضوح في قصة "**ثمن المخاطرة**" لـ "**رابح خدوسي**" ، حيث يعاني الطفل "زهير" من الحرمان العاطفي، والتفكّك الأسري، إثر تطليق الأم التي خلّفت هزّة نفسية عنيفة على علاقة الطفل بوالديه، ونحن نعلم أنّ أول سمة من سمات الأمن العاطفي هو حب الأم، فالطفل هنا فقد مصدر العطف والحنان، وقاسى هوس الأمومة الضائعة، و« تنهد زهير من أعماق نفسه التي كانت تهفو إلى ابتسامة ألفها من أحب الناس إليه ولم يجد

---

[1] - عز الدين جلاوجي، لمن تهتف الحناجر، ص37.

[2] - المصدر نفسه، والصفحة.

[3] - ينظر: مسعودة كسال، مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1986م، ص65.

لها بديلا...»[1] وما ترتّب عن هذه الحادثة – الطلاق- من سلبيات على نفسية زهير، حيث استحوذت علاقة افتراق والديه على تفكيره كلّيا حتّى وهو بالمدرسة وسط زملائه، فحين« استأنف المعلم الدرس سائلا:- من يغسل الملابس وينظفها؟ رفع التلاميذ أصابعهم للإجابة، ما عدا زهيرا الذي كان شارد الذهن يفكر بعيدا، حتى انتبه معلمه إلى حاله فسأله عن قصد: - زهير. من ينظف ملابسك؟

- أبي هو الذي ينظف ملابسي.

يضحك الأطفال فيحمر وجه زهير خجلا ويبتسم المعلم مستفسرا: - وأمك ماذا تفعل؟ سؤال تردد في أعماق زهير الذي سأل نفسه في الحين: "لماذا هجرتنا أمي؟ ماذا تفعل يا ترى؟؟".»[2]

وبعد خروج الأطفال من المدرسة في اتجاه منزلهم، كان صفير الرياح وظلمة السماء ينذران بثورة الطبيعة، وحدوث العاصفة، امتطى بعض التلاميذ السيارات المنتظرة ورافق آخرون أقاربهم تحت المعاطف أو المطريات، بينما بقي زهير وحيدا، لا سيارة تأخذه ولا أبا يرافقه، فخرج إلى الشارع مقتحما سيل المطر الجارف. في تلك الأوقات كان والداه في صراع حاد بالمحكمة حول أحقية حضانته، وكانت«الأم المطلقة تقسم بأن زهيرا لها والأب يحرم حياته ثلاثا إن ظفرت مطلقته بزهير، وخرجا يتسابقان للقبض عليه.»[3]

وفي تلك الأثناء«بدأت غزارة المطر تقل كما كانت تقل مسافة الشارع أمامهما بينما كان عدد الأشخاص يتزايد حول مكان الحادث يتأملون في صمت أشلاء طفل ويلعنون مخترع السيارة. وقف كل منهما وسط الدائرة في مواجهة خصمه، صرخت الأم:- رجله، ابني زهير.. وسقطت مغمى عليها وارتمى الأب على حذائه يقبله مناجيا:- زهير،، زهير ابني.»[4] فامتزجت الأدوات المدرسية بأشلاء صاحبها، مات زهير، وامتزجت الدموع بالدماء المتدفّقة التي جعلت بركة الماء الصغيرة تحمل ألوانا كثيرة، لا يقرأ الرائح والغادي فيها سوى آيات البؤس والحرمان.

وكل ذلك هو نتاج الطلاق وافتراق الوالدين، ولذلك تعدّ علاقة الوالدين أحدهما بالآخر أساس الجوّ العاطفي الذي ينشأ فيه الطفل، ويجد توافقاته الأولى مع الحياة، وتظلّ الأم هي الأساس المركزي والينبوع

---

[1] - رابح خدوسي، ثمن المخاطرة: احتراق العصافير، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1989م، ص35.

[2] - المصدر نفسه، ص36.

[3] - المصدر نفسه، ص38.

[4] - المصدر نفسه، ص39.

الأصلي لأمن الطفل وحنانه،«وغياب الأم أو انفصالها من العوامل الأساسية التي تزلزل أمنه وتشعره بالضياع والشقاء، وتغرس في نفسه الشعور بالحيرة والارتباك والبلبلة.»[1]

ومن أبشع بعض الصور صورة الطفولة المسعفة نتيجة علاقات غير شرعية، وتخلّي الوالدين عن ابنهما، وتركه في أحضان الشارع متّشردا، أو في الملجأ تائها حائرا، إذ يورد لنا القاص في قصة "**الخطيئة**" طفولة إحدى الفتيات في شكل مأسوي؛ فتحت عينيها لتجد نفسها في الملجأ« تحكي مأساتها وتترجم أحزانها.. ولا تجد القدرة على أن تمنع قطرات الدموع التي بلّلت أهدابها. من أبوها.. من أمها... لا تدري؟!! ألها أهل أو أقارب... لا تدري؟!!... من أي منطقة هي... لا تدري؟!!...»[2] فقد ولدت دون أن تعرف لها أما ولا أبا، وعاشت في الملجأ الذي«كان بالنسبة إليها كل شيء.. ويكفيها أنها لا تشعر فيه بتلك النظرات القاتلة الرهيبة التي يقابل بها المجتمع الفتيات اللاتي هن في مثل سنّها وفي وضعها. ففي الملجأ لم يعاملها أحد بالقسوة والخشونة... كانت تجد الابتسامة على الشفاه التي تعيد إليها الرغبة في الحياة.. والعيون الضاحكة التي تنسيها في آلامها وحيرتها وقلقها. كان الملجأ يضم أبرياء رأوا النور في أمكنة مظلمة، أو وجدوا في صناديق القمامة أو على الطرقات هناك في الجبال والغابات...»[3] إنّ هذا الفعل يعد إجراما في حق الطفل؟ أم مجرمة وأب مجرم، كيف طاوعهما قلبهما على التّخلي عن فلذة كبدهما بهذه السهولة؟ هنا تتجلّى صور البشاعة والقسوة في أسمى معانيها.

إنّ الأطفال يحتاجون إلى حب حقيقي يتجسّد في أب يعيشون في كنفه، وأم ينعمون بالحنان في ظلّ حبها لهم، ولا يعوّض هذا الحب الممزوج بالشفقة والعطف حب أب أو أم بديلة، فحتّى ولو حرصت إدارة الملجأ على توفير المناخ الأسري للأطفال، غير أنهم يبقون في حاجة لأن يعيشوا في أسرة طبيعية حقيقية. كما أنّ جوّ الحرمان له تأثير ليس فقط على حاضر الطفل، بل أيضا على توافقه في حياته ومستقبله كفرد وكزوج أو زوجة تقيم بدورها أسرة جديدة.[4]

---

[1] - سهير كامل أحمد، دراسات في سيكولوجية الطفولة، ج1، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، الإسكندرية، 1998م، ص42،43.

[2] - محمد بن عجال، يوميات رجل نبيل، ص25.

[3] - المصدر نفسه، والصفحة.

[4] - ينظر: سهير كامل أحمد، دراسات في سيكولوجية الطفولة، ص44.

**2- العنف في المدرسة:**

أشرنا في نقطة سابقة من البحث إلى مدى معاناة الطفل الجزائري في المدرسة الفرنسية، وما يلاقيه من قسوة في المعاملة وحرمان من أي لون عاطفي من طرف المعلّم الفرنسي.[1]

وتتجسّد الصورة السلبية لمعاملة المعلّم/ الفرنسي للطفل الجزائري في قصة "**العودة**" حيث يُلخّص بطل القصة أزمته فيقول:« والشهر الذي قضيته في المدرسة كان في حياتي الأولى صورة للسجن الرهيب. في ثاني يوم، ضربتني المعلمة الفرنسية بوحشية لأني لا أعتني بنظافة جسمي ولا أقلم أظافري. وعدت في المساء إلى أمي وأصابعي متورمة. ومنعتني في يوم آخر من الدخول إلى القسم لأني قذر، لأني كسول... ولا أصلح للمدرسة... أذكر أني عندما قصصت ذلك على أمي أنها قالت لي في اقتضاب شديد: فقط لأنك عربي!...»[2]

ولم تقتصر طريقة التعليم السلبية والكراهية على المدرسة الفرنسية فقط، بل نجدها بعد الاستقلال في المدرسة الجزائرية أيضا، لدى المعلّم الجزائري المحلّي التقليدي في معاملته للتلاميذ، «والحقيقة أنّ المعلّم الجزائري هو شبيه بشيخ الكتّاب، وبالتالي فهو امتداد إلى الأب الرئيس المتسلّط والذي لا يتردد في استخدام القوة والعنف.»[3] فالتلميذ "عمر" في قصة "**الجمرة الذائبة**" لم يفعل ما يستحق كل ذلك الشّتم والضرب القاسي الذي تلقاه من معلّمه، فحين غادر المعلّم القسم ليدخّن سيجارة وترك التلاميذ دون رقيب، ضرب زميلته متشببا، وهي طبيعة فترة المراهقة.

أمّا عن ردّة فعل المعلّم إزاء هذا السلوك فتظهر في قوله:

«- خذ هذه اللطمة يا ابن الكلبة.. تظن نفسك عند أمك! صرخ في وجه تلميذه "عمر"، يثني عليه بأخرى، يثلث بواحدة أمتن من سابقتيها.

- لم أفعل ما أستحق عليه وابل الشتم.

- وتفتح فمك أيضا...»[4] ثم طرده خارجا، وهو« يجذبه من عنق قميصه بعنف.- لم لوازمك، لا دعها، أغرب عن وجهي.»[5] فخرج عمر متمايلا والألم يعصر قلبه، و«لم يقو"عمر" على المقاومة.. ويمسك قلبه المتجمر، حذر الطبيب كثيرا من إغضابه.. قد يتوقف قلبه عن الضخ. وراءه الرصيف،، يمتد على

---

[1] - ينظر: الصفحة120 من البحث.

[2] - محمد شنوفي، حين يعلو البحر، ص8.

[3] - بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، ص99.

[4] - صبايحية بن كلة، الجمرة الذائبة: سقط المحار، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1990م، ص7.

[5] - المصدر نفسه، ص9.

بساط الخضرة النضرة، ينضب الهواء من صدره،، خرسا جدا... يهرع إليه ناس.. يمينا.. شمالا.. لا حراك به.. لا أثر للدماء...»[1] فلا بدّ من القضاء على سلوك قاس مثل هذا اتّجاه التلاميذ، كما لابدّ من إيقاف هذه الجمرة قبل أن تحرق البراعم البريئة.

ويؤكّد علماء النفس أن استعمال الضرب أو الإيذاء اللفظي(الشتم والسب) ضد التلميذ في المدرسة يدفعه إلى العزلة والانطواء والانسحاب من المجتمع أو إلى إثبات ذاته بردود فعل عدائية، تتسم بالعنف والمشاكسة وغيرها من السلوكيات المنحرفة اجتماعياً وأخلاقياً. وتتمثل الآثار السلبية للضرب الجسدي والإيذاء النفسي في تدني مستوى التحصيل الدراسي والغياب المتكرر عن المدرسة، وعدم المشاركة في النشاط الصفي والطلابي، وتعد ظاهرة ضرب التلاميذ من الأسباب الرئيسة للتسرب من المدرسة حيث ينظر التلميذ إلى المدرسة وكأنها مؤسسة للترهيب والتخويف والعنف، وليست مؤسسة اجتماعية ترعى وتبني شخصيته. ويرى معظم علماء التربية أنّ العقاب ليس حلاً، وإنما طريقة الحوار والكلام والطرائق التربوية الأخرى كاستعمال المعلم أسلوب الترغيب والترهيب وغيرها هي الوسائل الأفضل للنهوض بمستوى التلميذ، وتحقيق أهداف التربية والتعليم.[2]

وتتكرّر صورة المعلّم العنيف في قصة "**الاستدعاء الأخير**"، والذي دفعت معاملته القاسية مع التلميذ "أحمد" إلى ترك المدرسة للأبد، فما إن ولج باب القسم وهو مبلّل، يرتعد من شدة البرد« دق الباب دقا خفيفا، ودخل فحيّا واتجه مباشرة إلى المكتب، فسأله الأستاذ وعيناه تقدحان شررا.

- أين كنت؟ لماذا تأخرت؟ أطرق رأسه فلقد عقد الخوف لسانه، فأعاد الأستاذ السؤال بعنف وهو يهزه من كتفه: - قلت لك لماذا تأخرت؟ لم تبكي كما تبكي الفتاة؟ »[3] وألقى عليه أطنانا من الشتائم والسباب(يا حمار، يا حيوان...)

وحقيقة تأخّر أحمد هي أنّ بيته بعيد جدا عن المدرسة، حيث سار على قدميه الصغيرتين هو ورفاقه من أهل القرية خمسة أميال وسط السهول المحروثة، والأمطار الغزيرة تنهمر على أجسامهم الضعيفة، ينتظرون سيارة تقلع إلى المدينة«وأخيرا جاء عمي السعيد بسيارته الملعونة فركبوا معه، كانوا أحد عشر فردا، كانوا وهم وسطها كسمك معلب، ووصله سؤال من أستاذه فأخرجه من شروده: ما الذي جر الاسم في هذه الجملة؟ فأجاب مرتعدا: -عمي السعيد... أ... أ السمك المعلب، وانفجر زملاؤه

---

[1] - صبايحية بن كلة، سقط المحار، ص11.

[2] - ينظر: وفيق صفوت مختار، مشكلات الأطفال السلوكية، ص24.

[3]- عز الدين جلاوجي، لمن تهتف الحناجر، ص63.

ضاحكين، وحمل الأستاذ عصاه الغليظة وقصد إليه مزمجرا فصب عليه جام غضبه عشرون ضربة كاملة، ثم هدده بالطرد إن هو أعاد الكرة واستهزأ بالأستاذ. أمر الأستاذ بعد إنهاء الدرس بنقل ما دوّن على السبورة ثم راح يطوف على الصفوف يتفقد الكراريس، ووقف عند أحمد فألفاه يكتب على ورقة مفردة فنظر إليه بوحشية. - أتكتب على مسودة، أين كراسك يا حمار.» [1]

والإجابة الحقيقية هي أنّه لا يملك ولا كراسا واحدا، لأنّ«أبوه فقير معدم يعيل أسرة كبيرة، ثم هو بطال يعمل اليوم واليومين ويتوقف الأسابيع والشهور»[2]

إنّ العنف البدني الذي تعرض له الطفل الصغير كان بليغا، والطريقة القاسية التي عامل بها المعلم تلميذه داخل حجرة الدرس، والتي هي بالأساس مكان للتربية ونبذ العنف قد دفعته لترك المدرسة. وبعد طرده « وضع محفظته بين ركبتيه ثم فتحها... وأخرج منها ورقة نشرها... وتصفحها، إنها استدعاء موجه إلى أبيه، إنها الاستدعاء الثالث والأخير وسيفصل بعدها وعندها سيحقق أمله، سيغدو حرا طليقا، ولعنة الله على المدرسة وأساتذتها الجبابرة. طوى الاستدعاء ببطء شديد وأحكم طيّه ثم مزقه إربا إربا كأنما يمزق في تحد أجسام أساتذته.»[3] وهنا تتكرر صورة كره التلميذ للمدرسة بسبب قسوة وجبروت المعلّم.

وفي الأخير نستنتج أنّ الأب والمعلّم يمثّلان بالنسبة للطفل المثل الأعلى، والقدوة التي يقتدون بها، لذلك فإنّ«كل الانفعالات والأساليب السلوكية والعادات والاتجاهات سواء أكانت مرضية أم صحيّة، سويّة أم شاذّة، تتمركز حول الآباء باعتبارهم مصادر السلطة. وحينما يكبر الطفل ينقل هذه الانفعالات والأساليب، ويبدأ في تعميمها، فالمعلمة تصبح البديل أو القرين لأمه، وكذا المعلم يصبح القرين أو البديل لأبيه، لذلك لاغرو إذا كانت التربية الحديثة تؤكد على تربية الآباء قبل الأبناء، وتربية المعلّمين قبل تربية التلاميذ الصغار.» [4]

## 2- 9- الطّفل والرّمز:

تدل كلمة الرّمز Symbol في قاموس Oxford على:«علامة أو أثر أو إشارة أو شخص ما، أو متعين أو مدرك بشكل عام. وهي قد تشير إلى النموذج كما هو مبين في المثال التالي، حيث إنه في الرمز الحسابي تصبح علامة (×) رمزا لعملية الضرب الحسابي، وعلامة (÷) رمزا للقسمة، وعلامة (+)

---

1 - عز الدين جلاوجي، لمن تهتف الحناجر، ص64.

2 - المصدر نفسه، ص66.

3 - المصدر نفسه، ص67.

4 - وفيق صفوت مختار، مشكلات الأطفال السلوكية، ص24.

رمزا للجمع، وعلامة (-) رمزا للطرح... الخ. أمّا في إطار الرمز اللّغوي فإنّه يمكن اعتبار اللون الأبيض رمزا للنقاء والطهارة، مثلما يعد الصليب رمزا للمسيحية.» [1]

وهو المعنى نفسه – تقريبا - الذي يورده معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، حيث يدل الرمز على«الكائن الحي أو الشيء المحسوس الذي جرى العرف على اعتباره رمزا لمعنى مجرد كالحمامة أو غصن الزيتون رمزا للسلام.»[2]

وقد دخل الرمز حقل الأدب مثلما دخل سائر مجالات العلوم الإنسانية، حتّى أنّه تشكّلت باسمه حركة أدبية«اقترن ظهورها بأواخر القرن التاسع عشر، وكان من أشهر روادها بودلير وڤيرلين ومالارميه، وخلاصة ما تدعو إليه الرمزية:أن العالم غابات من الرموز، وأن الحواس فيه تتراسل، وقد عبّر الرمزيون بالألوان والروائح والأصوات عن الفكر، وربطوا بينها وبين المعاني والأفكار والصور. ولعله من اللآفت للنظر أن ارتباط الرمز Symbol بالأجناس الأدبية، كان متحققا أكثر ما يكون في فن الشعر، فالحركة الرمزية كانت – أساسا- حركة شعرية، ولأنّ الشعر- بطبيعته- بناء صوري، يعتمد على تراكم الصورة الفنية التي تمتزج فيها الألوان بالروائح بالأصوات بالأفكار، فإنه كان- بداهة- أن تتحقق فيه معطيات النزعة الرمزية، إلا أن هذا لا يعني أن الرمز قد أصبح موقوفا على فن الشعر وحده، وإنما امتد ليفرش ظلاله على سائر الأجناس الأدبية الأخرى بصور متفاوتة.» [3]

ومن أكثر الأجناس الأدبية التي دخل حقلها الرمز: فن الرواية وفن القصة. ويعدّ رمز الطفل أحد زوايا صورة الطفل التي تشكل ملمحا فنيا في الإبداع القصصي المعاصر.

ومن بين الدلالات التي ارتبطت بالطفل كرمز نجد:

- الطفولة رمزا للبراءة.
- الطفولة رمزا للمستقبل.

[1] - منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، ص189، نقلا عن Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English. Oxford University, 1977. Symbol .

[2] - مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص130.

[3] - منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، ص189،190.

**أ - الطفولة رمزا للبراءة:**

إنّ البراءة هي الوصف الأكثر شمولية والتصاقا بالطّفولة، وهذا ناتج من الموروث المعرفي العام للطفولة من أنّها رمز للبراءة عموما، فالبراءة بمفهومها اللّغوي هي السلامة من كل ذنب وعيب، لذلك تتجسد البراءة في القصة انطلاقا من عيوب وذنوب تنأى الطفولة عنها.

وتمثّل الطفولة النقاء والبراءة في قصة "**ثلاث ألعاب خطيرة جدا: من أرشيف البراءة**" **لحفيظة ميمي**، والتي تحوي ثلاث قصص هي:علم الجزائر، وبقايا اتفاق، والعلبة البيضاء، تصوّر كلها براءة الأطفال. فأبطال قصة "**علم الجزائر**" أطفال أرادوا«أن يلعبوا لعبة، فكروا في الحرب، بل في الثورة التي اشتدّ لهيبها منذ فترة... قال أكبرهم: - يجب أن ننقسم إلى فريقين، فريق من عساكر العدو، وفريق من الثوار.»[1] وهم يواجهون الحياة بقسوتها ومرارتها، لكنّهم ينجحون دائما في أن يجعلوا كلّ ما هو مرير إلى رغبة مستمرة في الحياة، إنّ الحرب تندلع، وتتحوّل السماء إلى كتل من النيران، لكنّ الأطفال يجعلون من الحرب المدمرة مادة للعب، قال أكبرهم:«أنا قائد المجاهدين، ومعي ثلاثة إخوان، وأنت هناك قائد كتيبة العدو، ومعك أربعة بل خمسة أفراد، فعساكر فرنسا دائما أكثر عددا وعدة. علّق الآخر:- ولكن المجاهدين دائما أقوى ! واستعدّ الجميع لخوض غمار اللعبة.» [2]

إنّ الطفولة رمز لاستمرارية الحياة والنماء، مهما كانت قاسية، والأطفال رمز للتغلّب على هذه القسوة، كما أنّ الطفولة أيضا تمتلك القدرة على تجاوز المحن، لكنّ«الجميل في لعبة هؤلاء الأطفال أنّ عناصر العدو انضموا إلى المجاهدين، وراح الكل ينادي بحياة الجزائر، حتّى الشهيد فوق أكتافهم كان صوته يرتفع مناديا، والعلم بزهو يرفرف في السماء عاليا.»[3] فحتّى وإن فني الشهيد جسديا فإنّ صوته سيبقى خالدا، صوت شعب يأبى العيش تحت وطأة المستدمر الظالم، كما يأبى حياة الذلّ والهوان.

وتنتهي القصة بصورة الأطفال وهم يمارسون حياتهم الطبيعية وألعابهم دون أن تؤثّر فيهم مرارة الحياة، ويصبح المشهد الأخير رمزا للتفاؤل واستمرار مسيرة الكفاح لتحرير البلاد«لكنّ العجيب في لعبة هؤلاء الأطفال أن المجاهدين وعناصر العدو كلّهم سقطوا شهداء، وضمخوا بدمائهم الزكية العلم المقدس وهم يهتفون :(تحيا الجزائر.. تحيا الجزائر...!)»[4]

[1] - حفيظة ميمي، ممنوع قطف الأطفال، ص144.

[2] - المصدر نفسه، 144،145.

[3] - المصدر نفسه، ص147.

[4] - المصدر نفسه، والصفحة.

وافتتاح المؤلف للقصة واختتامها بالأطفال رمز لاستمرارية عجلة الحياة، وملحمتها الكبرى، فالأطفال هم بدايتها، وهم استمرارها، وهم صنّاع تاريخها ومجدها، وبدون وجودهم، تتوقف هذه العجلة، لتتقطع مسيرة الحياة الإنسانية وتتمحي.

وتتكرّر صورة الطفل البريء في قصة "**العلبة البيضاء**"، الذي صنع ببراءته«طائرة من ورق، مزهوا بها أطلقها كالحلم في الأفق، حتى ابتسمت لصنيعه الشمس، وراحت الرياح بحرية تلهو بها من شمال إلى جنوب، ومن غرب إلى شرق، وهو يجري وراءها بفرح، تدهشه ألوانها المستعارة من قوس قزح..!»[1]

إلاّ أنّ هذا الفرح لم يدم طويلا، فقد«صنعت الحرب طائرات كثيرة من غباء، مزهوة بها أطلقتها كالكوابيس في الفضاء، فاختنقت بالأدخنة السماء، وراودها عن نفسها ما يشبه البكاء. حتّى ضاق شيء ما في صدر الولد، فتساءل في حيرة: - إلى أين هرب الهواء..؟! مشدوها أمسك بخيط لعبته الصغيرة، أراد أن يوقف اللعب، فطائرته الورقية في عليائها بدأت ألوانها من البرد أو الخوف ترتعش، وحتى الشمس على نفسها راحت تنكمش.. ! ومثله... لكنّها مغرورة، أمسكت الحرب بخيوط طائراتها الكبيرة، لا لتوقفها اللعبة بل ليبدأ الخطر.»[2] هذا الخطر الذي خلّف وراءه «وجها عبوسا للشمس وأمّا ما زالت بصحن الدار تنتظره، يدها على خدها وقلبها بالأسى احترق..! فالولد فعلا سقط.» [3] وبسقوطه تلاشت الرغبة في الحياة التي كانت تملأ قلبه، وتملك قلوب كل الأطفال، كما تلاشى عالم الطفولة بكلّ ما يحمله من جمال وعذوبة، وحلّ القبح والألم محل البراءة، وازدادت الهموم، ولم تعد البراءة قائمة، وإنمّا حلّت محلها ضغوط الحياة ومآسيها.

وتختتم هذه القصة بآخر نداء وُجّه إلى كل أذن يمكن لها أن تسمعه يقول:«رجاء العبوا لعبتكم القذرة بعيدا عن سماء طفولتنا.. فنحن مازلنا في أمس الحاجة إلى ضحكة الشمس..!» [4] أي يكفي قتل الأطفال الأبرياء وقتل براءة الأطفال. هذه البراءة التي قتلت أيضا في قصة " **بقايا اتفاق**"، حيث تصوّر لنا القاصة مجموعة من الأطفال يلعبون بالتربة، وأرادوا غرس شجرة يؤرخون بها لميلاد صداقتهم، وما دروا أنّهم إنّما يؤرّخون لشهادة وفاتهم أو بالأحرى استشهادهم – مخلّفات الحرب- إذ ما إن«نبشوا التراب..

[1] - حفيظة ميمي، ممنوع قطف الأطفال، ص151.

[2] - المصدر نفسه ، ص152.

[3] - المصدر نفسه، ص153.

[4] - المصدر نفسه، ص154.

بأظافرهم فعلوا.. فانفجرت الألغام في وجوههم..!»[1] لأنّهم ببراءتهم«أرادوا أن يحفروا حفرة للنبات...وما دروا أنّهم يحفرون قبورا لما بقي منهم من أحلام.. أرادوه تأريخا لميلاد الصداقة.. فأرخوا لدفن الأحلام والبراءة..!» [2]

وتُقتل براءة الأطفال مرّة أخرى في قصة "**حتى أبي كان قرب النّبع**"، لـ "**عز الدين جعفري**" حيث ربط القاص هنا الطّفولة بالماء، كون الماء عذبا طاهرا يرمز إلى براءة ونقاء الطفولة، يقول:«كنت ماء، ومن الماء أتيت، كنت طفلا والطفولة علمتني حبّ أمي والوطن.»[3] أمّا أبوه فقد أخذه العساكر، فدفنوا بذلك براءة الطفل وطفولته في وقت مبكّر، كما وُئد حلمه الذي يتمثل في أمل عودة الأب واسترجاع الوطن:«حلمنا الوحيد أن يعود حاملا غصن الزيتون وقطعة خبز، قبل أن يذهب إلى الأبد، لا لن يعود»[4] فهذا الحلم اضمحل قبل أن يولد، فهل تحققت أحلام الأطفال الآخرين؟

ومن الملاحظ في ما أوردناه من نصوص أن مظاهر البراءة تتجلّى في وجهين:أحدهما ظاهر وهو الجانب الصافي الطّاهر فيها، والآخر مضمر بسبب غياب وعي الأطفال بمآسي الحياة ، وهو الشّقاء والتّعاسة، ذلك أن عدم الوعي بمآسي الحياة لا ينفي وجودها. من هنا يتحدّد إطار الطفولة الذي تتمركز فيه، فتطفو على السطح ومضات البراءة الطاهرة النقية تتبعها ومضات الوعي بمأساة العالم الخارجي، فتبرز بوجهيها، الوجه الصافي الجميل، والوجه التعيس الذي يجهله الأطفال، ويحاول القاص تجاهله بإبراز صورة البراءة واستمرارية الحياة.

**ب - الطفولة رمزا للمستقبل:**

ترصد قصة "**الطبشور اليتيم**" أجواء الأطفال وهم داخل المدرسة، ويشكّل رمز الطفل دلالة مهمّة تتمثّل في أنّ الطفولة رمز للمستقبل، حيث يتحمّل بطل القصة (أستاذ بالثانوية) كلّ الصعوبات والمضايقات التي يسبّبها له المدير، لكنّه يستمر وبمحض إرادته من أجل أداء رسالة محدّدة، وهي إيجاد التواصل بين الأجيال. ويتمثّل في مهمة تعليم الأطفال، فذات«صباح ينذر بعاصفة... وقطرات مطر متتابعة تنقر رأسه الأصلع الذي هجر الوسادة الدّافئة عنوة... حافلة النقل العمومي في إجازة مرضية، وسيارات الأجرة لم يحن بعد بزوغ فجرها... وهو واقف على جانب الطريق متأملا كآبة المكان، ويده

---

1 - حفيظة ميمي، ممنوع قطف الأطفال، ص148.

2 - المصدر نفسه، ص149.

3 - عز الدين جعفري، حتّى أبي كان قرب النّبع: أحلام من ثلج، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، دت، ص62.

4 - المصدر نفسه، والصفحة.

متشبثة بمحفظة سوداء، بليدة، عليها عبارة "العلم نور" تتآكلها الأعوام... عطس، وكانت الساعة السابعة وعشر دقائق، فحزم أمره، وانطلق متحدّيا مطرا غزيرا يلسع وجهه الفحمي... لمّا وصل إلى الثّانوية خف زئير العاصفة وكفّت السماء عن تعذيبه، ولو أنّه مبلّل ومنهك... دلف غير مبال بالمدير العابس... دق جرس الدخول فهرع التلاميذ إلى أقسامهم المنكوبة.»[1] لأنّه معلّم، صاحب رسالة، لا يهمّه في أيّ مكان أو جوّ سيؤدي هذه الرسالة، فالقسم كان باردا، تنعدم فيه التدفئة، والكراسي أيضا ناقصة، حتّى أنّ "محند" (أحد الطلاب) اضطّر للوقوف طوال الحصة، يستوعب الدرس واقفا، بسبب غطرسة المدير ومنعه محندا من جلب كرسي ليجلس عليه.

وتصبح مهمّة الأستاذ شاقة لما يتلّقاه من مدير الثانوية، ولكنّه لا يخضع ويقرّر مواصلة رسالته، فهو« قبل كل شيء أستاذ وإنسان وشريف، ومربي أجيال، ولو أنّه عصبي.»[2]

إنّ الطفولة هنا ترمز إلى الامتداد والمستقبل، ولن يكون هذا المستقبل أفضل إلا في ضوء طفولة واعية متعلمة مدركة، وإنّ العلم هو السلاح الأوّل من أجل تكوين نشء أكثر وعيا وأكثر صلابة، وأكثر فهما للأمور.

## 2- 10- الطّفل والطقوس الشّعبية:

يمثل الطّفل بداية الحياة وركنها الأول، إليه يتوق الوالدان مهما كان شكله أو لونه، لأنّه يمثل الامتداد والجاه والسند، وهو الذي سيحمل الاسم، ويكمّل مسيرة العائلة والقبيلة.

وإذا كان التراث الشعبي في كل مجتمعات العالم يحتفل بالطفل احتفالا خاصّا، فيحمل لنا عبر ميلاده وفطامه ونموه وبلوغه، مجموعة من الطقوس والمعتقدات الشعبية، التي تشير إلى أهمية مكانة الطفل في هذه المجتمعات، ومدى الحرص على سلامته بوصفه دعامة المستقبل. [3]

وإذا كان الفن القصصي– باعتباره فنّا جماعيا من الدرجة الأولى- يسعى للاقتراب من الواقع وتصويره، فإنّه يرصد كذلك بشكل ما هذا الاهتمام، خصوصا عندما تكون الأعمال القصصية قائمة بشكل رئيس على رصد مرحلة الطفولة. وفي هذا الإطار سنحاول أن نتناول قضية "الطفل والطقوس الشعبية في

---

[1] - مصطفى ولد يوسف، الطبشور اليتيم: الرّسم على الجرح الأبكم، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، دت، ص19.

[2] - المصدر نفسه، ص22.

[3] - ينظر: محمد الجوهري وآخرون، الطفل والتنشئة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، دط، القاهرة، 1991م، ص9،77.

القصة"، وإبراز هذه الطقوس التراثية والعادات والتقاليد الشعبية المرتبطة بالطفل أو بالطفولة، التي تمثلتها بعض القصص، انطلاقا من مسلمة أنّ الطقوس موروث حضاري وفكري.

وتنقسم الطقوس الشعبية المرتبطة بالطفل إلى عدة محاور هي:

« 1- الطقوس المرتبطة بالمصاهرة، وما يتعلق بها كالحمل والإخصاب.

2- طقوس الولادة والسبوع والختان.

3- طقوس الرقيا من الحسد والزار والنذور والاستشفاء.

4- ألعاب الأطفال والأغاني والمواويل والتعديد والأمثال الشعبية.

5- الخيال الشعبي والمعتقدات الخرافية والأساطير. »[1]

مع الإشارة إلى أنّ ارتباط الطفل أو الطفولة بهذه الطقوس التراثية والشعبية إنّما يتم بناء على:

1- أنّ هذه الطقوس موضوعها الطفل أو تتضمن قضايا أساسها الطفل.

2- أنّ هذه الطقوس يقصّها الراوي على لسان طفل، أو يستدعيها شخص في مرحلة طفولته، أو يتم ذكرها في الإطار العام لمرحلة الطفولة.

وبالنسبة لهذه الطقوس الشعبية التي ذكرناها، فإنّنا لم نعثر عليها كلّها في القصص التي تمكنا من الحصول عليها، لذلك سنقتصر على رصد طقوس الولادة والسبوع والختان، ورصد ألعاب الأطفال والأغاني والأمثال الشعبية، وكذا المعتقدات الخرافية التي تجسّدت في مدونتنا القصصية.

**أ- طقوس الولادة والسبوع:**

ترصد بعض القصص طقوس الولادة وما يستتبعها من عادات وأعراف، ففي قصة "**انقلابات فكرية يصرح بها اليوم موح السوكارجي**"، يشير القاص عمّار يزلي إلى طقوس الولادة في المجتمع الجزائري، وحالة الغيرة التي اجتاحت بطل القصة بمجرّد مولد أخت صغرى له، والتي يعبّر عنها البطل/ الطفل بقوله:«عندما كنت صغيرا كنت كالجن، كنت أجري خلف الأحمرة... البارحة قيل لي أنّ أمك ستلد. فرحت... لكن الغيرة كانت تطغى على كل إحساس. - "سيولد ويأخذ مكاني إلى جوار أمي"»[2]

فالغيرة لدى الأطفال« تظهر في حالات مثل ميلاد أخ أو أخت للطفل الصغير، وفي مثل هذه الحالة يرتد الطفل إلى حالة طفلية، أو يعود إلى عادات الطفولة المبكرة التي قد يكون قد هجرها منذ وقت بعيد، ومن أمثلة ذلك التبوّل اللاإرادي أو يطلب أن تطعمه أمه أو تلبسه. وقد تظهر الغيرة المكبوتة في

---

1 - منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، ص108.

2 - عمّار يزلي، انقلابات فكرية يصرح بها اليوم "موح السوكارجي":ما بعد الطوفان، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م، ص87.

شكل إنزال العقاب أو الزجر أو التعنيف بلعبه أو في معنى آخر. وفي الغالب لا تظهر الغيرة وحدها حيث يصاحبها كثير من الانفعالات الأخرى مثل الغضب أو الثورة.»[1] وقد اجتاحت هذا الطفل حالة عارمة من الغضب والحزن، من خلال قوله:«حزنت كثيرا لميلادها، لكنّني أدركت أنّها سوف يأتي اليوم الذي تختتن فيه لأرى الدماء تسيل من أسفل بطنها، تموت دون شك، وأسترجع مكاني إلى جوار أمي وأطلق مكاني في كومة التبن وأهجر الحمار.»[2] وهو المكان– الإسطبل- الذي أصبح يبيت فيه، بعد أن استولت المولودة الجديدة (أم الخير) على مكانه لأنّ «أمي ترقدها إلى جوارها كل ليلة. - كرهت أمي، كرهت أبي، كرهت الزغاريد في بيتنا.» [3]

إذ أنّ غيرته من أخته وخوفه على ضياع مكانته سببا له حالة نفسية جديدة، تتخللها موجة عارمة من الغضب والعدوان الذي أثّر على سلوكه وتصرفاته. ذلك أنّ الغيرة«شعور يتكون من الخوف والغضب والشعور بالتهديد في حياة الطفل، أو عندما يجد الطفل تحديا لارتباطاته العاطفية، وقد تظهر هذه الغيرة في شكل عدوان على الأخ أو الأخت، وقد يعبر عنها في شكل ارتداد على الذات، فيؤذي الطفل نفسه.»[4]

ويُستخدم مفهوم العدوان في علم النفس وحقوله المختلفة للدلالة على«استجابة يردّ بها المرء على الخيبة، والإحباط، والحرمان، وذلك بأن يهاجم مصدر الخيبة أو بديلا عنه.» [5]

ويعرّف الباحث النفساني "باص" العدوان على أنّه:«سلوك يصدره الفرد لفظيّا أو بدنيّا أو ماديّا، صريحا أو ضمنيّا، مباشرا أو غير مباشر، ناشطا أو سلبيّا، ويترتب على هذا السلوك إلحاق أذى بدني أو مادي أو نقص للشخص نفسه صاحب السلوك، أو للآخرين.» [6]

ونستشف بعض العبارات الدالة على العدوان من خلال التراكيب الواردة في قصة "انقلابات فكرية يصرح بها اليوم موح السوكارجي" وهي: رفضت، بكيت، كرهت، تموت، أبي يرفضني، حزنت حزنا مرا،

[1] - ياسر نصر، العنف عند الأطفال، المشكلة والحل، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2010م، ص95.

[2] - عمّار يزلي، ما بعد الطوفان، ص90.

[3] - المصدر نفسه، والصفحة.

[4] - ياسر نصر، العنف عند الأطفال، ص97.

[5] - وفيق صفوت مختار، مشكلات الأطفال السلوكية، ص50.

[6] - المرجع نفسه، والصفحة.

الضجر، ركلت الإناء بقدمي غضبا، القلق، هربت، خوفا، راكضا، مأساة...[1]

ويُظهر الطفل هذا العدوان كونه يخاف فقدان مكانته في الأسرة، خاصة بالنسبة إلى أمّه وأبيه «هكذا كان المولود الجديد المنتظر يسبب لي نوعا من القلق والضجر، خوفا على امتيازاتي ومكانتي عند أمي وأبي.»[2] لأنّه في ما مضى كان يحتكر اهتمام ورعاية والديه هو لوحده، ومحطّ أنظار الجميع، ثمّ أصبح بمجيء أخته يشارك منافسا جديدا، وهو ما لم يرق له، فالطفل «عندما ترزق أسرته بمولود جديد لا يرغب أن يشاركه فيما يتمتع به من مزايا، وقد يعبّر عن غيرته هذه بالعدوان الجسمي عليه أو بإهماله، أو بعدم الاعتراف بوجوده، وقد يعبّر عن غيرته في شكل بوال أو بمص الأصابع أو رفض تناول الطعام أو الشقاوة.»[3] فقد عبّر طفل هذه القصة عن غيرته بإظهار الشقاوة والنوم في الإسطبل للفت انتباه والديه، وأملت عليه شقاوته الهروب من البيت باتجاه المدينة«سوف التجئ إلى الهروب إلى المدينة، هناك سوف أنسى أبي وأنسى أمي وأنسى أم الخير والزغاريد والودعة، والنعجة، والدماء، والحنة، وأتفنن في اللهو والاستمتاع.»[4]

إنّ هذا السلوك سببته الغيرة من المولود الجديد التي تُحدث صراعات خفية في الحياة النفسية للطفل، وتؤثّر في علاقته مع الآخرين، وتجعل صاحبها يشعر بالذل والمهانة وعدم الثقة بالنّفس، كما أنّ الطفل الذي يغار من الآخرين ينال دائما سخطهم وعدم رضاهم عنه، وينتج عن الغيرة الشعور بالنقص والانطواء، والعزلة عن الحياة الاجتماعية، كالهروب من البيت مثلا، والاتجاه نحو المدينة. [5]

**- الطّفل والمدينة:**

يعتقد الكثير من الأطفال، وخاصة أولئك الذين يقطنون بالقرى أنّ الحياة في المدينة أحلى وأجمل وأسهل من الحياة في القرية، كونهم يجهلون المخاطر التي قد تواجههم فيها، ففي المدينة تكثر الأمراض الصحيّة، والأمراض النفسية الناتجة عن انتشار الطبقية والحرمان كالقلق والخوف، ومن أخطارها أيضا كثرة الفساد كتعاطي المخدرات، والسرقة، والاختطاف، وارتكاب الجرائم الخلقية كالزنا والقتل... وغيرها من فنون الانحراف وأعمال العنف.

---

1 - ينظر: عمّار يزلي، ما بعد الطوفان، ص87، 88، 89.

2 - المصدر نفسه، ص88.

3 - ياسر نصر، العنف عند الأطفال، ص98.

4 - عمّار يزلي، ما بعد الطوفان، ص90.

5 - ينظر: ياسر نصر، العنف عند الأطفال، ص103،104.

وتُمثّل المدينة بالنسبة للطّفل عالم الطفولة التّعيس، والموت المعنوي، كونه لا يجد فيها إلاّ الحرمان والتشرد والفقر، حيث يتيه الطّفل/ البطل في القصة السابقة"**انقلابات فكرية يصرح بها اليوم موح السوكارجي**"، في شوارع المدينة، ويصدمه الواقع الحقيقي للمدينة بعكس الصورة الأولية التي حلم بها، وتتحطّم فكرة سهولة العيش في المدينة التي تبادرت إلى ذهنه وهو في القرية، وبالمدينة تذكر القصة أنّه:«يحمل كل شجون الغربة والوجع والاشتياق!!وأبكي بكاء خشنا... وأنام على أرصفة الشارع الدامس الطويل! وأقوم صامتا أبحث عن غذاء موهوب... فجيوبي فارغة والمحافظ متخمة في جيوب البذلات المكوية. حبّات زيتون وثمرة صبار شائكة وكأس لبن خاثر سمعت أن ثمنها لا يتعدى إدخال يد في الزحام ثم إخراجها. - احذروا أيها الراكبون... أحرزوا جيوبكم! »[1] ولأنّه سرق قادته دورية الشرطة إلى المخفر، ثمّ ترميه في غياهب الزنزانة جائعا، وهو يبكي، ويلعن المدينة التي علمته كلّ فنون الانحراف وأقبح الصفات، يقول:«سكرت، قامرت، لعنت رب العباد واقترفت أكبر الجرائم الخلقية والآثام... عرفت كل القوادين والمنحرفين، عاشرت الرفاق والإخوانيين وأصدقاء اللعب الرخيصة والسوق السوداء.» [2]

إنّها صعوبة الحياة في المدينة وسهولة حياة القرية، ذلك ما وقع لهذا الفتى الذي ترك قريته وهرب إلى المدينة ظنا منه أن الحياة فيها أحلى وأجمل. ففي المدينة تغيب الطفولة الجميلة، وفيها يضيع الطفل، لكنّ الضياع هنا ليس بمعنى الفقد، وإنّما هو ضياع روحي وتمزّق نفسي، فلقد كبر الولد، وازدادت معارفه وهمومه.

ويحنّ الطفل إلى الأم ويبحث عن وجهها، ويرغب في أن يفضي لها، وحين يشعر بالعجز تنهمر دموعه:«أبحث عن مكان أنام فيه (...) أبكي طويلا...

- تذكرت بيتي، بيت أمي وأبي وأختي الجديدة.»[3] فالمدينة نقيض للطفولة ونقيض للقرية. فالقرية والطفولة تشتركان في الصفاء والبراءة، ومنه يصعب التعايش بين المدينة والطفولة، لأنّ المدينة ذات طبيعة متلافة، تتلف وتفسد كل شيء جميل وبريء آت من القرية، إنّها تتلف الطفولة. [4]

---

[1] - عمّار يزلي، ما بعد الطوفان، ص95.

[2] - المصدر نفسه، ص98.

[3] - المصدر نفسه، ص96.

[4] - ينظر: سليمة عكروش، صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر، ص77.

لذلك قرّر البطل بعد عشرين سنة العودة إلى قريته، إلى طفولته، باحثا عن بيته«من بين ركامات البيوت الحجرية، بكيت كثيرا على حجر أمي التي وجدتها وحيدة ترفع أصبعها تودع البيت. تقيأت على مسمعها أخبار عشرين سنة وبكيت طويلا عند رأسها وعصرت يديها المحننتين في كفي.»[1]

وبالنسبة إلى طقوس الولادة والسبوع فتبدأ منذ الوهلة الأولى حين أُخبر الولد أنّ أمه ستلد:«البارحة قيل لي أن أمك ستلد.»[2] كون الأم هي مبتدأ هذه الرحلة ومستودع أسرارها، والأب يراقب من بعيد منتظرا الحدث السعيد.

ولمّا حان ذلك اليوم – يوم الولادة -«تعالت الزغاريد في الدار وانبعثت أنات أمي تصنع مولودها:

- طفلة... قالت النسوة: - نسميها فاطنة.

- نسميها رابحة. (...) يسمونها باسم جدتي " أم الخير".»[3]

ففي الأسبوع الأول من ولادة الطفل يتم اختيار الاسم للمولود الجديد، لذلك تقام في عدد من البلدان العربية احتفالات خاصة بهذه المناسبة، والاسم الذي يطلق على الطفل له دلالته وله تأثير كبير على مستقبله، حسب الاعتقادات الشعبية، حتّى أنّ البعض يذهب في اعتقاده إلى أنّ الروح لا تدخل في الجسد إلاّ بعد التّسمية، فالاسم والوجود شيء واحد.

وتجري التّسمية بعد استدراج الاسم من الواقع الديني أو من المناسبات أو الظروف المحيطة، وفي هذه القصة فضّلت العائلة تسمية المولودة الرضيعة باسم الجدّة " أم الخير" – وهي عادة منتشرة في المجتمع الجزائري- تبرّكا بهذا الاسم، وأملا في أن يجلب الخير والبركة لهم، وتسمية "أم الخير" رمزا للاستمرار في مسيرة الجدة، وفي نهج طريقتها في الحياة، وأنّ هذه الطفلة ستصبح استمرارا وامتدادا لحياتها. وبعد ذلك«ربطت النسوة الحنة، خضراء ظلت ليلة ثم احمرت في الأيدي، واسودت في أخمص الأقدام المشققة.» [4] فرحا بالمناسبة السعيدة.

وإذا مرّت سبعة أيام على مولد الطفل، وجب أن يقام له طقس السبوع، أو ما يُعرف بـ "العقيقة"، اعتقادا أنّ هذا الطقس يخلّص الطفل من أذى التابعة، إذ يصف طفل القصة ذلك قائلا: «بعد أسبوع أودع جدّي الودعة في فم نعجة هرمة، سمى الله، كبّر، سمّى المولود وحز عنق النعجة حزتين، انفجرت الدماء ينابيع وتخبطت الضحيّة ثمان دقائق كاملة، وسمعت أمي تقول له :

---

1 - عمّار يزلي، ما بعد الطوفان، ص99.

2 - المصدر نفسه، ص87.

3 - المصدر نفسه، ص88.

4 - المصدر نفسه، والصفحة.

- "أم الخير"... هكذا أسميها... "أم الخير"... ويرد جدي برأسه أن نعم... "أم الخير". »[1]

وتتكرّر مثل هذه الطقوس في قصة أخرى هي قصة "**مظلوم**"، حيث نرى كيف تتم عملية الولادة بالطريقة التقليدية الشائعة في الأرياف، وكيفية نزول الجنين من رحم أمّه، وكيف يتم قطع الحبل السري، وما يستتبع ذلك من عادات ومعتقدات، إذ«عندما انطلقت من (مظلوم) صيحته الأولى في ليلة شتوية بهذا الكوخ الهادئ، فقد كانت صادرة من الألم الذي سببه له نصل المطبخ الذي استعملته جدته وهي تقطع حبل سرته.» [2]

وعقب الميلاد تُقام مجموعة من الممارسات مع الطفل المولود نفسه، كتنظيفه عقب مولده، ودهان جسمه، وهو ما فعلته الجدة حين راحت«تنشر على بطنه نثار العرعار المهروس، وتدهن جسمه الصغير من قمة رأسه إلى أخمص قدميه بزيت الزيتون المعتق، ثم تحمله بين يديها المعروقتين، وتعلقه من قدميه ليبقى رأسه إلى أسفل بعض الوقت حتّى يفرغ ما في بطنه من الزوائد أو لتعمل بذلك على تمديد قامته، وتسريح عضلاته وتشيط عروقه...» [3]

وخشية أن يقع الحسد على المولود الذكر، فإنّه يحدث أحيانا أن يُنكر أهل المولود جنسه، أو أن يختاروا له اسما ذا دلالة قبيحة أو سيّئة، اتّقاء لعيون الحاسدين«ومن هذه الأسماء معيوف ومنتوف والخامج ومجدوب والعائب والأعرج والأحول والأطرش والمريض والميت.. إلى آخر هذه التسميات التي يلتجئ إليها أولياء المواليد لحكمة ما، ومنها اتقاء الحاسدين والحاسدات أو لتجنيب أبنائهم عندما يكبرون مطاردة الغواني والخاطبات التي قد تفزعهن هذه الأسماء الغريبة المنفردة.. وهم يقولون عن ذلك، أن المظلوم أحسن من الظالم والمعيوف أحسن من العائف...» [4]

**ب -طقس الختان:**

يعتقد الكثير من الناس أنّ الختان خاص بأطفال المسلمين دون سواهم، وهذا اعتقاد خاطئ، لأنّ تاريخ الشعوب يسجّل وجود الختان في أنحاء عديدة في العالم، عند اليهود وبعض قبائل إفريقيا والمكسيك وقدامى المصريين.[5]

---

1 - عمّار يزلي، ما بعد الطوفان، ص90.

2 - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص205.

3 - المصدر نفسه، ص205،206.

4 - المصدر نفسه، ص206.

5 - ينظر: منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، ص120.

وحين يشبّ الطفل ويقترب من مراحل الصبا يقام له "الختان"، والختان«عملية جراحية لإزالة جزء من القلفة أو البظر، وهي عادة شائعة في كثير من أرجاء العالم، وتتم عملية الختان في الغالب قبل سن البلوغ، وثمة معتقدات كثيرة تدور حول الختان(...) ويذهب البعض إلى أنّ الختان إجراء صحي.»[1] إذ يساهم الختان من الناحية الصحيّة أو الطبيّة « بقسط كبير في وقاية العضو الذكري من الكثير من الأمراض.»[2] وفي هذا يقول "ماتيبان( Matiben ) (1950):«إنّ الختان يجعل الشخص أقل عرضة لمرض السفلس بخمس مرّات من الشخص غير المختّن.»[3] ويكون بعد سنتين أو ثلاث من عمر الطفل أو ربما أكثر.

ويتّصل الختان عند المسلمين بالطهارة النّفسية والمادية، ولأنّ الذهن الشعبي على مرّ العصور حمل الأمر على الطهارة، فلا عجب أن شاع بيننا اليوم مفهوم "الطهور" بدلا من الختان، بمعنى أنّ وجود القلفة يمنع الطهارة، والطهارة شرط من شروط الصلاة، والختان هو أحد طقوس العبور، ويُرمز به لانتقال الطفل من مرحلة الطفولة ودخوله عالم المراهقة والبلوغ، أي مرحلة انتقالية من فئة اجتماعية إلى أخرى، من طور الطفولة إلى طور الرجولة.[4]

وترتبط بهذا الطقس ألوان من العقائد والممارسات الاجتماعية ذات الجوّ الشعبي الاحتفالي، إذ تحتفل الأوساط الشعبية في الجزائر مثلا بالختان كاحتفالها بالزواج، ويبدأ الاحتفال بتزيين البيت، ثمّ يجتمع الجيران والأقارب يوم الاحتفال، وتُذبح الذبائح، وتعدّ النساء طعاما خاصا بهذه المناسبة، متمثلا في أغلب الأحيان في الكسكسي، فضلا عن الحلوى التي تُعطى للضيوف عند مغادرتهم بيت الفرح، ويكون لباس الطفل زاهيا جميلا، وهو عبارة عن جبة بيضاء مزخرفة، ويُؤخذ للمُطهّر، وهو الشخص الذي سيقوم بعملية الختان أو الطهور، وحين يعود إلى البيت تبدأ النسوة بالغناء والرقص، وتتعالى الزغاريد في أرجاء البيت، إعلانا عن بدء مراسيم الاحتفال أو العرس. وهو ما نلمحه في قصة "**الختانة**"، حيث يصف الراوي/ الطفل أجواء ذلك اليوم قائلا:«ترددت حولي الزغاريد، منطلقة من حناجر كوكبة من النساء والصبايا، تعلقت نظراتي بهن، وهن ذاهبات قادمات، في جو من البهجة والارتياح.. فرحت بهن، وفرحت

---

1 - عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، دط، بيروت، 1983م، ص116.

2 - بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، ص117 نقلا عن Toualbi (Nouredine): La Circoncision, Blessure Narcissique ou promotion Sociale , Entreprise National du Livre , Alger 1983 .p.49.

3 - المرجع نفسه، والصفحة.

4 - ينظر: منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، ص121.

بنفسي خاصة.. لأنّي كنت عنصر اهتمامهن ومحور حفلهن.. كنت مرتديا جبة فضفاضة دون سروال، وحول عنقي التف منديل أخضر، كان منذ مدة محيطا برأس أمي..منحته لي استبشارا وفألا. وأمي كلّما لمحت مني شرودا، ربتت على خدي، وابتسمت وقالت: - ستكون رجلا. فأخفض بصري، وقد شعرت بالحياء يغمرني.»[1] اعتقادا منها بأنّ إجراء طقس الختان هو الذي سيدخل ابنها دائرة الصبا والمراهقة، ويجعله رجلا.

ولأنّ الطفل يخاف من تجربة دموية قاسية تتمثل في عملية الختان، والتي يواجهها لأوّل مرة في حياته، وتبعث الخوف والهلع في نفسيته، تلجأ الأم إلى ابتكار الحيل لدرء الخوف عن ابنها، لذلك قالت له:«لا تخش.. كل هذا الحفل لأجلك وحدك.. ثم تتحني علي وتقبلني: سوف تسمعني وترفع رأسك عندما أطلب منك ذلك؟ آه؟ فأشير برأسي، موافقا: - أن نعم. فتكمل: - وحينذاك، سترى في سقف البيت طيورا وعصافير من كل الألوان والأشكال.. سترى طيور الجنان، وقد هبطت إليك، تزقزق وتشدو بألحان السماء.» [2]

وأثناء الحفل تقترب منه إحدى الفتيات وتقول له بكل جرأة:« أياك أن تصدق كلام أمك.. فهي تخدعك. فتشكلت الحيرة على ملامح وجهي.. فابتسمت البنت وهي تلوح عارفة بكل شيء: - سيقطعون لحمك. ثم أشارت إلى وسطي.. إلى ما وراء الجبة، في تلذذ ملحوظ: - وعلى هذا جعلوك تخرج في هذه الجبة، دون سروال. ثم استغرقت في ضحكة رنانة(...) بقيت وحدي. تردد كلام البنت في داخلي.. لم أصدقه. إنها لم تشر إلى طيور الجنان التي سترفرف فوق رأسي، شادية، مطربة..- يا لها من بنت شاطرة.. لا شك أنّها لم تر تلك الطيور.. لأنّها بنت.» [3]

ويرمز الختان عند بعض الباحثين إلى الذبح الأصغر/ الفداء، وهو ذبح مباشر لعضو الذكر، أمّا الذبح الأكبر فيكون في عيد الأضحى، ويرمز له بذبح كبش، وكأنّ التطهير بالذبيحين يتم من خلال الدم.[4]

والدم هاجس آخر يتشكّل لدى الطفل من خلال عملية الختان أو ذبح الدواب«والأهل هنا يخطئون إذ يقحمون أطفالهم في خضّم هذه الطقوس الدينيّة الدّمويّة التّي تؤدّي إلى بث روح العنف فيهم، هذا

---

[1] - عرعار محمّد العالي، الختانة: الحالم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1979م، ص11.
[2] - المصدر نفسه، ص11،12.
[3] - المصدر نفسه، ص12،13.
[4] - ينظر: منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، ص122.

علاوة على أنّ بعضهم لا يقوى على الصمود أمام مثل تلك المشاهد.»[1] كما هو الحال بالنسبة لبطل قصة انقلابات فكرية يصرّح بها اليوم "موح السوكارجي"، حيث ترك لون الحنة الأحمر، والذي يشبه كثيرا لون الدم إحساسا بالخوف لديه، ولذلك رفض وضع الحناء:«رفضت أن تخضّب أيادي باللّون الأحمر.»[2] فهنا لم يقل الطفل: رفضت وضع الحنة، بل استعمل لفظ " اللون الأحمر" الذي يوحي مباشرة على مادة الدم، بمعنى أنّ الطفل لم يكره الحنة في حدّ ذاتها، بل كره اللون الأحمر، لأنّ له دلالة ترتبط بالدم وعملية الذبح، وهي العملية التي شاهدها يوم السبوع حين« انفجرت الدماء ينابيع وتخبطت الضحية ثمان دقائق كاملة.» [3]

إذن هناك علاقة بين الختان والدم والموت كما يتصوّرها الطفل، فالختان يستلزم وجود الدم، والدم سيؤدي حتما إلى الموت، كما يظهر من خلال هذا النص على لسان الطفل:«سوف يأتي اليوم الذي تختتن فيه لأرى الدماء تسيل من أسفل بطنها... تموت دون شك.»[4] أي علاقة تلازمية حسب تفكير الطفل.

**ج- ألعاب الأطفال والأغاني والأمثال الشعبية:**

حين يكبر الطّفل، ويبدأ وعيه في إدراك ما حوله، يكتسب العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية واللغة، ومن خلال هذه المكتسبات يتعرّف الطفل على الأغاني والأمثال الشعبية، وتختزن ذاكرته كلّ هذه المعارف والخبرات المجتمعية. كما يكتسب الطفل أيضا الألعاب الشعبية التي تتناسب مع سنّه ورغباته،«وتتميز ألعاب الأطفال شأنها شأن كافة العناصر الشعبية المتعلقة بالطفل (كأغاني الأطفال مثلا) بأنّها تحتل في المجتمع مكانة أكبر من ألعاب الكبار. كما أنّها تعكس مثل بقية عناصر التراث الشعبي الخاصة بالأطفال تراث الأجداد بشكل أوضح من تراث الكبار.»[5]

تشير بعض القصص الجزائرية المعاصرة إلى الألعاب الشعبية المنتشرة بين الأطفال كلعبة العسكر واللصوص، أو العسكر والثّوار، كما في قصة "علم الجزائر"، حيث شكّل الأطفال فريقين، فريق من عساكر العدو وفريق من الثوار وراحوا يلعبون.

---

1 - كحال بوعلي، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، ص119.

2 - عمّار يزلي، ما بعد الطوفان، ص88.

3 - المصدر نفسه، ص89.

4 - المصدر نفسه، ص90.

5 - محمد الجوهري وآخرون، الطفل والتنشئة الاجتماعية، ص72.

كما أنّ أغاني الأطفال تحتل«مكانا متميزا داخل تراث الأغاني الشعبية، فهي أقدم أنواع الأغاني الشعبية على الإطلاق وأوسعها انتشارا. كما نجدها تتشابه فيما بينها إلى حد بعيد من حيث النغم ومن حيث المضمون بين الثقافات على امتداد العالم. وهي من أغنى المصادر التي تحفظ لنا بقايا معتقدات وممارسات ومناسبات درست ولم يعد لها وجود في عالمنا الحاضر.» [1]

وقد خلت القصص الجزائرية تقريبا من هذا النوع من الأغاني ما عدا القليل، حيث نجد في قصة "ولدي يحي" لمحمد الصديق معاش" أغنية مرتبطة بملاعبة الطفل في المهد أو عند النوم، حيث غنّت الأم وهي تتذكر ولدها الغائب قائلة:« وأحملك بين ذراعيّ شوقا وعشقا، وأغني:

أنت الهديل.. أنت الغناء

أنت عل مشارف الفجر دعاء.. »[2]

ونجد بعض الأغاني التي يردّدها الأطفال أثناء العمل كبيع الكاوكاو:

- "قرمش تزهى بطل تنعس"[3]
- " كاوكاو.. أيا كاوكاو.. سخون! "[4]

وهناك أيضا الأغنيات الشعبية التي وعتها الذاكرة من أيام الطفولة، ولا ترتبط بالطفل أو بمرحلة الطفولة بشكل مباشر، بل هي أغاني عامة جاءت على ألسن الكبار، منها:

- أغنيات تغنيها المرأة الجزائرية وهي تمارس أعمالها المنزلية من طبخ، وغسيل... مثلما هو مجسّد في قصة " قطّاع الرجل": «(...) حنجرتها تنطلق في الغناء دون أن تتوقف عن تقشير البطاطا: (يا قنديل البيت اللي تحول).»[5] وهذه الأغنية ناقصة، تكملها المرأة نفسها في مشهد آخر حين«تعود المرأة للغناء، وتكرر نفس الكلمات:(يا قنديل البيت اللي اتحول. ما حاجتي بك الليلة.)»[6]

وتورد قصة "انقلابات فكرية يصرّح بها اليوم "موح السوكارجي" مجموعة من الأغنيات الشعبية منها:

- " دق... دق" و"سعيدة بعيدة "

---

[1] - محمد الجوهري وآخرون، الطفل والتنشئة الاجتماعية، ص64.

[2] - بادي عبد الرزاق وآخرون، أنين المدينة، ص115.

[3] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص155.

[4] - عمار بلحسن، الأصوات، ص191.

[5] - مرزاق بقطاش، كوزه، ص69.

[6] - المصدر نفسه، ص70.

- " لو كان حبيبي يولي ندير سبع وعدات"[1]

ومنها أيضا الأغاني التي تغنيها النسوة في الأعراس مثل:

- " يا لحنة يا لحنينة، جابوها الرجال..." [2]

ومنها الأغاني الحزينة التي تنعي بها النسوة الأموات:

- " يا الحنة يا لحنينة، داسوها النعال... " [3]

- " بردي. بردي.. ويا لخضر لمن خليتني! "[4]

ونلاحظ كذلك انتشار الأمثال الشعبية في القصص الجزائرية نذكر على سبيل المثال:

- " دوده من عوده"[5] - " الزمان الغدّار يعلم الرجولة"[6]

- " إيه الزمان.. الزمان غدّار.. "[7] - " الموت خدّاعة "[8]

- " اللي عاش، اعيش راجل واللي مات، يموت كريم "[9]

- " أطلقي رجليك للريح.. !" [10]

- " للبيت رب يحميه. "[11]

كما جاء ذكر بعض الأكلات الشعبية المعروفة في بلادنا، اللذيذة لدى الأطفال، منها: الكسكسي في قول الطفل إبراهيم:«أمي الآن تعد ( كسكسي*) لذيذا.»[12] وأكلة ( البسيسة ):« فحدق الصبي في كوز السويق أو(البسيسة) وقد ألح عليه الجوع ثم مد يده إليه.» [13] ونجد أكلة أخرى هي (المحجوبة)، وقد

---

1 - عمّار يزلي، ما بعد الطوفان، ص91.

2 - حفيظة ميمي، ممنوع قطف الأطفال، ص115.

3 - المصدر نفسه، ص116.

4 - عمار بلحسن، الأصوات، ص149.

5 - عمّار يزلي، ما بعد الطوفان، ص98.

6 - عمار بلحسن، الأصوات، ص191.

7 - المصدر نفسه، والصفحة.

8 - محمّد شنوفي، حين يعلو البحر، ص49.

9 - المصدر نفسه، ص8.

10 - حفيظة ميمي، ممنوع قطف الأطفال، ص126.

11 - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص147.

* أكلة شعبية معروفة في أقطار المغرب العربي.

12 - محمّد شنوفي، حين يعلو البحر، ص53.

13 - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص151.

ذكر القاص طريقة تحضيرها، حيث تعتمد الأم الجزائرية على«(المزود) فتفك عن فمه الرباط وتخرج منه شيئا من الدقيق ثم تعمد إلى الجرة فتخرجها من تحت الأرض وتغرف منها قليلا من السمن المعتق ثم إلى(الطاجين) فتضعه على الأثافي ثم تأتي بفتيل الكاز فتشعل به موقد الحطب وفي انتظار أن يحمى الطاجين تعجن على عجل كسرة الشعير وتحشوها بقليل من الشحم المجفف والسمن والبصل والفلفل.. وبعد لحظات تدعو الأطفال لتناول أكلة(المحجوبة)، اللذيذة فتكاد تحترق أصابعهم الطرية وهم يتخاطفونها حتى قبل نزولها من الطاجين.» [1]

وثمّة مجموعة من المعتقدات الشعبية والخرافات تلعب دورا مهما في تشكيل الوجدان الشعبي، بعض هذه المعتقدات يدخل في إطار الأعراف العامة، والآخر ينضوي تحت لواء الحفاظ على سيرورة الثقافة الشعبية المتوارثة. وهذه المعتقدات – عموما- خارج إطار الطفولة، فهي لا ترتبط بالطفل، غير أنّ وقوفنا عندها يأتي في إطار رصد الطفولة لها، والحرص على تسجيلها، فالطفل– بطل القصة- مهتم برصد هذه المعتقدات التي لاشك أنّها بشكل أو بآخر أسهمت بدور ما في تشكيل وجدانه وعقله، وإلاّ لما حرص من جانبه على التوقف عندها.

ومن الأعراف الشعبية " تسمية المولود باسم تنبذ منه الأسماع" درء للحسد، ومن هذه الأسماء التي ذُكرت في قصة "مظلوم" نجد:« معيوف ومنتوف والخامج ومجدوب والعائب والأعرج والأحول والأطرش والمريض والميت.. إلى آخر هذه التسميات التي يلتجئ إليها أولياء المواليد لحكمة ما، ومنها اتقاء الحاسدين والحاسدات أو لتجنيب أبنائهم عندما يكبرون مطاردة الغواني والخاطبات التي قد تفزعهن هذه الأسماء الغريبة المنفردة..»[2]

وفي المعتقد الشعبي أنّ ربط منديل زاهي اللون على العنق، قد يكون اتّقاء لشر، أو ضربا من الفأل أو ذات دلالة أخرى، مثلما يقول الراوي/ الطفل في قصة "الختانة":«وحول عنقي التف منديل أخضر، كان منذ مدة محيطا برأس أمي.. منحته لي استبشارا وفألا.»[3]ويربط الخيال الشعبي بين صوت البومة والشؤم، فوجودها نذير شؤم، وله دلالة على موت أحد أفراد العائلة ممن تحوم البومة حول منزلهم، وكثيرا ما تعمد بعض الأمهات – حتّى في أيامنا هذه- إلى طردها بالحجارة درء للخطر الذي تومئ به:«سمعت أمي بومة تنوح فوق البلوطة، ففزعت كثيرا، ولم أستطع النوم. أهي نذير سوء؟ ابتسم الشيخ،

---

[1] - أحمد الطيب معاش، شموع لا تريد الانطفاء، ص153،154.

[2] - المصدر نفسه، ص206.

[3] - عرعار محمّد العالي، الحالم، ص11.

ومسح شاربه الأبيض وفتله، ثم نظر إليها كالعاتب: - بومة! الموت والحياة بيد الخالق وحده يا بنتي، ولا دخل للبومة في كل منهما.»[1]

ولا يستثير الخيال شيء مثلما تستثيره قصص الجان والغولة، ففي قصة "يتم" يروي بطلها قصة حول الغولة قائلا:«جاء أعمر الشاوش، كان رجلا رزينا مسموع الكلمة، كبير الجماعة وصاحب المسؤولية، يحكون عنه أنه قطع البحر إلى فرنسا ثلاث مرات وأنه حارب في "لاندوشين" في الخمس والأربعين، في نفس البلاد التي مات فيها عمي أعمر بعد أن هرب من القرية بعد أن اكتشفوه مع الزهرة بنت عمه مح الشاوش، وأنه تعارك ليلة كاملة مع غولة كانت تخرج ليلا في الواد "دي فلكو".»[2] فالكبار بحكم السن والتجربة، أكثر علما بالجن أو الغولة، وأكثر دراية بخباياها، وأصول التعامل معها، لذلك فإنّ ما يروونه عنها أكثر غرابة، وأشدّ إثارة مما يرويه الصغار.[3]

والخلاصة التي توصلنا إليها من خلال هذا الفصل هي أنّ صور الطّفل في القصص الجزائرية المعاصرة التي وقفت الدراسة عليها متداخلة فيما بينها، وقد تتسم الشّخصية الواحدة بصور متعدّدة، فمثلا الطفل " مظلوم" في قصة " مظلوم" نجده : فقيرا، ومجاهدا، ومظلوما، والطفل "الذيب" في قصة "الذيب" كان: مأساويا، ومتشرّدا، ويتيما، وجائعا فقيرا ، و"صالح" في قصة "اليتيم" نراه: يتيما، وفقيرا، ومغتربا...

---

[1] - أبو العيد دودو، بحيرة الزيتون، ص24.

[2] - عمار بلحسن، الأصوات، ص151.

[3] - ينظر: منير فوزي، صورة الطفل في الرواية المصرية، ص142.

# خــاتمة

## خاتمة:

من خلال المراحل التي قطعناها في دراسة موضوع صورة الطّفل في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، توصّلنا إلى جملة من النتائج نحصرها فيما يلي:

- إنّ لفظ "الطّفل" ورد في كثير من آيات الذكر الحكيم والأحاديث النّبوية الشريفة، سواء باللفظ نفسه أو بألفاظ أخرى تدّل عليه كالولد، والصبي، واليتيم... وهذا يدل على مكانة الطفل وقيمته في ديننا الحنيف، وفي حياة الوالدين، فهو زينتهما وبهجتهما، وما يقتضي من ضرورة رعايته والاعتناء به، لأنّ لهذه الشريحة -الأطفال- أهمية كبرى في بناء المجتمع بصفة عامة، كذلك دعا الرسول الكريم – صلّى الله عليه وسلّم- إلى الرفق بالطفل والاعتناء به، وإعطائه حقوقه في الحياة.

- إنّ حضور الطّفل أو الطّفولة في التراث الشّعري العربي قد تمّ من خلال محورين هما: رثاء الأبناء في الشعر العربي القديم، وأغاني ترقيص الأطفال، لما يحظى به الطفل من أهمية لدى الوالدين، ثمّ إنّ الشّعر العربي الحديث والمعاصر لم يخل من نماذج من حضور الطفل فيه، وإن كان هذا الحضور متفاوتا بين شاعر وآخر. كما أنّ الطّفولة كانت حاضرة كذلك في الرواية والقصة العالميتين والعربيتين، ما يؤكّد الأهمية التي أعطيت لهذه الفئة التي تمثل لذة الحياة للآباء والأمهات، بل هي زينة الحياة.

- يتجلى من القصص الموجهة للأطفال الاهتمام الكبير الذي يبديه كُتّاب هذه القصص بالواقع الحياتي الذي يعيشه الطفل، فمعظم أبطال القصص واقعيون أي شخصيات واقعية موجودة في مجتمعنا، يمتلكون قدرا من الخيال الواقعي والأحلام الإنسانية، إنّها قصص هادفة ترمي إلى معالجة مشاكل الطفل النفسية والتربوية والاجتماعية، ورفع روحه المعنوية، وتنّمي الخيال وتعمق وعي الطفل بالبيئة والوطن والتراث، وتعالج مشاكله وتوسّع آفاقه الذهنية بأسلوب قصصي ممتع ومقنع، وتُمكنّه من ممارسة حياته بأقصى درجة من الشجاعة والثقة بالنفس، والاستعداد لتحدّي الظروف والعقبات، ومتابعة مشوار الحياة بفعالية، والطموح في الحياة.

- من القصص الموجهة للأطفال ما يهدف إلى تحقيق المتعة والقيم الأصيلة التي توجّه الأطفال نحو الخير والشمائل النبيلة، واحترام الحياة الإنسانية، والمحافظة على البيئة، والرفق بالحيوان، وغيرها من القيم النبيلة التي ينبغي أن تعلم للأطفال.

- معظم القصص العالمية والعربية التي أوردناها والموجهة للأطفال إنّما تسعى إلى إلقاء الضوء على معاناة الأطفال، وظروفهم الحياتية القاسية، وما يخالطها من سلبيات في الأفكار والسلوك العام،

والنظرة للحياة، في محاولة جادة لتصويب أخطاء الأطفال، وغرس القيم التربوية السليمة بكيفية شيقة ممتعة يتذوقها الطفل.

- إنّ اهتمام القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة بموضوع الطفل كمحور رئيس لم يتم حسب ما توصلنا إليه إلاّ بعد مرحلة الثمانينات، وذلك إمّا بتخصيص قصص تشير عناوينها إلى الطفل مباشرة، وإمّا بإدراج عناوين مظلّلة لا تتعلق بالطفل أو بالطفولة مباشرة.

- إنّ الطّفل في القصة الجزائرية معرّض في كثير من الأحيان للعقاب الجسديّ، وهو تعبير عن حالة مرضية تتفشى في المجتمع، وأخطر من هذا العقاب الآثار النفسية المترتبة على الإهانة الجسدية للطفل.

- إنّ شقاوة الأطفال وممارستهم ألعابا خطيرة قد تؤدي إلى تعرّضهم لعاهات تلازمهم طول حياتهم، كما قد تؤدي إلى هلاكهم، لذلك يجب الحذر من ذلك وعلى الآباء حسن رعاية أبنائهم، ومراقبتهم باستمرار، وتجنّب العنف معهم، والاستفادة من علم النفس ومن أساليب التربية الحديثة في معاملة الأطفال.

- يمثّل رمز الطفل دلالات عديدة، عبر المستويات الخاصة والعامة للاستخدام الفني في القصة، حيث يستخدم رمزا للبراءة، ورمزا للمستقبل واستمرارية الحياة الخ...

- إنّ لغة القصص القصيرة الجزائرية هي مزيج بين اللغة الفصحى واللغة العامية (الدارجة)، ويكثر استعمال اللغة العامية حين يتعلق الأمر بذكر الأمثال والأغاني الشعبية والعادات والتقاليد، وتوظيف اللغة الدارجة من أجل بناء صور منطقية حقيقية ولإعطائها بعدا أكبر.

- إنّ القصص التي عُنيت بتصوير الطفل أو مرحلة الطفولة رصدت الطفل في عدة نواحي مرتبطة بهذه المرحلة وهي: علاقة الطفل بالطقوس الشعبية المتمثلة في طقوس الولادة والسبوع والختانة، وألعاب الأطفال والأغاني والأمثال الشعبية، والمعتقدات الشعبية والخرافات، والتي تلعب دورا هاما في تشكيل الوجدان الشعبي، وصقل شخصية الطفل وتغذيتها بالثقافة الشعبية المتوارثة، ويزداد استخدام هذه الطقوس كلما اقترينا من مجتمع القرية، ويقل كلما اقترينا من مجتمع المدينة.

- نخلص من مقاربة هذه القصص إلى هيمنة الطفل القروي على نظيره المديني، مع طغيان الطفل/البطل الذكر على الطفلة الأنثى، بما يعنيه ذلك من استمرار سيادة الخطاب الذكوري، مع غياب الحوار بينهما معا، وكذا مع الكبار، وبالتالي تعمق بئر الكبت واتساع مجاله، حيث يؤدي إلى طفولة مغتالة الخيال مغتصبة الحركة، فقيرة الأمل والحلم، تعيش الإحباط والتمزق النفسي، حيث البؤس

والحرمان، إذ أنّ أغلب أطفال القصص لم يعيشوا طفولتهم إمّا بسبب اضطرارهم إلى العمل في طفولتهم، أو رعي الغنم أو ما شابه ذلك، والذي اعتبرناه فطاما وجدانيا ثانيا يضاهي ألمه ألم الفطام الطبيعي، باعتباره حرمانا نفسيا وبيولوجيا جرّاء فراق الرضيع ثدي الأم، ويضاف لهذه الإلزامات القهرية تعنيف جسدي آخر يتمثل في"الختان" كجرح رمزي. وبسبب كل ذلك حقّ نعت الطفولة الجزائرية بالطفولة الجريحة؛ طفولة مسيّجة بالأوامر والمنع والإقصاء؛ طفولة لا تحمل من هذه الحقبة العمرية سوى الاسم.

- لقد وظّف القصّاصون الجزائريون رموزا متعددة للدلالة على المستعمِر منها: الكلب، الغول، الثعبان، الذئب... وهي رموز تدّل على المكر والخداع والقوة، وقد جاءت هذه الرموز على لسان الوالدين في صدد حديثهم لأبنائهم عن المستعمِر وقسوته وبطشه.

- إنّ صورة الطّفل الفقير في القصص القصيرة الجزائرية شكّلت صورا حزينة وهي ذريعة قصصية لتعرية الواقع الجزائري البائس. إنّ حالة الحرمان والكبت والعوز المؤطرة لطفولة المدونة تجعل مستقبلها ملتبسا وغائما، خاصة وأنّ بعض أطفال هذه القصص انتهوا بامتلاك السلاح وممارسة العنف، وعنف هذه الطفولة المحرومة أنتجه الغبن الطبقي والحيف الاجتماعي الساحق. إنّ عجز ووهن أطفال هذه المدونة هو كناية عن عجز مجتمع بكامله؛ مجتمع غير قادر على تهيئة التربة الخصبة لنشء سوي، فصورة هذه الطفولة المهزوزة تعكس صورة مجتمع برمته، مادام الطفل كائنا علائقيا ونتاج تفاعلات اجتماعية في نهاية الأمر.

- يُمثّل الزمن الماضي أو الطفولة في بعض القصص القصيرة الجزائرية العالم الجميل والسعيد، بينما تمثّل مرحلة الشباب والشيخوخة العالم التعيس، أمّا في بعض القصص الأخرى فإنّ الأمر يختلف، حيث تمثّل الطفولة والشيخوخة معا العالم التعيس، وذلك بفعل ما أحدثه المستعمر من دمار في المجتمع الجزائري.

- إنّ القاص حريص في بعض الأحايين على إيراد زمن الحضور، وقد أدى هذا الأمر إلى وجود مستويين فكريين في القصّ في ذات العمل، المستوى الأول: مستوى الراوي/ الطفل، والمستوى الثاني: الراوي الذي تجاوز سنّ الطفولة بمراحل كثيرة، حيث نجد عددا من الحكايات تسرد من وجهة نظر رجل ناضج تعدّى الخمسين، وواقع الأمر أنّه ليست هناك قصص مستقلة يرويها رجل ناضج، وإنّما هناك قصص يرويها طفل، وهي بدورها تنقسم إلى قسمين: قسم متعلق به بشكل مباشر؛ كمسألة الختان ودخول المدرسة...الخ، وقسم يدخل في نطاق ذكريات الطفولة من الأحداث والأشخاص، والقسم الأخير بالتحديد

يسمح فيه المؤلف بتدخل الراوي، وقد تجاوز مرحلة الطفولة في نهاية القصة ذاكرا المفارقة الزمنية، وتمضي الكثير من القصص بهذه الطريقة، أو تأتي القصة على شكل حوار بين الطفل وأحد من الكبار.

- هيمنت على امتداد قصص المدونة صورة الطفل المحروم والنحيف، المعوز والضئيل، فمن جرّاء استقراء الأوصاف المعجمية والصفات والنعوت الواصفة تحققنا من هوية الطفل الطبقية وانتسابه إلى طبقة كادحة، فالحرمان الطافي على سطوح القصص استطاع أن يطوّع الطفولة كفئة عمرية وشريحة اجتماعية لم يكن أمامها من خيار سوى تعويض الحرمان الحاصل في الواقع بإشباع على مستوى الخيال والحلم واللعب.

- إنّ صورة الطّفل في قصص الأطفال(أدب الطفل) لا تختلف كثيرا عن الصورة في القصص القصيرة الجزائرية المعاصرة الموجهة للكبار، إذ نجد في كليهما التركيز على الأطفال الذين يعانون الفقر أو الإعاقة أو التهميش والحرمان، ذكورا وإناثا؛ فكثيرا ما تتكرّر صُور الطفل الفقير، والطفل اليتيم، والطفل الجائع... سوى أنّ كاتب قصص الأطفال يعمد إلى تعرية واقع الطفل الحقيقي مع محاولة معالجة مشاكله وتقديم حلول ولو خياليا، بهدف بناء شخصية سليمة للطفل، ولأهداف متنوعة يريد الكاتب غرسها في الطفل؛ أهداف تربوية ودينية، وإنسانية واجتماعية، أمّا كاتب القصص القصيرة الجزائرية فيصوّر واقع الطفولة المرير كما هو، ولا يقدّم حلولا في أغلب الأحيان.

# قائمة المصادر

# والمراجع

- القرآن الكريم.

## 1- المصادر:

### أ- القصص:

1- ابن المقفع، كليلة ودمنة،شرح: حبيب يوسف مغنية، منشورات دار ومكتبة الهلال، دط، بيروت، 2001م.

2- أبو العيد دودو، بحيرة الزيتون، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1992م.

3- أحمد الطيب معاش،شموع لا تريد الانطفاء، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1990م.

4- أحمد رضا حوحو،غادة أم القرى وقصص أخرى،موفم للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2000م.

5- أحمد منّور، الصّداع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1979م.

6- الأخضر رزاق، سمير والطائر الأخضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986م.

7- اعتدال رافع،رحيل البجع،قصص عربية،منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق، سوريا، 1998م.

8- الكسندر راسكين، عندما كان أبي صغيرا، قصص للأطفال، تر: خالد علي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، دمشق، 1983م.

9- أنطوان تشيكوف، في منزل الأرملة، قصص، تر: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2003م.

10- بادي عبد الرزاق وآخرون،أنين المدينة، مطبعة مزوار للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2007م.

11- بشير خلف، ظلال بلا أجساد، دار الكتاب العربي، دط، الجزائر، 2007م.

12- بلقاسم الأطرش، الإعصار... والأمل، دار هومه، دط، الجزائر، دت.

13- الجاحظ، البخلاء، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، بيروت، 1980م.

14- جميلة زنير، دائرة الحلم والعواصف، موفم للنشر، دط، الجزائر، 2008م.

15- جونيلا بيرجسترم، هل أنت جبان يا برهان؟، تر:منى زريقات هنينغ، دار المنى، دط، السويد، 1994م.

16- الحبيب السائح، الموت بالتقسيط، اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومه، ط1، دب، 2002م.

17- حسين بلحسين، تينو والغوّاصة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دب، 2008م.

18- حفيظة ميمي، ممنوع قطف الأطفال، منشورات الأوراس، دط، الجزائر، 2007م.

19- خالد كيال، عبدو محمد، كاسر طفل طائش، قصص تربوية للأطفال، دار ربيع للنشر، دط، دمشق، سوريا، دت.

20- خثير عبد الكريم، ظن خائب، منشورات أهل القلم، ط1، الجزائر، دت.

21- خضر بدور، الكنز المفقود، المؤسسة الوطنية للطباعة، دط، الجزائر، 1991م.
22- رابح خدوسي: - الطفل الذكي، دار الحضارة، دط، الجزائر، دت.
- احتراق العصافير، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1989م.
- بقرة اليتامى وقصص أخرى، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دط، دمشق، 2001م.
23- رجب البنا، ابتسامة صغيرة، مكتبة الأسرة، دط، دب،1997م.
24- زهور ونيسي، على الشاطئ الآخر، موفم للنشر، دط، الجزائر، 2007م.
25- سعدوني بشير، المأزق المحيّر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986م.
26- شاكر خصباك، حياة قاسية، مجموعة قصص، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط4، صنعاء الجمهورية اليمنية، 1996م.
27- الشريف الأدرع، صاحبة الحسن كلّه، دار الأوراس، دط، الجزائر، 2007م.
28- شوقي أبو خليل، حضارة أجدادي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1993م.
29- صبايحية بن كلة، سقط المحار، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1990م.
30- صفاء عمير، أنا لست شقيا، مركز المصادر للطفولة المبكّرة، دط، القدس، 1998م.
31- الطاهر وطار: - الطعنات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1981م.
- دخان من قلبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، دت.
32- عبد العزيز بوشفيرات، البطل الصغير، دار هومة للطباعة والنشر، دط، الجزائر، 1996م.
33- عبد الوهاب حقي،صغار لكنّهم مجاهدون، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1997م.
34- عرعار محمّد العالي، الحالم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1979م.
35- عز الدين جعفري، أحلام من ثلج، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، دت.
36- عز الدين جلاوجي، لمن تهتف الحناجر، إبداع، ط1، دب، 1994م.
37- عمار بلحسن: - الأصوات، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1985م.
- حرائق البحر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1981م.
38- عمّار يزلي، ما بعد الطوفان، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م.
39- فاطمة سليم،نداء المستقبل،مجموعة قصصية،دار بوسلامة للطباعة والنشر،دط، تونس، 1978م.
40- فاطمة لمثلث، عذراء الغابة، قصص جزائرية، دار قرطبة للنشر والتوزيع، دط، دب، دت.
41- فرانسيس هودغس بيرنت، الحديقة السريّة، تر: نعمت توفيق صناديقي، منشورات وزارة الثقافة، دط، دمشق، 1999م.
42- فريدة حنيفة، مرزاق في الجبهة: سلسلة قصص قصيرة، ANEP، دط، الجزائر، 2002م.

43- لينا الكيلاني، الحلم والمستقبل، قصص للأطفال، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 1997م.
44- محمد الأخضر عبد القادر السائحي، أمدغ، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م.
45- محمد بن عجال، يوميات رجل نبيل، مطابع عمار قرفي، ط1، الجزائر، 1992م.
46- محمّد شنوفي: - حين يعلو البحر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1985م.
-حكاية عصفور، سلسلة مروج الذهب للأطفال،دار ابن عربي، دط، دب، دت.
- سمير والخطاف، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دب، دت.
47- مختار بوخريص، الرحلة الأخرى،مجموعة قصصية، دار سحر للنشر، ط1، تونس، 2007م.
48- مرزاق بقطاش، كوزه، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م.
49- مسعود صبري، لقاء الأصدقاء، منشورات عشاش، دط، بوزريعة، الجزائر، 2006م.
50- مصطفى فاسي، رجل الدارين ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007م.
51- مصطفى ولد يوسف، الرّسم على الجرح الأبكم، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، دت.
52- مهدي سي علي، الولد الشجاع والساحر المشؤوم،دار السبيل، دط، بن عكنون، الجزائر، دت.
53- مولود مسخر، مغامرات هشام، الملكية للإعلام والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1992م.
54- مونيكا زاك، الولد الذي عاش مع النعام،تر:راوية مرة، دار القصبة للنشر، دط،الجزائر، 2007م.
55- الأصبع الصغير، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2007م.
56- بائعة الكبريت، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، دت.
57- سندريلا، الزيتونة للإعلام والنشر، دط، باتنة، الجزائر، دت.
58- الطفل والمطر، سلسلة دار الفتى العربي، دار المعارف بمصر، ط6، مصر، 1968م.
59- عدد من المؤلفين، بلد المرايا المحظورة، قصص قصيرة من الأدب العالمي، تر: أحمد كمال حمدي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2005م.
60- علاء الدين والمصباح السحري، اقتباس: نوري بشاري، دار المعرفة، دط، الجزائر، دت.
61- كيلر تتحدى الإعاقة، قصص عالمية،سلسلة كان يا مكان،مروة للإعلام والنشر ،دط،دب، دت.
62- مجهول المؤلف، بكار يحب المدرسة، دار البرهان، دط، دب، دت.

## ب- الكتب التراثية القديمة:

1- الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، شرحه : مفيد علي بيضوت، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 2003م.
2- ابن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تح : خليل الميس، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403هـ.

3- ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، طبعة حيدر آباد، دط، الهند، 1964م.

4- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 2000م.

5- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح : محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001م.

6- ابن عبد ربّه، العقد الفريد، تح : محمد التوبخي، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 2001م.

7- أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، شرح: زكي مبارك، دار الجيل، ط4، بيروت، لبنان، 1972م.

8- أبو عبد الله القضاعي، مسند الشهاب، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1986م.

9- الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، بيروت، لبنان، دت.

10- البخاري: - صحيح البخاري، موفم للنشر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1992م.

11- الأدب المفرد، تح: محمد عبد الباقي، دار البشائر الإسلاميّة، ط3، بيروت، 1989م.

12- الدينوري،عيون الأخبار،منشورات علي بيضوت،دار الكتب العلمية،ط3، بيروت، لبنان، 2003م.

13- الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق الحسيني، دار الحرمين، دط، القاهرة، 1415ه.

14- محمد بن محمود الأسروشي، جامع أحكام الصّغار، تح: عبد الحميد عبد الخالق البيزلي، ط1، بغداد، 1982م.

15- المنذري،مختصر صحيح مسلم، تح:محمد ناصر الدين الألباني، قصر الكتاب، ط1، البليدة، 1411ه.

## ج- الكتب الحديثة:

1- رينيه ويليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، تر: محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دط، بيروت، 1987م.

2- الزوزني، شرح المعلّقات السّبع، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 2002م.

3- سيغموند فرويد،مدخل إلى التحليل النفسي،تر:جورج طرابيشي،دار الطليعة،ط1،بيروت، 1980م.

4- شريبط أحمد شريبط، الآثار الأدبية الكاملة للأديبة زليخة السعودي 1943 -1972، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2009م.

## د - الدواوين:

1- ابن الرومي، ديوان ابن الرومي،ج3،شرح:أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان،2002م.

2- أبو تمام، ديوان الحماسة، شرحه:أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضوت، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998م.

3- إيليا أبو ماضي، ديوان إيليا أبو ماضي، دار العودة، ط1، بيروت، 1961م.

4- بدر شاكر السيّاب، ديوان بدر شاكر السّياب، مج1، دار العودة، دط، بيروت، 1971م،

5- جرير، ديوان جرير، دار صادر، دط، بيروت، لبنان، 1991م.

6- الحارث بن حلّزة وعمرو بن كلثوم، ديوان الحارث بن حلّزة وعمرو بن كلثوم، شرح:مجيد طراد، دار الجيل، ط1، بيروت، 1998م.

7- الحطيئة، ديوان الحطيئة،شرح:ابن السكيت، دار الكتاب العربي، دط، بيروت، لبنان، 2004م.

8- عبد الوهاب البياتي، ديوان عبد الوهاب البياتي، دار العودة، دط، بيروت، 1972م.

9- فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، دار العودة، ط1، بيروت، 1978م.

## هـ - المعاجم:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط4، بيروت، لبنان، 2005م.

2- فؤاد أبو حطب، محمد سيف الدّين فهمي، معجم علم النّفس والتّربية، ج1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط، مصر، 1984م.

3- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984م.

4- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004م.

5- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، دط، بيروت، لبنان، 1997م.

## و - الروايات:

1- أحمد سفطى، مغامرات الطفل المتمرد، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1985م.

2- حنا مينة، بقايا صور، دار الآداب، ط4، بيروت، 1984م.

3- رشيد بوجدرة: - الحلزون العنيد، تر: هشام القروي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1981م.

- الرعن، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م.
- معركة الزقاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986م.

4- طه حسين، الأيّام، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، عين مليلة، الجزائر، دت.

5- محمد ديب: - الدار الكبيرة، تر: فارس غضوب، منشورات anep، دط، الجزائر، 2007م.
- الحريق، تر: فارس غضوب، منشورات anep ، دط، الجزائر، 2007م.
- النّول، ثلاثية محمد ديب، تر: سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، ط3، بيروت، لبنان، 1981م.
6- مرزاق بقطاش، طيور في الظهيرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1981م.
7- نجيب محفوظ،المؤلفات الكاملة،حكايات حارتنا،مكتبة لبنان ناشرون،ط1،بيروت، لبنان، 1993م.

## 2- المراجع العربية:

1- إبراهيم ياسين الخطيب، أحمد محمد الزبادي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمّان الأردن، 2000م.
2- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط5، الجزائر، 2007م.
3- إحسان عبّاس، فن الشّعر، دار صادر، بيروت، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط1، 1996م.
4- أحمد أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتّى نهاية العصر الأموي، دار العلم للملايين، ط2، دب، 1982م.
5- أحمد زلط، أدب الطفل العربي، دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 1999م.
6- أحمد نجيب، المضمون في كتب الأطفال، دار الفكر العربي، دط، دب، دت.
7- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، رؤية نقدية تحليّلية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 2000م.
8- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الأدب الإسلامي للأطفال، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1997م.
9- ألفت حقي، سيكولوجية الطفل، علم نفس الطفولة، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، الإسكندرية، 1996م.
10- بدوي طبانة، إحياء علوم الدين للإمام الغزالي مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي وفلسفته في الإحياء، ج$_1$، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا، دط، دب، دت.
11- بلقاسم سلاطنية، سامية حميدي، العنف والفقر في المجتمع الجزائري، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2008م.
12- جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، ط2، بيروت، 1979م.
13- حسن شحاتة، قراءات الأطفال، الدار المصرية اللبنانية، ط3، القاهرة، 1996م.

14- حسن ملاّ عثمان، الطفولة في الإسلام، مكانتها وأسس تربية الطفل، دار المريخ للنشر، ط2، الرياض، 1982م.
15- حسين عبروس، أدب الأطفال وفن الكتابة، دار مدني، دط، الجزائر، دت.
16- حنان عبد الحميد العناني،الطفل والأسرة والمجتمع،دار الصفاء للنشر والتوزيع،ط1، دب،2000م.
17- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، عيّنات من قصص الأطفال، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1984م.
18- رافدة الحريري،التربية وحكايات الأطفال،دار الفكر ناشرون وموزعون،ط1،عمّان،الأردن، 2009م.
19- رمضان عبد الرؤوف،أفاق معاصرة في الصحة النفسية للأبناء،دار الكتاب،دط، القاهرة، 1998م.
20- سليمة عكروش، صورة الطفولة في الشعر العربي المعاصر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2002م.
21- سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، الأردن، 2006م.
22- سهير كامل أحمد، دراسات في سيكولوجية الطفولة، ج1، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، الإسكندرية، 1998م.
23- سوزان ميلر، سيكولوجية اللعب، تر: حسن عيسى، سلسلة عالم المعرفة، دط، الكويت، 1987م.
24- شريفة غطاس، كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، وزارة التربية الوطنية، 2011/2010.
25- شفيق البقاعي، أدب عصر النهضة، دار العلم للملايين، دط، بيروت، لبنان، 1990م.
26- طارق كمال، الإرشاد النفسي للأطفال، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 2007م.
27- طلعت فهمي خفاجي، أدب الأطفال في مواجهة الغزو الثقافي، دار ومكتبة الإسراء، ط1، مصر، 2006م.
28- عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1994م.
29- عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، دط، بيروت، 1983م.
30- عبد الرحيم صالح عبد الله، الكفالة النفسية للمكتئب، دار العلم للملايين، دط، دب، 2001م.
31- عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، الأردن، 2005م.
32- عبد الفتاح شحدة أبو معال، أدب الأطفال وثقافة الطفل، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، دط، القاهرة، مصر، 2008م.

33- عبد القادر بن سالم، مكوّنات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2009م.
34- عبد الكريم بكّار، مشكلات الأطفال، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، القاهرة، 2010م.
35- عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دب، 1983م.
36- عبد الله ركيبي: - الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1982م.
- القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، مصر، دت.
37- عبد الملك مرتاض،القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1990م.
38- علي ماضي، فلسفة في التربية والحرية، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1979م.
39- عمر بن قينة، الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1995م.
40- عميش عبد القادر، قصة الطفل في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، دت.
41- العيد جلولي، النص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، موفم للنشر، دط، الجزائر، 2008م.
42- فاطمة الزهراء زيراوي وآخرون، صورة المثقف في القصة القصيرة الجزائرية، جامعة الجزائر، دط، الجزائر، دت.
43- فايز اسكندر، النقد النفسي عند ريتشاردز، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، القاهرة، دت.
44- فوزي عيسى، أدب الأطفال: الشعر - مسرح الطفل- القصة - الأناشيد، دار المعرفة الجامعية، دط، دب، 2008م.
45- كاظم الشيب، العنف الأسري، قراءة في الظاهرة من أجل مجتمع سليم، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2007م.
46- كمال الدين حسين، مدخل في قصص وحكايات الأطفال، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، القاهرة، 2007م.
47- محمد إبراهيم حور، الطّفل والتراث، مدخل لدراسة أدب الأطفال في الأدب العربي القديم، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، ط1، دب، 1993م.
48- محمد الأخضر عبد القادر السائحي، تاريخ أدب الطفل في الجزائر، أفكار- تراجم- نصوص، دار هومه، ط1، الجزائر، 2002م.

49- محمد الجوهري وآخرون،الطفل والتنشئة الاجتماعية،دار المعرفة الجامعية، دط، القاهرة، 1991م.
50- محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل(مضمون اجتماعي نفسي)، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، دط، الإسكندرية، دت.
51- محمد حسن بريغش، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1996م.
52- محمد مرتاض : - من قضايا أدب الأطفال( دراسة تاريخية فنية )، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، بن عكنون، الجزائر، دت.
- الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري (عند:الغماري، ناصر،حرز الله، مسعودي)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1993م.
53- محمد مصطفى أحمد، الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية المعوقين، دار المعرفة الجامعية، دط، الاسكندرية، 1997م.
54- محمد ناصر، الشّعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنّية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 2006م.
55- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، ط5، بيروت، 1966م.
56- محمود حسن إسماعيل، المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 2008م.
57- مسعودة لعريط غيوم،قصص الأطفال في الجزائر ،دراسة موضوعاتية،دار هومه،دط،دب، دت.
58- مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي1954-1962، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1998م.
59- مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفنّي في الشّعر خاصة، منشورات جماعة علم النفس التكاملي، دار المعارف، ط2، مصر، 1959م.
60- مصطفى فهمي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، دار مصر للطباعة، دط، مصر، 1974م.
61- مصطفى ناصف، الصورة الأدبية،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،دط، بيروت، لبنان، دت.
62- منير فوزي،صورة الطفل في الرواية المصرية،مكتبة لبنان ناشرون،ط1،بيروت،لبنان، 1997م.
63- نبيه الغبرة، المشكلات السلوكية عند الأطفال، المكتب الإسلامي، ط3، دمشق، دت.
64- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الإسراء، ط2، قسنطينة،1991م.
65- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، دت.
66- هدى قناوي، أدب الأطفال، مركز التنمية البشرية والمعلومات، ط1، دب، 1990م.
67- وفيق صفوت مختار، مشكلات الأطفال السلوكية، الأسباب وطرق العلاج، دار العلم والثقافة، ط1، القاهرة، 1999م.

68- ياسر نصر، العنف عند الأطفال، المشكلة والحل، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2010م.
69- يوسف حسن نوفل، القصة وثقافة الطفل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، دب، 1999م.
70- يوسف مراد، مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، ط8، القاهرة، مصر، 1982م.

## 3- المراجع الأجنبية:

- Ajuria Guerra¸ Psychologie de l'enfant¸ Masson¸ Paris¸ 1982

## 4-الدوريات:

1- الأثر، مجلة الآداب واللغات، العدد التاسع، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة- الجزائر، 2010م.
2- التبيين، مجلة ثقافية محكمة تصدر عن الجاحظية، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، العدد22، الجزائر، 2004م.
3- مجلة الموقف الأدبي، العدد95، دمشق، سوريا، 1979م.
4- معارف، مجلة علمية فكرية محكمة، العدد الرابع، أفريل 2008م، القسم الأول، المركز الجامعي بالبويرة، الجزائر.

## 5-الرسائل الجامعية:

1- باية خوجة، صورة البحر في روايات حنا مينة، دراسة أدبية ومقارنة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 1995- 1996م.
2- بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدرة، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، جامعة تيزي وزو، 1991-1992م.
3- يامن سهيل مصطفى، العنف الأسري وعلاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين، رسالة ماجستير، قسم الإرشاد النفسي، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا، 2009-2010م.

## 6- مواقع الأنترنت:

- www.akhbarelyoum-dz.com/
- sites.google.com
- www.childinfo.org/files

## الفهرس: